

الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

العدد الرابع – السنة التاسعة – شوال 1385 – يبراير 1966

في هذا العدد

تصدرها وزارة عموم الأوقاف والشؤون الاسلامية بالمملكة المغربية

ثمن العدد درهم واحد

العدد الرابع
السنة التاسعة
شوال - 1385
براير - 1966
ثمن العدد درهم واحد

دعوة الحق

مجلة تصدرها وزارة
عموم الأوقاف والشؤون
الإسلامية بالمملكة المغربية

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالـي :
مجلة ((دعوة الحق)) ـ قسم التحرير ـ وزارة عموم الاوقاف
الرباط ـ المغرب . الهاتف 10 ـ 308

الاشتراك العادي عن سنــة 10 دراهم ، والشرقي 30 درهما
ـاكثـر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك فى حســاب :
مجلة ((دعوة الحق)) رقم الحساب البريدي 55 ـ 485 ـ الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55
à Rabat

او تبعث راسا فى حوالة بالعنوان التالي :
مجلة ((دعوة الحق)) ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ
الرباط ـ المغــرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية
والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
فى كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :

((دعوة الحق)) ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط
تليفـون 308.10 ـ 327.03 ـ الرباط



احتفل الشعب المغربي النبيل يوم 3 مارس بمناسبة مرور خمس سنوات على تتويج صاحب الجلالة الملك المعظم مولانا الحسن الثاني حفظه الله وجلوسه على عرش اسلافه الامجاد ، وبالذكرى العاشرة لاستقلال المغرب .

وقد مرت هذه الذكرى العزيزة علينا في جو مفعم بالبهجة والروعة والصفاء ، واتسمت بمحاسبة الضمير والنقد الذاتي .

وكانت مدينة فاس ، العاصمة العلمية قبلة لجميع الوفود التي امتها من كل حدب وصقع حيث غصت رحاب مشور باب البوجات بعشرات الآلاف من المواطنين ، ورؤساء البعثات الديبلوماسية والوفود الشقيقة والصديقة التي مثلت بلدانها في احتفالات عيد العرش ، وبالذكرى العاشرة لاستقلال المغرب .

وفيما يلي النص الكامل لخطاب العرش الذي القاه صاحب الجلالة بهذه المناسبة :

الحمد لله .. والصلاة والسلام على رسول الله وءاله وصحبه اجمعين

شعبي العزيز

في هذا اليوم التاريخي الذي نحتفل به بالذكرى الخامسة لتربعنا على عرش اسلافنا المنعمين ، والذي يصادف الذكرى العاشرة لاستقلال بلادنا، واسترجاعنا لحريتنا وكرامتنا .. يطيب لنا ان نتوجه اليك شعبي العزيز .. بخطابنا هذا جريا على عادتنا المعهودة ورعيا لتقاليدنا المحمودة ، نستعيد واياك ذكريات الماضي المجيد ، ونحتفي بما قطعنا من شوط بعيد .. ونتطلع بفضل جهودنا المشتركة الى المستقبل الباسم الرغيد ..

لقد كان ولا يزال الاحتفاظ بهذا اليوم عنوانا على ما يربط بيننا وبينك ، من اواصر المحبة والصفاء ، ومشاعير الود والوفاء ، تجدد فيه شديد ولائك لملكك، ومتين اخلاصك لقائدك الساهر على شؤونك الراعي لمصالحك ، الحامي لحمى ديارك ومقدساتك ، والمحقق

ان شاء الله ، لامالك واماليك ، وفيه نجدد من جهتنا العهد الذي قطعناه على نفسنا والميثاق الذي في سيرنا ، مستعرضين منجزاتنا واعمالنا ، راسمين للمستقبل سبلنا واهدافنا ..

ان هذه الذكرى الخالدة ذكرى اعتلائنا على عرش اسلافنا ، وذكرى مرور عشر سنين على الاستقلال . لهي ذكرى الكفاح المرير ، الذي توحدت فيه بطولة الملك والشعب وتكافات فيه القلوب والجهود لن يتطرق الى الارادات ضعف ولا لين ، ولن يتسرب الى العزائم خذلان ولا وهن ، بل بقيت صامدة متطلعة الى تحقيق الهدف الاسمى الذي هو انقاذ البلاد وتحريرها وتخليصها من القيود التي رزحت تحتها زمنا غير يسير ، ولقد كان الجهاد الذي خضنا جميعا غماره خلال تلك الفترة العصيبة ، بقيادة والدنا المقدس محمد الخامس رضوان الله عليه ، صراعا بين الحق والباطل ، ومعركة بين الضلال والرشاد وهب الله بعده النصر المبين والظفر المكين للذين استرخصوا كل غال وثمين في سبيل كرامة وطنهم وعزة بلدهم .

واليوم شعبي العزيز ، ونحن نحتفل بهذه الذكرى المجيدة نتوجه بافكارنا وافئدتنا الى ذلك البطل العظيم فقيد العروبة والاسلام ومحرر البلاد وباعث نهضتها والدنا المقدس لنستمطر على روحه الطاهرة الرحمة رافعين اكف الضراعة الى الله جلت قدرته ان يبوئه مقعد صدق مع الذين انعم عليهم من الصديقين والشهداء والصالحين ، كما نتوجه باخلص الدعاء الى اولئك المجاهدين والابرار الذين اقتفوا اثره واهتدوا بهديه ، واعتصموا بحبله ، اولئك الذين كتب الله لهم الحسنى ورضى لهم الجنة مأوى .

اصبحنا نتصرف في مصيرنا

شعبي العزيز

لقد مضت عشر سنوات منذ تحررنا من الاغلال واضفى الله علينا نعمة الكرامة والاستقلال .. فاستعدنا سيادتنا المغصوبة واسترجعنا حريتنا المسلوبة ، واصبحنا نقبض على زمام امرنا ونتصرف في مصيرنا بكامل الحرية ومطلق السيادة مختلف شؤوننا ولئن غمرت قلوبنا فرحة الظفر والانتصار ، وملأت افئدتنا نشوة الاعتزاز والافتخار فان ذلك لم ينسينا الاعباء الثقيلة ، الملقاة على عاتقنا ولا المهام الجسام المنوطة بعهدتنا ومسؤوليتنا ، ذلك ان كل امة اجتازت عقبة الحجر والوصاية ودخلت في عهد الاستقلال والحرية ، لحري بها ان تتسلح بالعزيمة الراسخة والارادة الثابتة والاستعداد الكامل ، للتضحية ونكران الذات والانصراف الى البناء والتشييد والتحويل والتجديد ، والتمسك بالمثل العليا ، والقيم المثلى ، واذا كانت البلاد ، تحتفل اليوم في وحدة متراصة بعيد العرش الذي هو اكبر مناسبة وطنية يظهر فيها التفاف الشعب بالعرش ، وتجاوبهما العميق فان هذه المناسبة والبلاد قد قطعت مرحلة عشر سنوات من مراحل الاستقلال ، لهي احسن فرصة لتذكير الجيل الفتي الصاعد بالظروف التي تم فيها استقلالنا والجهود المبذولة والتضحيات الموصولة وما اعقب ذلك من نتائج لنزن بالميزان السليم ، والقسطاس المستقيم ما انجزه والدنا المرحوم وانجزناه مع الحكومات المتوالية ، دون اغترار ولامباهاة ولا تشاؤم ولا مغالاة ، وان من شأن تذكيرنا بهذه النتائج واستعراضنا لهذه المنجزات ان يزيدنا قوة الى قوة ، وعزما الى عزم للتغلب على اسباب التخلف خاصة اذا رجعنا قليلا بالذاكرة الى الوراء وقارنا بين الحالة التي كانت عليها البلاد عند اعلان الاستقلال وبما اصبحت عليه بعد مرور عشر سنين فقد استطعنا بعون الله ان نذلل العقبات ، ونسير خطوات ونطوي اشواطا ومراحل نحو اسعاد شعبنا الذي ما فتىء يبادلنا عطفا بعطف ويساجلنا وفاء بوفاء، ويبارينا حبا بحب ، وتلك نعمة من الله كبرى ونعمة عظمى ، تقتضينا في كل آونة وحين ، الحمد الجزيل والشكر الجميل ، فبمجرد ما تحرر المغرب ، وجدنا انفسنا امام مشاكل ، تعين علينا ان نواجهها بما كانت تتطلب من جد وحزم .

مشاكل متعددة الجوانب

ولقد كانت هذه المشاكل متعددة الجوانب متشعبة الاطراف تتلخص في كون المغرب لم يكن يتوفر على جميع الوسائل التي تستوجبها ممارسة السيادة وبعد اعلان الاستقلال وتسلم الحكومة المغربية ، وعلى رأسها ملك البلاد الاختصاصات التي كانت تباشرها مصالح الحماية ، كان علينا محافظة على كياننا الوطني وقياما بما تفرضه السيادة المسعادة ان نحدث عددا من الاجهزة الحكومية والمصالح الادارية كوزارة الشؤون الخارجية ووزارة العدل ، ووزارة الدفاع الوطني ووزارة الداخلية وادار ةالامن الوطني وقيادة الدرك الملكي كما كان علينا ان نعمل على استتباب الامن في اطراف المملكة ، ونشر الوية العدل والطمأنينة والسكينة في البلاد ، بالوقوف في وجه اللامسؤولية ، والقضاء على بوادر الفتنة وطلائع الفوضى وكان علينا فوق هذا كله ان نعد اطارات الاشراف والتسيير ونقيم معالم سياسة خارجية واقتصادية ، ونقدية واجتماعية وان نوجه هذه السياسة الوجهة التي تتفق مع مصالح بلد حر مستقل كما تتفق ومصالح المواطنين الذين حرموا مدة غير قصيرة من الاستمتاع بما هو حق من حقوقهم الطبيعية وقد استلزم هذا كله ، ان تصرف عنايتنا الى سن عدد كبير من القوانين واقامة جم غفير من النظم ، واعادة النظر في طائفة من المؤسسات ولم تكن هذه المشاكل وحدها لتستأثر بعنايتنا واهتمامنا بل عالجنا مشكلة اخرى حرصا منا على استكمال سيادتنا ، وذلك بتحقيق الغاء الامتيازات ، وجلاء الجيوش الاجنبية ، ومما تجدر الاشارة اليه ، ان هذه المساعي والاعمال التي كانت مصروفة الى معالجة مختلف المشاكل واستئصالها لم تكن يسيرة ولا سهلة ، لا سيما وقد كانت الحرب التحريرية دائرة في القطر الجزائري الشقيق ، وكان المغرب بجانب الشعب الجزائري يؤيده في كفاحه ويناصره في جهاده ،

وبالرغم مما كانت تفرضه هذه المؤازرات من التضحيات كان لها اثرها على اقتصاد المغرب وعلاقاته الخارجية فاننا كنا نشعر بارتياح لهذا التأييد واعتزاز بهذه المؤازرة .

نظام يضمن حقوق الجماعات وكرامة الافراد

شعبي العزيز :

اننا لنعلم ان الفضل فى استرداد حريتنا واستقلالنا واستكمال سيادتنا وتثبيت دعائم دولتنا وضمان وسائل الامن لها والاستقرار ، وسن القوانين واقامة النظم وتكوين الاطارات ، كل ذلك يرجع الى عاهل البلاد الراحل والدنا المقدس رضوان الله عليه الذي لم يلتحق بالرفيق الاعلى حتى حقق لشعبه بعض ما كان يطمح اليه وشاهد امته تدرج فى مدارج الرقي وتنتظم فى سلك الامم المتقدمة الناهضة ، ولم يكتف طيب الله ثراه بهذا كله ، بل شرع فى اقامة اسس الملكية الدستورية وذلك بسن القوانين التي تقر وتكفل ممارسة الحريات العامة ايمانا منه رحمه الله بأن احسن نظام تقوم عليه الدولة هو نظام يضمن حقوق الجماعات وكرامة الافراد ، وان من دواعي افتخارنا اننا خضنا بجانبه معركة التحرير والاستقلال ، وشاطرناه السراء والضراء ، وقاسمناه الامتحان والابتلاء ، فلما من الله على هذه البلاد بالنعمة التي كنا واياه نتوق اليها ونطمح خضنا كذلك بجانبه معركة البناء والتشييد ودعم الاستقلال بحكم الواجب الذي كنا نشعر به كفرد من افراد رعاياه ، وكولد بار ، وكولي للعهد قطع الوعد على نفسه بان يستخدم ما آتاه الله من قدرة ومواهب ، فيما يعود على وطنه بالفائدة الحسنة والعائدة المحققة فكنا نشد أزره ، ونصون سره ، ونساهم بحظنا فيما كان بصدده ، ومنصرفا اليه من استقامة دعائم الدولة وتوطيد اركانها وتدبير شؤونها والسهر على مصالحها ، ثم خلفناه على عرش هذه البلاد والقى الله الينا مقاليد امورها فاقتفينا اثره ، وجعلنا من الاهداف التي كانت موضع اهتمامه وعنايته ، اهدافنا ومقاصدنا ، إخذنا على نفسنا تحقيق ما لم يتحقق منها وانجاز ما تفرضه مصلحة الوطن والمواطنين انشاءه وانجازه وان فيما تم تحقيقه وانجازه خلال العشر سنين الماضية فى سائر الميادين الاقتصادية والاجتماعية والذي سنعرضه عليك لما يدعو الى التفاؤل والاستبشار ويؤكد الثقة بحيويتك والايمان بمواهبك والارتياح الى بصرك ووعيك وقدرتك على بذل ما فيه الجهود والقيام بجليل الاعمال .

تدعيم اقتصادنا الوطني

شعبي العزيز :

لقد كان لزاما علينا بعد تحرير سيادتنا ان نعمل لانشاء اقتصاد متحرر ندعم به استقلالنا السياسي ، وقد اتخذنا طيلة هذه المدة عدة تدابير نقدية ومالية واقتصادية الغاية منها توجيه اقتصادنا الوجهة التي توحي بها حاجياتنا الخاصة ، ومصالحنا الوطنية .

فبعد تأسيس بنك المغرب وتكليفه باصدار العملة الوطنية اتجه عزمنا باحداث مؤسسات وطنية اخرى كالبنك الوطني للانماء الاقتصادي ، والبنك الشعبي لانماء الصناعات الصغيرة وتشجيع الصناعات التقليدية ولما توليه الدولة من عناية فائقة للفلاحة انشأنا الصندوق الوطني للقرض الفلاحي ، الذي تولى صرف القروض الى الفلاحين ومساعدتهم على تطوير الفلاحة فى هذه البلاد .

ولم تغفل الدولة عن الدور الذي يقوم به المصدرون فى تسويق منتوجاتنا فانشأنا البنك المغربي للتجارة الخارجية بقصد تقديم القروض والمساعدات للمصدرين والعمل على فتح اسواق جديدة فى وجه المنتوجات الوطنية، واهتماما من الدولة بتطوير الادخار القومي وتنميته ، وتوجيه استثماره الى الميادين المنتجة احدثنا الصندوق الوطني للادخار وربطنا الصلة بينه وبين صندوق الايداع والتدبير الذي يقوم بشتى العمليات الهادفة الى تطوير اقتصاد البلاد وتنمية دخلها وهكذا تم تزويد البلاد فى ميدان السلف بنظم ومؤسسات تعتبر الان العمود الفقري لنشاطنا الاقتصادي ولما تكتسيه الفلاحة من اهمية فى بلادنا وما لتجديدها من اثار فعالة فى مكافحة التخلف قد اوليناها الاسبقية ومنحناها العناية اللازمة ولقد كانت مشاكل الفلاحة فى بلادنا متعددة بسبب وجود قطاعين متباينين احدث الاول لخدمة مصالح الاجانب واهمال الثاني الذي كان يهم معظم الفلاحين المغاربة وقد انصرفت جهودنا الى معالجة هذه المشاكل بما من شأنه ان يقضي على الفوارق ورسمنا منذ فجر الاستقلال سياسة فلاحية تستهدف:

اولا — تنويع الانتاج لسد حاجياتنا الداخلية ومواصلة تصدير منتوجاتنا الفلاحية .

ثانيا — تنمية الانتاج لرفع مستوى الفلاح المغربي والزيادة فى الدخل القومي .

— تشجيع القطاع الفلاحي بالبحث عن اسواق جديدة وانشاء صناعة فلاحية ، وتحديد اسعار المنتوجات الوطنية بشكل يكفل الربح للفلاح .

ولتحقيق هذه الاهداف اتجهت عنايتنا الى اعداد دراسات وافية تشمل جميع انحاء المملكة نذكر منها على وجه الخصوص الدراسات التي تتعلق بنواحي ملوية السفلى وعبدة ودكالة والحوز ولكوس وتافيلالت كما اعدت دراسات اخرى متعلقة بحوض سبو والريف الغربي بمساعدة بعض المنظمات الدولية، وقد كانت هذه الدراسات اساسا لمنجزات هامة في ميدان السقي والتجفيف بمناطق مختلفة كعبدة ودكالة وتادلة والغرب .

قريبا ينتهي العمل في مشروع سد قليلة

وسينتهي العمل قريبا من بناء سد مشروع قليلة خلال سنة 1967 وبانجاز هذا العمل نكون قد اضفنا سدا جديدا الى ما تتوفر عليه البلاد من سدود وان الحماس العظيم والايثار الكبير اللذين استجابت بهما الامة جمعاء لندائنا ودعوتنا الى بناء سد زيز لخير برهان على ارادتها في مساندة عملنا الذي يستهدف تنمية جميع انحاء المملكة المجهزة منها وغير المجهزة .

واما في ميدان البحث الزراعي فقد انصرفت الجهود الى البحث عن انواع النباتات وتركيز زراعة الشمندر ، وتوسيع بالمساحات المزروعة بالقطن واختيار احسن النباتات للماشية .

فبفضل هذه الجهود استطاع المغرب ان يحقق نتائج مرضية فزراعة الشمندر التي تمتد على مساحة تزيد على 13 الف هكتار مكنتنا من تشييد معملي سيدي سليمان وتادلة واعداد العدة لاقامة معامل اخرى ستحقق للمغرب الاكتفاء الذاتي فيما يخص صنع السكر .

ومن جهة اخرى اعتنينا بالمحافظة على ثرواتنا الغابوية فامكن تشجير ازيد من 96 الف هكتار في السنوات العشر الاخيرة واولينا عناية كبرى للتعليم الفلاحي فاسسنا مديرية له ومدرسة للتكوين المهني ودعمنا غيرهما من المؤسسات المختصة في هذا الميدان .

استرجاع 230 الف هكتار من اراضي الاستعمار

وقد استرجعنا 230 الف هكتار من اراضي الاستعمار واعددنا برامج لتوزيعها واستغلالها في نطاق اصلاح زراعي وضعنا خطوطه الكبرى في توجيهاتنا الملكية واولينا للسياحة من الاهتمام والاسبقية مثل الذي اوليناه للفلاحة ، وجعلنا تنميتها هدفا من اهداف تصميمنا الثلاثي .

وقد بدات الجهود المبذولة في هذا الميدان تؤتي والله الحمد ثمراتها المنشودة . امكانياتنا التجهيزية في السياحة ارتفعت بنسبة 62 في المائة ما بين 1956 و1965 وذلك رغم النكبة التي اصيبت بها احدى مدننا السياحية ، واما عدد السياح فقد تضاعف في نفس المدة بنسبة 510 في المائة حيث اصبح عدد الوافدين على بلادنا في سنة 1965 عددهم 455 الف نسمة بعد ان كان في سنة 1955 لا يتجاوز 90 الف نسمة ، وسيرتفع هذا العدد الى 70 الف سائح بتحقيق اهداف تصميمنا الثلاثي .

ونالت حركة التصنيع قسطا كبيرا من عنايتنا فوضعنا لها التخطيطات والتصميمات وجعلناها خلال فترة الاستقلال من بين مشاغل واهداف مخططاتنا القومية .

ولتشجيع هذه الحركة اصدرنا قانون توظيف رؤوس الاموال الذي يكفل الضمانات للمستثمرين ، وقد تم بفضل هذه السياسة انشاء عدد من الصناعات المتوسطة كما انشات الدولة او ساهمت في انشاء عدد من الصناعات الكبيرة اندمجت تمام الاندماج في عموم الاقتصاد الوطني حسب خطة معينة تهدف الى تحقيق استقلالنا الاقتصادي .

وعلى سبيل المثال نذكر من بين هذه الصناعات مصافي المحمدية لتكرير النفط ومصنع السيارات بالدار البيضاء ، والمجموعة الكيماوية باسفي ، ومعامل النسيج ومصانع الذخيرة بفاس والمصانع الوطنية لتكرير السكر .

وان الاموال المستثمرة في قطاعنا المعدني والاطر العلمية والفنية التي جعلت رهن اشارته لكفيلة بان تنمي نشاطه وتجعل منه في السنوات القليلة المقبلة الاداة الصالحة لتطوير صناعتنا وامدادها بما تحتاج اليه من المواد الاولية .

ولقد اقترنت هذه الجهود التي صرفت في ميدان المنجزات الصناعية بمجهودات في المجالات الاجتماعية فاصدرنا القوانين التي تحمي العامل من آفات استخراج المعادن وشيدنا ازيد من 9 000 منزل لفائدة العمال المرابطين بمناجم الفوسفاط ولتعزيز حركة التصنيع التي انتشرت في المملكة بعد الاستقلال دشنا في العام الماضي المجموعة الكيماوية باسفي تلك المجموعة التي تعتبر من اكبر مصانع العالم في تحويل الفوسفاط .

تجارتنا الخارجية

ولتنشيط تجارتنا الخارجية وايجاد اسواق في الخارج ولمختلف منتوجاتنا اتخذنا عدة تدابير ادت الى تسجيل فائض في ميزاننا التجاري كما عمدنا الى تاميم صادرات الحوامض والمعلبات وانشانا جهازا وطنيا لتصديرها وتسويقها .

وقد ضاعفنا الجهود لبناء الطرق وتعهد المراسي، والمطارات والسكك الحديدية وتوسيع الشبكة الكهربائية تنفيذا لبرنامج الانماء وهكذا تم بناء 5250 كلمتر من الطرق الكبرى فارتفع بذلك طولها الاجمالي في المملكة من 400 18 كلمتر الى 650 23 كلمتر وقد اعطيت الاسبقية في هذا المضمار الى المناطق التي لم تكن تتوفر على طرق صالحة وكافية كاقاليم الشمال والمغرب الشرقي والمناطق الجنوبية المتاخمة لجبال الاطلس .

واما الطرق الثانوية فقد شيدت منها آلاف الكيلومترات في مختلف اقاليم المملكة بما يضمن الترابط بينها وانماء حركة المبادلات فيها ؛ ونال تجهيز الموانىء تقدما فائقا في السنوات العشر الاخيرة حيث بوشرت تقوية تجهيز موانىء الدار البيضاء وآسفي وطنجة والمحمدية فارتفعت بذلك الحركة البحرية بنسبة 50 في المائة اذ بلغ مجموع حمولة هذه الموانىء في سنة 1965، 15 مليون طنا بعد ان كان في سنة 1955 لا يتجاوز 10 ملايين طن وقد وضعنا التخطيطات اللازمة لتوسيع المدن والقرى وبناء المساكن الاقتصادية .

ولمكافحة مدن القصدير ، وضمان حياة افضل لمن اضطروا ايام الاحتلال الى السكن فيها فقد شيدنا ازيد من 000 32 منزل بالبيضاء والرباط ، ومراكش وفاس وستتابع في السنوات القليلة الاتية تنفيذ هذه السياسة العمرانية التي تهدف الى القضاء على مدن القصدير قضاء تاما .

ومما يجدر ذكره بافتخار في ميدان التشييد والبناء اننا وفينا بالعهد الذي قطعه والدنا المرحوم غداة النكبة التي اصابت مدينة اكادير فقد توالت الجهود وتواصلت الاعمال لاعادة بناء هذه المدينة الشهيدة حتى استعادت بهجتها ورونقها المأثور وصارت تهوي اليها مرة اخرى افئدة الزوار والسائحين ، ونغتنم هذه المناسبة لنشيد مرة اخرى بجميع الهيئات والمنظمات الدولية والصديقة التي ساهمت في محو آثار الفاجعة واعادة الحياة الى عاصمة اقليم سوس العزيز ، كما ننوه بروح التضامن التي سادت جميع افراد شعبنا مدنيين وعسكريين الذين عملوا بجد واخلاص وايثار على تضميد جراح اكادير وبعثها من جديد .

وقد صرفنا العناية الى توفير الاطر الفنية والمهنية التي لم يكن لها وجود يذكر قبل الاستقلال وهكذا تم تكوين 204 من المهندسين في الاشغال العمومية كما يجري الان اعداد 130 مهندسا آخر وقد تخرج ايضا 1583 تقنيا التحقوا فورا بالمصالح الفنية والادارية التابعة لهذه الوزارة .

ونظرا لما للمواصلات السلكية واللاسلكية من اثر في نمو البلاد فقد عملنا على تقويتها في المدن والقرى بالمملكة حتى اصبح عدد المشتركين في الهاتف يناهز مائة الف بعد ان كان في سنة 1955 لا يتعدى 59000 وبلغ عدد المكاتب التليفونية 503 بدل 383 في بداية الاستقلال .

ولما كانت مغربة الاطر من اهم المشاكل التي واجهتنا فقد انصب اهتمامنا على تكوين الاطر الفنية والادارية واصبحت وزارة البريد بفضل ذلك تتوفر على الفنيين والاداريين الكافين للاشراف على شؤونها وتعهد امورها ، ولقد عكفت مصالح البريد على تزويد اجهزتنا السلكية واللاسلكية باحدث المكتشفات فتم تزويد المدن بالاجهزة الحديثة بدل الاجهزة العتيقة وتاتي بذلك ربط مدينة الرباط عاصمة المملكة بكيفية اتوماتيكية بمدن فاس ومكناس والقنيطرة ، والمحمدية ، والدار البيضاء ، والجديدة ومراكش .

الانعاش الوطني

وقد بذل الانعاش الوطني الذي حظي برعايتنا الخاصة منذ تاسيسه جهودا جبارة فاعطى بذلك الدليل على فعاليته وحسن تنظيمه ، وان المنجزات

العمرانية التي تم القيام بها في نطاق هذه التجربة الوطنية لتدعو الى الارتياح والتفاؤل ، ففي ميدان السقي تم تشييد واصلاح ما يقرب من 35 000 كلمتر من السواقي الامر الذي ساعد على سقي خمسين الف هكتار كما بنى عمال الانعاش الوطني 180 حوضا و30 خزانا وسدين امكن بواسطتها تخزين الماء وسقي آلاف الهكتارات وفي ميدان استصلاح الاراضي تم احياء 35 000 هكتار وتشييد 110 كلمتر من الحواجز لحماية الحقول من الفيضانات وتم في نطاق الاستثمار الزراعي غرس ازيد من 110 ملايين شجرة ، وقد شارك الانعاش الوطني في استكمال تجهيزاتنا الاساسية فشيد : 15 000 كلمتر من طرق المواصلات وشارك بصفة فعالة في بناء 2260 فصلا مدرسيا و1210 منازل للمعلمين و6 000 منزل آخر في نطاق محاربة مدن القصدير .

جهود عظيمة في ميدان التعليم

ولقد كان تعليم ابنائنا في طليعة المشاغل التي استأثرت بقسط وافر من اهتمامنا وان الاشواط البعيدة التي قطعناها في هذا الميدان لتبعث على عظيم الارتياح والاطمئنان ، وتنبىء بوقوع نهضة شاملة في مختلف مرافق الحياة الوطنية ، وتتجلى هذه النهضة الثقافية في الجهود التي بذلناها في سبيل تعميم التعليم وتوحيده وتعريبه ، ففي مجال التعليم اصبح عدد التلاميذ والطلاب يناهز 1 300 000 بعد ان كان في سنة 1955 لا يتعدى مائتين وثلاثين الفا ، ولم يتأت الحصول على هذه النتيجة السارة الا بفضل الجهود التي بذلت في تشييد عشرات المدارس كل سنة حتى بلغ عدد الاقسام التي شيدت لحد الان 9320 ، وحرصا منا على تكوين المعلمين اسسنا عددا من المدارس وتخرج منها حتى الان ما يزيد على عشرة آلاف معلم ، ولمواجهة تزايد عدد السكان نص التصميم الثلاثي على استقبال : 300 000 تلميذ في السنة الدراسية المقبلة .

تعميم التعليم

ولئن كان تعميم التعليم هدفا من اهدافنا لنشر الثقافة والوعي فان تعريبه كان وما يزال غاية من الغايات التي نرمي اليها ، وقد تسبب تنوع التعليم واختلاف مناهجه في العهد البائد في خلق مشاكل لم تستطع التغلب عليها الا بنهج سياسة التوحيد والعمل على تنفيذها تدريجيا .

وقد كلفتنا السياسة التي سلكناها والتي كانت هدفا من اهدافنا قبل الاستقلال وبعده لتعميم التعليم وتوحيده وتعريبه نفقات باهظة ارهقت كل عام كاهل ميزانيتنا بيد اننا ننتظر من هذه السياسة النتائج التي لها وسيظل لها الاثر الحميد على جميع مرافق الدولة .

واذا كنا نولي التعليم جميع هذه العناية ونصرف له كل هذا الاهتمام ونتحمل في سبيله هذه التكاليف والتضحيات فليس المقصود من هذا كله ان نترك لتلاميذتنا وطلبتنا الحبل على الغارب بل اننا عازمون على تقديمهم وتثقيفهم بالمعنى الصحيح حتى يكونوا مواطنين صالحين يقدرون مسؤولياتهم ويؤثرون المصلحة العامة ويتجنبون كل زيغ لا يحمدون مغبته وانحراف لا يأمنون عاقبته ، والى جانب اهتمامنا بتنوير اذهان رعايانا حتى يكونوا قادرين على فهم مشاكل الحياة وحلها اعطينا عناية مماثلة للميدان الصحي .

مجهودات في الميدان الصحي

وتتجلى المجهودات المبذولة في هذا الميدان في عدد المستشفيات والمستوصفات التي احدثت خلال فترة الاستقلال فبعد ان كان المغرب لا يتوفر الا على 145 مستشفى و38 مركزا صحيا و47 مستوصفا و101 مركزا قرويا و177 مستوصفا قرويا اصبح الان يتوفر على 160 مستشفى و67 مركزا صحيا و126 مستوصفا و127 مركزا قرويا و416 مستوصفا قرويا ، اما عدد الاسرة فقد ارتفع من 16 000 الى 23 000 سريرا .

كما تتجلى هذه المجهودات في الميزانية التي تخصصها الدولة لصحة ابنائها فبينما كانت المبالغ المخصصة للصحة العمومية لا تتعدى 89 900 000 درهم اصبحت في سنة 1965 تساوي 209 300 000 درهم .

ولما كانت هذه السياسة تتطلب مزيدا من الاطباء والمرضين فقد اسست الدولة كلية للطب وانشأت عددا من مدارس التكوين وعملت على ايفاد بعثات تعليمية الى الخارج فكان من نتائج ذلك ان اصبحت البلاد تتوفر على ازيد من 200 طبيب و2000 ممرض وممرضة من ابنائها .

وقد انطنا غداة الاستقلال بوزارة عموم الاوقاف مهمة بناء المساجد وتجديدها وتنظيم دروس الوعظ والقيام بخدمات في الميدان الاجتماعي فتعددت المساجد وتوالت حملات الارشاد ولقد كانت الاعتمادات المخصصة

لاصلاح وبناء المساجد في سنة 1955 : 000 565 درهم فاصبحت بعد مرور عشر سنوات : 000 030 5درهم وبلغ عدد المساجد التي وقع بناؤها واصلاحها بالمدن والقرى 9940 مسجدا بغية سد الفراغ الذي كان يشكو منه شعبنا ايام الاحتلال .

اطـــر ... وتشريعـــات

وانكم لتعلمون اننا اتجهنا منذ فجر الاستقلال الى تنظيم ادارتنا واعداد الاطر اللازمة لتسيير مرافق الدولة فاصدرنا التشريعات الكفيلة بمغربة الادارة وتعريبها ونظمنا شؤون الموظفين بتحديد واجباتهم وحقوقهم ، وبعد ان نشرنا توجيهاتنا الملكية واحدثنا وزارة للشؤون الادارية اسندنا اليها المهام التي تضمنها باب الادارة من هذه التوجيهات .

وشعورا منا بالدور العظيم الذي يقوم به العملة في ميدان البناء والتشييد سعينا جاهدين منذ اعلان الاستقلال الى تحقيق المشاريع وتنفيذ البرامج الانمائية لتشغيل اكبر عدد واحاطتهم بالضمانات والحريات التي تكفل لهم حياة الكرامة والعزة وهكذا اصدرت التشريعات المتعلقة بقوانين الشغل وحماية العمال واقرار نظام الضمان الاجتماعي الذي يجعل عمالنا في مامن من الفاقة في حالة العجز عن الاكتساب وقد توسع نطاق هذا النظام ليشمل جميع عمالنا مهما اختلفت الميادين التي يشتغلون فيها .

اهتمـــام بالمقاومـــين

ونظرا لما لنا من عطف ابوي خاص على المقاومين الذين لبوا نداء وطنهم وملكهم وابلوا البلاء الحسن في سبيل تحرير بلادهم اولينا شؤونهم اهتماما خاصا وسهرنا على مصالحهم وحقوقهم فانشانا كتابة للدولة في شؤون المقاومة والتحرير واصدرنا التشريعات التي تعترف للمقاومين بصفة المقاوم وتكفل لهم بعدد من الامتيازات والحقوق .

ولقد امكن بفضل هذه التنظيمات والتشريعات ايواء وتعليم ازيد من 600 من ابناء الشهداء كما امكن توظيف 000 8 مقاوم في مختلف الوزارات والمصالح وتوزيع 600 رخصة تنقل وصرف مئات المعاشات لاسر الشهداء والمنكوبين .

تنظيـم جهـاز القضـــاء

واذا كانت العدالة الاجتماعية نالت حقها من العناية والاهتمام فان هذه العدالة الاجتماعية لا تكون مستوفية لجميع معانيها الا بصيانة حقوق الفرد وكرامته وحرياته ولاجل هذا انصرفت عناية والدنا المنعم رضوان الله عليه الى شؤون العدل والقضاء لتنظيم جهازه وتكوين رجاله واصلاح قوانينه .

فعندما استرجع المغرب استقلاله وسيادته وجدنا امامنا قضاء مبنيا على اختلاط السلط وتداخلها وتعدد انواع المحاكم وتشعب التشريع زيادة على تقسيم المغرب الى مناطق تطبق فيها تشريعات مختلفة .

مبـدا فصـل السلط

فبمجرد ما رجع والدنا المقدس من منفاه اقر مبدأ فصل السلط فالغى محاكم الباشاوات والقواد والمحاكم العرفية واحدث محاكم عادية واخرى شرعية امتد اختصاصها الى جميع انحاء المملكة .

وابرازا لسيادة القضاء المغربي وقطع كل صلة بينه وبين العهد البائد تم تاسيس مجلس اعلى مهمته توحيد الاجتهاد القضائي بمجموع المحاكم بالمغرب عن طريق تاويل النصوص التشريعية والتنظيمية تاويلا مغربيا محضا .

ولتنظيم سلك القضاء في المملكة صدر ظهير شريف يخول لقضاتنا اقوى الضمانات التي لم يلبث الدستور ان اقرها كما اقر المجلس الاعلى للقضاء وتظم اعماله .

ولما كان هدفنا الاسمى هو توحيد القضاء توحيدا تاما ، وضعنا في السنة الماضية طابعنا الشريف على قانون توحيد وتعريب ومغربة القضاء وقد دخل هذا القانون في حيز التنفيذ اذ اصبحت محاكمنا موحدة معربة يسيرها قضاة مغاربة .

مراجعة القوانين التي وضعت ابان الحماية

وتسهيلا لمهمة القضاة ورعيا لمصالح المواطنين عهدنا الى وزيرنا في الشؤون الادارية بمراجعة القوانين التي وضعت ابان الحماية واعداد قوانين جديدة تستمد روحها من مقوماتنا الدينية وتقاليدنا القومية مع مراعاة روح العصر ومتطلباته .

ومن البديهي ان الاعمال البناءة سياسية كانت او اقتصادية او اجتماعية لا يمكن ان تؤتي ثمراتها المنشودة الا اذا كانت سيادة الوطن مصونة ومقوماته محفوظة وسلامة السكان وحرياتهم مضمونة .

لقد اتجهت همة والدنا المنعم رضوان الله عليه الى تاسيس القوات المسلحة الملكية وتنظيمها التنظيم الصحيح الذي يمكنها من القيام بدورها في حفظ كياننا والدفاع عن حدودنا .

ولقد ظلت هذه القوات محل رعايتنا واهتمامنا فبعد ان انشانا وحداتها وزودناها بالاسلحة والمعدات الضرورية انصرفنا الى تكوين اطر وفنييها

فأوفدنا عدة بعثات منها الى الخارج واحدثنا عـــدة مدارس في الداخل وبذلك استطعنـــا ان نحيطها باطـــر مغربية مقتدرة تحسن قيادتها وتضطلع بمسؤوليتهـــا بكل حزم وثبات وحماس .

امتحانات لقواتنا المسلحة

ولقد امتحنت احداث مختلفة احداث اجتماعية، واقتصادية وعسكرية قواتنا فكان جنودنا الميامين مثالا رائعا للاقدام والشجاعة ، والتمسك بالقيم والمبادىء الساميـــة .

واننا لنغتنم هذه المناسبة لنشيد برجال قواتنا المسلحة وبسائر قوات الامن من درك وشرطـــة وقوات احتياطية الذين لا يفتأون يصرفون نشاطهم في حماية التراب الوطني والدفاع عن حوزة البلاد والمحافظـــة على امنها والاسهام في تنفيذ المشاريع الاجتماعيـــة والعمرانيـــة فيها .

الخدمة العسكرية الاجبارية

ومن دواعي مسرتنا ان نزف اليوم الى شعبنـــا الوفي بشرى اقرارنا للخدمة العسكرية الاجباريـــة ، ولقد استهدفنا من وراء هذا القرار تكوين المواطـــن تكوينا اساسيـــا يستطيع معه القيام بواجب الدفاع عن حوزة البلاد وتكوينا فنيا ومهنيا يرفع مستـــواه الاجتماعي ويؤهله للمساهمة في النمو الاقتصادي كما استهدفنا علاوة على ذلك تقوية روح الامتثـــال ومزايا الاخلاص والايثار بين افراد شعبنا المفروضة عليهم هذه الخدمة ، ولنا وطيد الامل في ان الخدمة العسكريـــة الاجبارية ستنمي في شبابنـــا المتوثب روح الرجولـــة وخصال الشهامـــة والمروءة وتجعـــل منـــه شبابـــا مستقيما يتبارى في اداء الواجب ويتسارع الى حمـــل اثقـــل الاعبــــاء .

وقد اصبحت اجهزة الاعلام في العصر الحديـــث تلعب دورا هاما في تثقيف السكان وتنوير عقولهـــم وتقريب الحاكمين من المحكومين واطلاع الراي العـــام في الداخل والخارج على فلسفة الدولة ومشاريعهـــا ومنجزاتها .

واقتناعا منا باهمية هذا الدور دعمنـــا وسائـــل الاعلام وعززناها بانشاء تلفـــزة اصبحت شبكتها تتسع باستمرار وسعينا في تقوية الاجهزة وتجديدها لتصير بذلك وسائل اعلامنا معبرة احسن تعبير عن التطـــور الشامل الذي تشهده بلادنا .

وفي الميدان الخارجي استطاع المغرب ان يستعيد مكانته الدولية وفي نيته ان يسهم اسهاما فعالا في اقرار الامن والسلم واشاعة روح التفاهم والتعاون والوئام بين مختلف الشعوب صغيرها وكبيرها .

علاقاتنـــا الخارجيـــة

وكنا ولا نزال متمسكيـــن في سلوكنا الدولـــي وعلاقاتنا بكافة الامم والشعوب لميثاق الامم المتحدة عاملين بكل الوسائل على دعم المنظمة الاممية ونصـــرة المبادىء الساميـــة التي قام عليها كياننا ولقد اقمنـــا وما زلنـــا نقيم علاقاتنـــا ونبني معاملاتنا مع الدول الاخرى على اساس الاحترام المتبادل والرغبـــــة في التعاون المتكافىء والحرص على عـــدم التدخـــل في الشؤون الداخلية للامم الاخرى اذ الهدف الاسمـــى الذي نتوخاه هو الاستقرار والنماء والازدهـــار لشعبنا ولكافة شعوب العالم .

وعلى هذا الاساس اوضحنا راينا في مسائـــل التعاون وتبادل المنافع مع كل الاقطار التـــي ارتبطنـــا بها منذ فجر الاستقلال معطين بذلك لمبدا عدم الانحياز نفسه مدلولا حقيقيـــا وجاعلين من مضامينه المحافظة على مصالحنـــا العليـــا والتمسك بحريتنا واستقلالنـــا ومناصرة الحرية ومعاداة السيطرة والعدوان وبفضـــل ذلك اصبح لبلادنا مكانتها في المجتمع الدولي ومركزهـــا بين الشعوب النامية المتعطلة الى الرخاء والتقدم فغدت عضوا نافعا في المحافل الدولية وتحملت نصيبهـــا من اعباء الرسالة الانسانية طبق ما يفرضه عليها تاريخهـــا الحافل وموقعها الجغرافي الممتاز .

وحـــدة المغـــرب العربـــي

وفي نطاق المبادىء العامة التي اشرنا اليها سعينا ونسعى جادين لبناء وحدة المغرب العربي والاتصـــال والتعاون المستمر بين اقطارها في المجالات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية وغيرها على اساس التكامـــل والتنافس كخطوة ايجابية اولى لتحقيق مغرب كبيـــر وقد عقدت لهذه الغاية عدة مؤتمرات اجتماعيـــــة في اقطار المغرب العربي الاربعـــة وضعت خلالها الاســـس الكفيلة بتحقيق ما تصبو اليه شعوبه من تقدم وازدهار وتعاون ووحدة ، وان هذه المساعي والجهود التـــي بذلناها في نطاق المغرب العربي لمن شأنها ان تزيـــد في توطيد دعائم التعاون والتضامن بيـــن بلادنـــا ودول الجامعة العربية من جهة والدول الافريقية من جهـــة اخرى ففي ميدان العمل العربي رسمنا لبلادنا طريقا لا تحيد عنه وهو دعم التضامن وتيسير اسبابـــه اذ في ذلك ما يعزز العرب في نضالهم من اجل تحرير فلسطين واعادتها الى كيان الامة العربية وكذلك تحرير الاجزاء المغتصبة من وطننا العربي التي لم تنل استقلالها بعد وقد انعقد في صيف السنة المنصرمة ببلادنا وبدعوة منا المؤتمر الثالث للملوك والرؤساء العرب فاسفر هذا اللقاء

الكبير عن توقيع ميثاق التضامن العربي واتخاذ قرارات هامة اخرى لخير الامة العربية .

واضطلع المغرب ويضطلع في افريقيا برسالته التي يفرضها عليه موقعه وتاريخه ومكانته في هذه القارة ، وتتميز مواقفنا في اجتماعات منظمة الوحدة الافريقية بتأييد الشعوب المناضلة في سبيل حريتها واستقلالها وبادانة الميز العنصري .

وبسبب مواقف المغرب المتسمة بالحكمة والاتزان وسعيه المتواصل لتوطيد اسباب التقارب والتعاون بين الامم والشعوب حظي بمكانة مرموقة على الصعيد الدولي وخاصة في منظمة الامم المتحدة التي انتخبت المغرب عضوا في كثير من المؤسسات التابعة لها كمجلس الامن والمجلس الاقتصادي والاجتماعي وغيرها

شعبي العزيز :

تلك خلاصة الجهود التي بذلها والفنا المنعم وبذلنا نحن من بعده لخير شعبنا ورقي وطننا واذا كنا خصصنا بالذكر بعض المؤسسات والمنجزات وسقنا جانبا من الارقام والاحصاءات فقد فعلنا ذلك على سبيل الاستشهاد والتمثل لا على سبيل القطع والحصر لان تلك الارقام لا تعبر عن كل ما انجزناه وحققناه خلال هذه السنوات العشر من جهادنا في سبيل بناء الاستقلال .

وقد اصدرنا اوامرنا الى بعض وزاراتنا بطبع كتب خاصة تقتصر على تبيين ما عمل في الميادين التي تخصها وسيلمس الناس من خلال هذه المطبوعات الفرق بين ما كنا عليه بالامس وما اصبحنا عليه اليوم ويحسون بسعة الخطوات وبعد المسافات التي تطلعناها والتي اصبحت تفصل بين عهدين .

انسجام ومبادىء

وان من امعن النظر في هذه المنجزات ليجدها كلها منسجمة تمام الانسجام مع ما لنا من مبادىء وتقاليد ومعتقدات مسايرة كل المسايرة للفكرة التي آمنا بها جميعا وكافحنا لتحقيقها فكرة اقامة ملكية دستورية ديمقراطية واجتماعية واقتصادية في هذا البلد العزيز ينعم المواطنون في كنفها الرحب بكل الحقوق والحريات ويحيون تحت ظلها الوريف آمني السرب موفوري الكرامة .

شعبي العزيز :

لقد ابرزنا في العرض الذي سقناه والبيان الذي اوضحناه ما تم لنا انجازه في اثناء العشر سنوات المنصرمة واننا لنحمد الله على ما هدانا الى تحقيقه من مطالب واعاننا على ادراكه من رغائب بتعاون وتماسك واتحاد بيننا وبينك ، ولقد كنا نود ان تكون الغايات التي بلغناها والمقاصد التي ادركناها اوسع مدى واكثر عددا ، الا أن من شان النظرة الفاحصة المستقصية ان تبين ان التحول الذي عرفته الاوضاع المغربية منذ عشر سنين والانتقال من وضعية الحجر والحماية الى وضعية الحرية والاستقلال كل هذا القى على كاهل الدولة اعباء ثقيلة ووضع في سبيلها مشاكل لم يكن مناص من مواجهتها وايجاد الحلول لها واداء ثمنها ، فاذا اضفنا الى ما ذكرناه ازدياد عدد السكان مملكتنا بنسبة تقارب الربع مع ما يستتبعه ارتفاع هذا العدد من تضاعف الحاجيات ووجوب العمل على ارضائها بالاسعاف والتعليم والاسكان والتشغيل في وقت لم يرتفع فيه مستوى الانتاج والدخل القومي بالنسبة المتوخاة ، فاذا اضفنا الى كل هذا استبانت لنا الصعاب وسهل فهم الاسباب الداعية في كثير من الاحيان الى امعان النظر والبحث الطويل بغية اختيار انجع طرق العلاج واوفق الحلول وتجنب اخطاء من سبقونا الى ممارسة شؤون السيادة ومزاولة مهام الاستقلال .

الطريق ... طويل

لئن كان فيما انشأناه وابتكرناه وجددناه في هذه الفترة التي اعقبت استرجاعنا لاستقلالنا واستعادتنا لحريتنا ما يصح به الاعتزاز والافتخار فان الطريق الممتدة امامنا طويل والعمل الذي ينتظرنا شاق وعسير والاهداف التي تترامى اليها انظارنا وتتعلق بها مطامحنا تتطلب منا سعيا لا ينقطع وجهدا لا يفتر وحماسا لا تخبو جذوته ، فقد صار لزاما علينا ان نتعهد في كل حين ما شيدناه وبنيناه ونفكر تفكيرا مقرونا بالعمل في تدارك النقص لاستكمال ما ليس بكامل وتنظيم ما لم يتم بعد تنظيمه وانشاء ما لم يقع لحد الان انشاؤه والاعمال التي نحن مطالبون بالقيام بها اليوم كما نحن مطالبون بانجازها غدا اعمال تحسين وابداع واتمام وتدبير وتحويل وتغيير وهي اعمال دائبة مفروض علينا ان لا نفرغ من احداها الا لمباشرة العمل الذي يليه امتثالا لارادة الكمال الكامنة في نفسنا وارضاء للحاجة الملحة علينا الى رفع مستوى البلاد واعلاء شأنها واحلالها في المقام الاسنى والصف الاسمى بين الدول التي تقام لها الاوزان وان احوج ما انت محتاج اليه شعبي العزيز ان تفحص نفسك فحصا دقيقا وتقتري مواطن الضغط فيها وتروضها على تجشم المكاره وركوب الصعب وتقوم منها ما ليس بمستقيم وتصلح منها ما ليس بصالح وكلما صحت العزائم وخلصت النيات وسلمت القلوب من الشوائب

امكن تسخير الطاقات في الوجوه النافعة والاغراض الناجعة وصرفها عن مجالات التبديد والتبذير التي لا يرجى منها خير في حال والامال .

شعبي العزيز ان ركب الحضارة البشرية سائر في طريقه لا يلوي ولا يعرج ولا يقف ولا ينتظر فعلى بلادنا ان تحث الخطى وتغذ السير وتقطع المراحل وتطوي الاشواط ليكون لنا وزن ملحوظ ومقام مشهود ومكان محمود بين الامم الدارجة في مدارج التقدم والرقي واعلن ان الاجيال المقبلة ستتصفح اعمالنا تصفح تمحيص لا يهاود ولا يجامل، فلنعمل على ان يكون سجل اعمالنا حافلا بما يكفل لنا الذكر الجميل والصيت الذائع والاحدوثة الحسنة ويفضي بابنائنا واحفادنا الى الحكم لنا والاعتزاز بنا واقتفاء اثرنا والاستعانة فيما سيطوقون به من مهام بما عبدناه من طريق ويسرناه من سبيل وهيأناه لهم من وسائل المضي قدما بالبلاد نحو المصير المرموق .

وان اهم ما يجب ان نهتم به هو ان تحدد الغايات والمقاصد وترسم السبيل الى بلوغها والافضاء اليها ومن شان تضافر الجهود وتكاثف المساعي ان يساعد على القيام بجميع وجوه العمل في هذا المضمار ، وقد كنا ننتظر من وراء الاطار الدستوري الذي اقمناه ان يكون كفيلا بالمؤازرة المطلوبة والمساعدة المنشودة بيد ان احداث هذا الاطار لم تفض ببعض مؤسساته الى النتيجة المتوخاة فاضطررنا الى تطبيق حكم من احكام الدستور لاعلان حالة الاستثناء واستئناف مزاولة امور الدولة بنفسنا ، ولم يكن اعلان حالة الاستثناء غاية اردناها لنفسنا وانما كانت وسيلة لنرد الامور الى نصابها والمياه الى مجاريها ونقيم دعائم دستور البلاد على اسس جديدة واركان وطيدة خليقة بان تعطي للديمقراطية في وطننا المدلول الصحيح الذي نريده لها ونتوخاه من ورائها .

ما بين العرش والشعب من صلة ليس وليد اليوم

شعبي العزيز

ان ما بينك وبين عرش هذه البلاد من صلة وشيجة واواصر متينة ليس وليد اليوم بل ان هذه الصلة وهذه الاواصر استمرت عبر الدهور وامتدت مدى الازمان والعصور فكان الاستمرار ولا يزال دليل استمرار شعورك بالواجب نحو وطنك وبرهانا على شديد وعيك وسديد بصرك بمصالحك ولم يفت اسلافنا المنعمين ادراك هذه المزايا فبادلوك وفاء بوفاء واستمروا من جهتهم دائبين على رعاية حقوقك والسهر على مصالحك وشؤونك وحامين لحماك وذادين عن حوز ترابك .

فكما ورثت عن ءابائك واجدادك مزية الوفاء وسجية الاخلاص فقد ورثنا نحن من آبائنا واجدادنا المقدسين رضوان الله عليهم العناية بك والرعاية لك والعطف عليك والثقة بامكانياتك ومواهبك فلما القى الله الينا زمام امرك وقلدنا بتصريف شؤونك الزمنا انفسنا بان نكون العامل لدوام الدولة واستمرارها والحامي لحمى الدين والساهر على صيانة حقوقك وحرياتك والضامن لاستقلال البلاد وحوزة المملكة في في حدودها الحق .

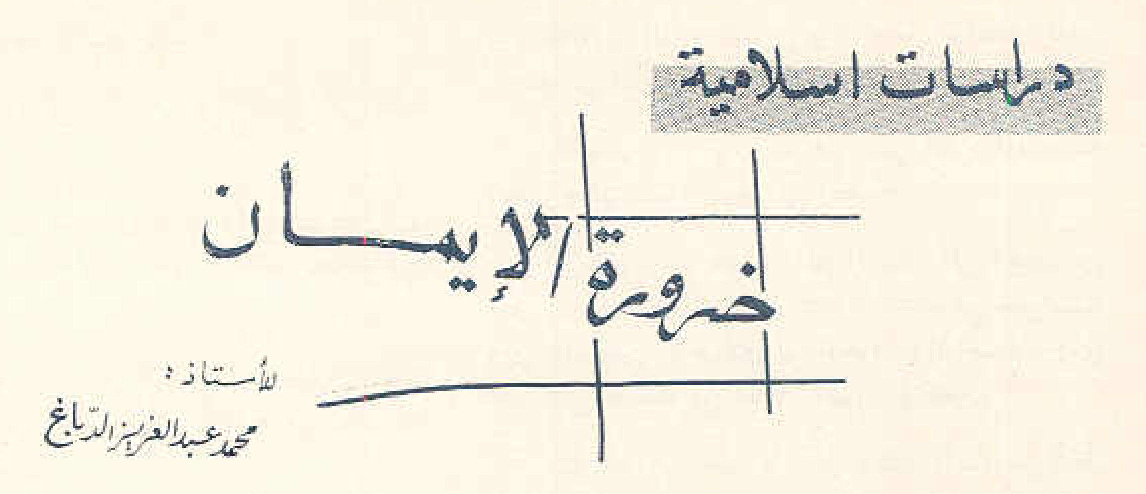
والى الله العلي القدير اتوجه في نهاية هذا الخطاب مبتهلا اليه ان يديم علي نعمة اداء هذه الامانة والاضطلاع باعباء ما التزمت الوفاء به والقيام به كما ابتهل اليه ان يجمع كلمتك على الحق ويوحد صفوفك ويشد ازرك ويطهر الطوية منك والسرائر ويبقي العرش والشعب قوة متماسكة متضافرة لا تتهيب الاعباء وان ثقلت والمسؤوليات وان جلت وعظمت .

شعبي العزيز

في هذا اليوم الذي يشهد احتفالنا بذكرى اعتلائنا عرش اسلافنا الكرام المقدسين وذكرى فوز المغرب باغلى امانيه تهيمن علينا وعليك ذكرى ذلك البطل الذي استرخص كل عرق نفيس ووهب حياته بسخاء في سبيل اعلاء شأن وطنه لا يخشى لومة لائم ولا يهاب بطشا ولا مكرا حرك الهمم وشحذ العزائم وقاد المعركة حتى فتح الله على يده الكريمة ما كان مغلقا ويسر لهمته العالية ما كان مستعصيا فاعاد للبلاد عزها وحرمتها وللوطن كرامته ومجده ، ذلك البطل هو من عرفت شمائله وفضائله في السراء والضراء وحين البأس هو زعيم كفاحك وجهادك محمد الخامس فقد كنت شغله الشاغل وهمه المقيم يسهر لتنام قرير العين ويزهد في الراحة لتستمتع انت بالسكينة والدعة والاطمئنان ، اللهم اغدق عليه رحمتك وغفرانك واسبغ عليه نعمتك ورضوانك واثبه اجزل الثواب وجازه احسن الجزاء ووفه اجر العاملين المصلحين وبوئه اعلى درجات عليين انك ولي المؤمنين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

ربنا اننا نستزيد من نعمك بحمدك وشكرك ونلتمس توفيقك وهدايتنا منك بفضلك ونضرع الى جلالك ان تكون لنا في جميع اعمالنا لصالح امتنا واسعاد وطننا وليا ونصيرا ومعينا وظهيرا ، ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن ، ربنا لاتزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب .

صدق الله العظيم والسلام عليكم ورحمة الله .



ضرورة الإيمان

للأستاذ :
محمد عبد العزيز الدباغ

ما احوج الانسان في هذه الحياة الى الاطمئنان والسعادة والاستقرار النفسي ، ما احوجه الى الشعور بالتاخي والتعاون بين افراد نوعه .

ما احوجه الى ايجاد التعادل بين رغبات نفسه ورغبات جسده .

الانسان في الحقيقة محتاج الى كل ما ذكرناه ولكن الطريق التي يسلكها لتحقيق ذلك يجب ان يختارها وان يتعمق في معرفتها وان يستكشف اسرارها بكل جد وتأمل .

اذا فقد الانسان التأمل والتفكر خسر وجوده ، خسر سعادته ، التفكر في مظاهر الطبيعة في نظام الكون في ذات الانسان نفسه في اعماقه في غرائزه في مصدر وجوده في ارتباطه بالكون .

الانسان لا بد له من التفكير والا سقط صريع هواه وشهواته .

لماذا يجب على الانسان ان يفكر ؟ لماذا يجب عليه ان يتأمل ؟ لان تعطيل هذه القوة في الانسان يزيغ به عن طريق الحق ويميل به عن سبل الهداية .

الانسان يشعر دائما بانه مرتبط باخيه الانسان ويحس بالمصالح المشتركة بين افراد هذا النوع ويرى ضرورة ايجاد قوانين عامة تتحكم في غرائزه وشهواته .

الانسان اناني بطبعه يريد التسلط على الاخرين ، يريد قهرهم والاستيلاء عليهم يريد ارضاء رغباته دون ان يكون هناك حاجز يمنعه .

تلك طبيعته !

يريد ان يكون حرا لا قيود لحريته ، ولكن ليس في الامكان ان تستجاب جميع رغباته، وليس من المصلحة ان تستجاب هاته الرغبات ، لان مصلحة المجموع في تلك القيود التي تسلط على الفرد .

اذا شعر الانسان بقيود تقف دون ارادته وحريته فانه ءانذاك يشعر بوجود غيره ، واذا احس بوجود غيره دفعه هذا الاحساس الى العمل من اجل ايجاد نظم اجتماعية وخلقية وقوانين عامة تربط بينه وبين الاخرين .

اصل الانظمة الاجتماعية والخلقية والاوضاع القانونية مرتبط بهذا الاحساس الغيري ، ذلك ان هذا الاحساس الغيري هو العامل الاساسي في المصلحة الذاتية ايضا .

اصل السلام ايجاد التعادل بين الشخص وغيره .

لا اطمئنان في العالم اذا لم يوجد تعادل بين هذين القوتين : بين القوة الغريزية التي تدفع الانسان الى حب ذاته وبين القوة التهذيبية التي تصده عن الشهوات

الانسان اذن محتاج الى البحث عن الوسائل التي تهيء له التعادل المطلوب ، الى البحث عن الطريق التي توحد بين افراد الانسان وتنشر بينهم المودة والرحمة وتحمي بعضهم من بعض ، الى البحث عن الانظمة الصالحة التي تحفظ للعالم كيانه وتريحه من ويلات الظلم والتعفن .

ولكن اين يجد الانسان ذلك ؟

الى اي شيء يركن اذا رغب في البلوغ الى هاته الاهداف ؟

هل يستطيع ان يصل الى هاته الغايات دون ان يكون هناك حافز يدفعه الى الخير او قامع يبعده عن الشر ؟

هل يستطيع ان يصل الى هاته الغايات دون الالتجاء الى الايمان بالله ، ودون الامل في ثوابه والخوف من عقابه ؟

اسئلة عامة تواجه الانسان في كل حين

اسئلة كانت سببا في ايجاد نظريات مختلفة وفلسفات تكاد تكون متباينة .

اسئلة ستظل قائمة الى الابد .

اسئلة ادت الى الحق والايمان واليقين وادت الى الباطل والشك والالحاد .

ولكنا في الحقيقة يجب ان نضعها امامنا وان نسبر غورها وان نبحث في اعماقنا عن الحل الذي يلائم شعورنا وفكرنا .

الانسان ليس جسما فقط ولا عقلا فقط ولا روحا فقط ، ولكنه مزيج بين ذلك

يجب على الانسان عند البحث عن الحلول الصالحة لهذه الاسئلة ان يمزج بين عناصر تكوينه وان يربط بين عقله وشعوره بين فكره ووعيه بين جسمه وروحه وءانذاك يصل الى الحقيقة .

ان كثيرا من الاخطاء التي تقع لبعض الباحثين ترجع الى كونهم يغمطون بعض الجوانب في تكوينهم فتنحرف نتائجهم وقد تكون تلك الاخطاء مبنية على الثقة المطلقة في الحواس او العقل دون الوقوف عند حدوده مع ان الحواس قد تخدع الانسان احيانا والعقل قد تبطل احكامه ، فقد يثبت ما كان يعده مستحيلا او ينفي ما كان يعده من قبيل الممكن

لذلك نرى ان الحل السليم الذي نستطيع ان نواجه به الحقيقة وان نحافظ به على التوازن العالمي وان نحفظ به النوع البشري وان نحقق بواسطته الخير يرجع الى الايمان .

الايمان بالله نور يشع في نفس الفرد فيلهمه الخير ويلهب فيه الشوق الى الفضيلة

الايمان بالله عقيدة تدفع الانسان الى العمل من اجل الخير خوفا من عذاب الله او رجاء في مغفرته واي ضير على الاخلاق من الخوف والرجاء ، واي ضير على الفضيلة من انتظار الثواب والعقاب .

سيقولون ان الخير لابد ان يعمله الانسان من اجل كونه خيرا دون ان ينتظر من ورائه جزاء بحيث يمارسه الفرد حتى يصبح عادة يقرها الضمير ، ولكن المشاهدة تثبت بان الانسان يرجو ويخاف ، فالخوف والرجاء غريزتان في تكوين الانسان والدين انما جاء لتهذيبهما وليجعلهما سبيلا الى الحق والخير والفضيلة والسلام .
الايمان بالله شعور مرتبط بوجودنا لاننا عند ما نحس بالوجود او بالكينونة نفكر في مصدر الوجود ، وعند ما تعترينا بعض الاحداث المؤلمة او تصيبنا بعض الكوارث او ترهقنا بعض المصائب او يكتنفنا غموض نحس بضآلتنا ونشعر بضعفنا فنضطر الى الالتجاء الى قوة تحمينا من الضعف والضآلة . هنا نجد الاعتراف بالله سبيلا الى الاطمئنان .

عند ما يكتشف العلم بعض اسرار الطبيعة ويغوص في البحث عن معرفة الكون وخباياه ويدقق النظر في نظامه ، ءانذاك يقف العلماء مشدوهين امام هذه القوة الغامضة التي لا يستطيع الانسان اكتشافها في طفرة واحدة ولا يقدر ان يدعي بانه عرف كل ما يتعلق بها من اسرار فيعترف خاشعا بان هذا الكون لا يسير وفق الصدفة وانه لم يوجد وحده من عدم وانما يسير وفق نظام دقيق يدفعنا الى الايمان بمدبره ومسيره .

الايمان بالله ضرورة من ضرورات تقدم الانسان ، لان الايمان بالله يقف حافزا بيننا وبين الشر ويدفعنا الى الاقتداء بالصفات العلوية الجميلة التي تحفظ العالم من الويلات وتطهره من الضغينة ، وتنشر فيه الاخوة والمودة

الايمان بالله يجعل الانسان واقفا عند حدوده فلا يطغى ولا يتجبر ولا يظلم ، يعلم ان وراء هذه الحياة

الدنيا حياة اخرى يحاسب فيها المرء على ما قدمت يداه «فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره».

الايمان بالله والايمان بالغيب اي بالوحي وبالملائكة والكتب والرسل وباليوم الاخر وبالقدر كل ذلك يكون وحدة في عقيدتنا الاسلامية .

الايمان بالله اصل العقيدة تنفعنا في تطبيق الشرائع السماوية وتنفيذ احكام الله .

الشرائع المجدية والقوانين النافعة والاراء السديدة والنظريات الموفقة لا يكفي في تمكينها من قلوب الناس مجرد سدادها وصلاحيتها بل لا بد من استغلال الجانب العاطفي ، لا بد من خلق الثقة المطلقة في نفوس المؤمنين بها حتى يدافعوا عنها دفاع المستميت فيستشهدون في نشرها ويستهينون بكل انواع المتاعب في انتصارها .

اذا فقدت المبادىء هاته الثقة وعدمت روح الطاعة في نفوس معتنقيها فانها لا تجد السبيل الى التمكن وفرض السيطرة على العالم .

كل فكرة لا بد لها من استغلال الجانب الوجداني لتصير فكرة متحكمة مسيطرة قائمة والا ظلت فكرة يرتئيها العقل ولكنه لا يهتدي الى طريق نشرها وتحبيبها في نفوس الناس .

في المحافل الدولية في الانتخابات العامة في مجامع الهيئات السياسية في الشرق والغرب في كل مكان تجد وسائل الدعاية تستغل لاستمالة عواطف الناس وما ذلك الا لان الاستغناء عن الوجدان في نشر الاراء يكاد يكون مستحيلا .

واذا كانت هذه الحقيقة يقرها علم النفس فكيف بنا لا نستغلها لتجديد الثقة في نفوس بعض الشباب من المسلمين الذين غزتهم اراء غريبة عن دينهم وعقائد تكاد تكون مضادة لمبادئهم فاخرجتهم عن الجادة وجعلتهم لا يطمئنون الى الايمان ولا يركنون الى الطاعة ولا يصدقون باساس العقيدة ولا يعملون من اجل تفهم المبادىء العامة التي يدعو اليها الدين الاسلامي .

العقيدة في الحقيقة انما تمكن من نفس الانسان ليستغلها في تطبيق الشريعة العامة وتنفيذ اوامر الله .

العقيدة هي القوة المحركة التي تجعل الانسان راغبا في امتثال الاوامر واجتناب النواهي .

قد يفهم رجال غير مسلمين شريعة الاسلام ويتذوقونها ويؤيدونها نظريا ، ولكن هذه الموازرة النظرية لا تكفي في تحقيق الغاية من الاسلام اذا لم تكن وراءها عقيدة تجعل من الرأي امرا واقعا وتسعى بكل امكانياتها لتجعل من الاسلام سلطانا متحكما يوجه الناس الى الخير ويهديهم سواء السبيل .

هذه العقيدة هي التي جعلت علماء التاريخ وعلماء الاجتماع وعلماء السياسة يعللون بها انتشار الاسلام بعد الفتح بسنوات معدودات في انحاء العالم .

هذه العقيدة اقوى من العصبيات الجزئية لذلك استطاعت ان تطغى على جميع الحيثيات البشرية فلم تجعل فروقا بين الاجناس والالوان وانما جعلت التقوى شعارا يجمع بين المسلمين وقررت ان كل البشر سواء لا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى .

هذه العقيدة هي التي يمكن للمسلمين الان ان يستغلوها للقضاء على مظاهر تخلفهم وفرقتهم ، وقد قال امام علماء الاجتماع ابن خلدون في مقدمته (1) « فصل في ان الدعوة الدينية تزيد الدولة في اصلها قوة على قوة العصبية التي كانت لها من عددها ، والسبب في ذلك ان الصبغة الدينية تذهب بالتنافس والتحاسد الذي في اهل العصبية وتفرد الوجهة الى الحق ، فاذا حصل لهم الاستبصار في امرهم لم يقف لهم شيء لان الوجهة واحدة ، والمطلوب متساو عندهم وهم مستميتون عليه ، واهل الدولة التي هم طالبوها وان كانوا اضعافهم فاغراضهم متباينة بالباطل ، وتخاذلهم لتقية الموت حاصل، فلا يقاومونهم وان كانوا اكثر منهم بل يغلبون عليهم ويعاجلهم الفناء بما فيهم من الترف والذل . . »

هذه العقيدة هي روح الاسلام وعليها تبني الفلسفة الاسلامية بحيث تجد جل الفلاسفة والمتكلمين حينما

---

1) مقدمة ابن خلدون ، المطبعة البهية ، صفحة 111 .

ستخدموا فكرهم انما كانوا يوجهون جهودهم للربط بين العقيدة والعقل .

لقد كانت العقيدة الاسلامية خالصة من كل الشوائب صافية نقافة تدفع المومن الى اتباع اوامر الله وتيسره الى الطاعة وتروضه على الخير ولكن التيارات الفكرية المختلفة التي تسربت الى الاسلام عن طريق الثقافات الدخيلة والعقائد المتباينة التي انتشرت بين المسلمين وطرق التفكير المبنية على المنطق جعلت بعض المسلمين يعللون عقيدتهم ويدافعون عنها بالعقل والجدل واصبح للعقل عليهم سلطان يحاولون به تعليل افعال الله وافعال المخلوقات واصبحوا يتحدثون عن الارادة والقدرة والجبر والاختيار والعدل والظلم وغير ذلك من الموضوعات المتعلقة بالطاعة من جهة وبالتكليف والمسوءولية من جهة اخرى .

وتزعم المعتزلة قديما هذه الا راء واصبحوا يتحدثون عن الله وكأنهم يتحدثون على بشر . فمن فكرة الصلاح والاصلح التي يوجبون بها على الله ان تكون اعماله هادفة الى ما فيه صلاح العباد الى فكرة العدل التي تجعل ارادة الانسان وقدرته مستقلتين عن الله ـ جلت قدرته ـ الى ايمانهم بالوعد والوعيد، وان الله لا يجوز له ان يعفو عن الكبائر ، الى غير ذلك من الا راء التي يمكن تشريحها بالنسبة الى افعال العباد ولكنها لا تكون مطابقة للعقل عند ما نقيس فيها الغائب على الشاهد ونقارن فيها بين قدرة الله المطلقة وبين قدرة الانسان المحدودة .

وقد يكون للمعتزلة مبرر ءانذاك حينما ارادوا برهنة عقيدتهم وحينما حاولوا ان تكون مطابقة للعقل لانهم ظنوا انها اذا لم تكن منسجمة مع العقل ضعفت وانهزمت في حين اننا اذا فحصنا جل الا راء التي تتعرض للدين عن طريق العقل نجد ان سبب اضطرابها ظن القائلين بها ان العقل بلغ الكمال .

العقل لا يستطيع ان يقول قولته النهائية في المواد الطبيعية فكيف به يستطيع ان يقول القول النهائي فيما وراء الطبيعة .

قد يعجز العقل عن البلوغ لعوائق تمنعه من ذلك فاذا عجز فليس معنى ذلك استحالة البلوغ ، ولكن معناه قصور العقل عن البلوغ .

يجب على العقل ان يقف عند اختصاصاته وان لا يجزم بالحكم في غير مجاله .

يجب عليه اذا حاول البحث عن الحقيقة فلم يهتد ان لا ينكرها وانما يجب عليه ان يشك في قوته وفي مدى مرونته .

قد يضعف العقل بعد انتصار العلوم التجريبية والمادية على تعليل الايمان لان التجارب تعتمد على المشاهدات والملاحظات والايمان غيبي يتصل بشعور الانسان وبقلبه فيقع بسبب ذلك في نفس الانسان اضطراب ويعتريه قلق ويستولي عليه الشك فيعلن جهارا بعدم حاجته الى قوة ارقى وبعدم اعترافه بخالق يدبر الكون ويوجه الانسان .

والسبب في هذه الاراء اهمال عنصر الشعور في التفكير ، وهناك من المفكرين من يرى ان الاستغناء عن الشعور لا يوءدي الى الايمان لضعف العقل في البحث عن الله ولقصوره عن البلوغ ولان مجال العقل في ذلك ضيق ، وقد قال توفيق الحكيم (1) : « نحن نسال العقل ان يصنع لنا صورة الله فيخفق فبدلا من ان نضحك ونهزأ بالعقل ، نضحك ونهزأ بفكرة الله » ، ويقول الاديب الشهير الفيلسوف الثائر جان جاك روسو (2) : « الاجدر بنا ان نعتمد على الغريزة والشعور لانهما اولى بالثقة من العقل » .

حقيقة ان الانسان ليسعى احيانا الى خنق روح الشعور فيه ويدعي الايمان المطلق بالعقل في حين ان تاريخ العقل يثبت تغير احكامه وعدم استقرار نتائجه .

واذا كان العقل ينكر ثم لا يستطيع الاستمرار على انكاره لان حوادث طارئة تضطره الى الاعتراف بما كان ينكره من قبل ، فلما ذا لا يستفيد العقل من هذه القاعدةفي اصل ايمانهفيبتعد عن الانكار السلبي ويلتجيء الى الايمان حتى يهديه الله الى المعرفة فيضيء له جوانب الشك في نفسه ويبعده عن الضلال ؟

---

1) التعادلية لتوفيق الحكيم صفحة 24 .

2) عن كتاب قصة الفلسفة الحديثة لاحمد امين وزكي نجيب محمود ، الجزء الاول صفحة 257 .

ان هذا هو الحل الوحيد الذي يبعدنا عن الانكار وهو موافق للمنطق السليم ، والذين لم يستسلموا انما يعطلون هذه القاعدة ويهملونها ويقفون مع العقل في حده الادنى .

ولذلك قال المرحوم عباس محمود العقاد :

« فالموجود الذي يصح ان نومن به هو وجود كامل ابدي ليست له حدود .

والموجود الذي ليست له حدود لا يحيط به ادراك العقل المحدود ...

فما النتيجة اللازمة لهذه الحقيقة التي لا شك فيهـا ... ؟

هي احدى اثنتين ، اما انكار جزاف واما تسليم لحقيقة تفوق ادراك العقول .

والانكار الجزاف يوقع العقل في نقيضين : وهو تعطيل للعقل اضل من كل تعطيل ...

الانكار معناه ان سبب الايمان الوحيد يكون هو السبب للانكار ... (1) »

بمعنى ان العجز عن البلوغ كان من الواجب ان يدفعنا الى الاستسلام والاعتراف بحدود العقل والانتقال الى الايمان لا ان يكون سببا في الانحراف عن الله .

فالايمان اذن ضروري للانسان والذين لم يستطيعوا ان يصلوا اليه عن طريق العقل فليعترفوا بعجز العقل عن البلوغ وسيوديهم هذا الاعتراف حتما الى الايمان

وهذا جانب ءاخر يودينا الى الاعتراف بالله اذا اضفنا اليه جانب الشعور كنا كمن جمع بين الحدس والفكر وبين التذوق والنظر وبين العقل والالهام .

واذا استقر الايمان في نفوسنا فليس الغرض منه مجرد الايمان ، وانما الغرض منه تطبيق شرائع اللـه والعمل على نشر مبادئه والمحافظة على ما فيه مصلحة العبـاد .

ولذلك كان الايمان بالله يدفعنا الى مسايرة تطور الاديان والى الانتقال معها حسب التطور البشري الى ان بلغت نهايتها في دين الاسلام الذي جعله الله تبارك وتعالى دينا للعالمين جميعا .

والذين يتتبعون الدراسات الاسلامية يجدون في هذا الدين ملجأ ءامنا لحل كثير من المشاكل الانسانية التي يتخبط فيها العالم سواء كانت اجتماعية او اقتصادية ويرون فيه منقذا عمليا للانسان من القلق والاضطراب خصوصا وان هذا الدين لا يتنافى مع الراي ولا يناهض الفكر ولا يضيق على الحرية العلمية المجدية التي ترفع من شان الانسان .

ولهذا نجد تجاوبا كبيرا في تاريخ المسلمين بين دينهم وبين علومهم ومواقفهم الاجتماعية الكبرى التي حققت للعالم خيرا عظيما كما نجد بعض علماء الاقتصاد (2) يرون ان السبيل الذي يستطيع ان يحرر العالم من الاضطرابات القائمة بين الكتلة الشرقية والغربية انما يتلاءم مع الروح الاقتصادية الاسلامية التي تحرم الاستغلال الفردي التعسفي ولا تبيح الرضوخ الى المادة رضوخا مطلقا يفقد فيه الانسان سيطرته على نفسه وعلى عقائده ولا تسمح باكتناز الاموال وباستثمارها عن طريق الربا المحض الذي يشل حركة المجموع ويفيد طبقة معينة في العالم على حساب الاخرين .

واذا كان بعض المفكرين الاوربيين حينما فكروا في ايجاد حلول لمشاكلهم جعلوا المشكلة الاقتصادية اساسا للجهاز الاجتماعي من غير اعتبار للعقيدة ، فان المسلمين لم يروا مانعا من الربط بين التطور الاقتصادي وبين العقيدة المنزهة عن الابتذال ، فالمسلم المومن لم يخلق ليكون ايمانه سلبيا لا يرى الا مفاتن الحياة الدنيا او مفاتن الحياة الاخرى بل خلق للربط بين مصالحه الفردية ومصالح اخيه الانسان وللجمع بين طيبات الدنيا وطيبات الاخرة . قال تعالى : « وابتغ فيما ءاتاك الله الدار الاخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ،

1) الانسان في القرءان الكريم للعقاد ، صفحة 47 .

2) خطوط رئيسية في الاقتصاد الاسلامي للاستاذ محمود ابي السعود .

واحسن كما احسن الله اليك، ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين (1) ».

وتبدل المصلحة بين الافراد غالبا ما يظهر في العلاقات التجارية وفي المعاملات الاقتصادية ، فاذا كانت هذه المعاملات لا تسير وفق اعتبار المصلحة المزدوجة وكانت تغلب عليها المصالح الفردية فان الانسان لا يكون مرتبطا بالاسلام في نظام المعاملات لان هذا الدين جعل تعادلا بين التملك وبين الاستغلال ، وجعل عنصر النفعية اساسا في نظامه الاقتصادي ولذلك حرم الاحتكار واكتناز الاموال والربا ، لان كل ذلك مما يضر بالاقتصاد العام للدولة وافرادها .

ومن الطبيعي ان الفرد المسلم اذا سار وفق هذه المبادىء وهو يعلم انه ان خالفها سيعاقب في الدنيا من الولاة وفي الاخرة من الله تبارك وتعالى ، سيسعى ما امكنه في ان تكون حركاته العامة موجهة الى الصالح العام .

وفي هذا دليل على ان الايمان ضروري للانسان وانه لا يقف حاجزا بينه وبين العمل من اجل التقدم البشري بل يحضه عليه ، ويجبره على الخير، وصدق الله العظيم حينما قال : « من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مومن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون (2) ».

فـاس . محمد بن عبد العزيز الدباغ

---

1) سورة القصص الاية 77

2) من سورة النحل الاية 97 .

يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ، واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه ، وانه اليه تحشرون، واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ، واعلموا ان الله شديد العقاب . ـ قرءان كريم ـ



- 2 -

25) « هضما » الموجودة في الآية 112 من سورة طه والتي يقول الحق سبحانه وتعالى فيها : « ومن يعمل من الصالحات وهو مومن فلا يخاف ظلما ولا هضما » والهضم الموجود في هذه الآية معناه النقص بلغة هذيل .

26) قوله « هامدة » معناها بهذه اللغة مغبرة. وهي لفظة موجودة في سورة الحج الآية 5 ــ وفيها حكاية دقيقة ورائعة للبعث اذ الارض يومئذ يابسة مغبرة .

27) قوله « واقصد في مشيك » معناها بهذه اللغة اسرع . وهي في الآية 18 من سورة لقمان ويخيل الي ان معناها قد تطور لما عم استعمالها في اللغة العربية الفصيحة ، فحادت قليلا عن معناها الاصيل . ولا ريب ان معناها صار : « اقتصد في المشي » اي كن وسطا في مشيك لاتدب دبيب المتكاسلين ولا تجر جري المفتونين الشطارين ، لان ذلك يذهب ببهاء المؤمن ويزيل عنه السكينة والوقار .

وفي الحديث : « القصد القصد تبلغوا » ، أي عليكم بالقصد من الامور في القول والفعل وهو الوسط بين الطرفين .

واعتقد ان وصف عائشة ام المؤمنين لعمر رضي الله عنهما لما قالت « كان اذا مشى اسرع » يوافق هذه الآية من وجهها الذي ذهبنا اليه

28) كلمة « ثاقب » وهي في الآية العاشرة من سورة الصافات ومعناها في لغة هذيل « مضيء » ولا شك انها تدل في الآية على الاضاءة الشديدة .

29) قوله « الاجداث » في الآية 51 من سورة يس ــ وهي بمعنى القبور . ومن القراء من يبدل الثاء فاء ، لان العرب كما قال الفراء « تعقب بين الفاء والثاء في اللغة » . . .

30) قوله : « اواب » في الآية 19 « والطير محشورة ، كل له اواب » من سورة ص ومعناه مطيع عائد الى طاعته بالتسبيح والتهليل وكانت هذه اللفظة كثيرة الشيوع متداولة ومعروفة ايضا في لغتي كنانة وقيس عيلان ، كما سيتضح ذلك بعد قليل .

وواضح من عبارة ابن منظور انها للمبالغة من رجل آيب من قوم أوب اي كثير الرجوع الى الله عز وجل من ذنبه .

وقد ذكر اللغويون في هذه اللفظة سبعة اقوال ليس هذا مكانه . وهذه اللفظة مستعملة في القرآن بكثرة على صيغ مختلفة كقوله تعالى : وان له عندنا لزلفى وحسن مآب . وكقوله : « ياجبال أوبي معه » . وكقوله : « داوود ذا الايد ، انه أواب » .

كما استعملها الرسول صلى الله عليه وسلم في احاديثه : كان يقول اذا اقبل من سفره : « آيبون تائبون لربنا حامدون » كما قال : « شغلونا عن صلاة الوسطى حتى آبت الشمس ، ملأ الله قلوبهم نارا » .

31) لفظة : « يخرصون » في الآية 20 من سورة الزخرف ، ومعناها يكذبون . لقد شرحها الزجاج بهذا فقال في قوله تعالى : « قتل الخراصون » : الكذابون .

32) يرجون في قوله تعالى : « قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله ليجزي قوما بما كانوا يكسبون » وهي الآية 14 من سورة الجاثية .

33) قوله . « بالهم » في الآية الخامسة من سورة القتال التي يطلق عليها ايضا سورة محمد والآية

هي : « سيهديهم ويصلح بالهم » ومعنى هذه اللفظة في لغة هذيل : حالهم .

34) كلمة : « يهجعون » الكائنة في قوله تعالى: « كانوا قليلا من الليل مايهجعون » الآية 17 من سورة الذاريات ومعناها ينامون .

35) لفظة : « ذنوب » في قوله عز وجل : « فان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون » ومعناها نصيبا من العذاب .

36) الدسر التي بمعنى المسامر في الآية 13 من سورة القمر والتي يقول الحق سبحانه فيها . « وحملناه على ذات الواح ودسر » كما وردت هذه المفردة بهذا المعنى في حديث لعلي كرم الله وجهه قال: « رفعها بغير عمد يدعمها ولا دسار ينتظمها .

والدسر بضم السين جمع لدسار بكسر الدال كما تجمع على دسر بتسكين السين كعسر وعسر .

37) لفظة الامد الهذلية الموجودة في الآية 16 من سورة الحديد ومعناها الامل . وهي الآية التي ابكت قوما من اهل اليمامة لما قرئت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم صامتون يستمعون .

فماذا يا ترى يقول عنا الحق سبحانه وتعالى، نحن الذين نقراه بأتمه ، ونستمع الى ترتيله صباح مساء ، ولا تخشع قلوبنا القاسية . وقد ظهر فينا من الفسق ما لايستطيع وصفه الواصفون ، والعياذ بالله ـ قال تعالى في هذه الآية : « الم يان للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق . ولا تكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون » .

وقد وردت هذه المفردة في اربع آيات من القرآن الكريم جاءت في سورة الحديد ، وهي التي تعرضنا لها اعلاه كما وردت في آل عمران الآية 30 وفي الكهف الآية 12 واخيرا في الجن الآية 25 .

38) التفاوت بضم الواو ومن قراها بفتحه اتى بمصدر غريب تنكره اللغة العربية الفصيحة . قال امام النحاة شاهدا على ذلك : « ليس في المصدر تفاعل ولا تفاعل » الاولى بفتح العين والثانية بكسرها .

39) ارجائها وهي لفظة بمعنى نواحيها وتوجد في الآية 17 من سورة الحاقة .

40) قوله تعالى « اطوارا » في الآية 14 من سورة نوح التي يقول فيها عز وجل : « وقد خلقكم اطوارا » ومعناه الوانا .

41) لفظة « وزر » في الآية 11 من سورة القيامة وهي : « كلا لا وزر » ومعنى هذه الكلمة في لغة هذيل ولد الولد ، ويكون معنى كلامه تبارك وتعالى: « سيقال للانسان يوم القيامة حين يبرق البصر ويخسف القمر وتجمع الشمس والقمر : « لا ولد لك تستغيث به وتلجا اليه » .

وتستعمل هذه المفردة في لغة اهل اليمن بمعنى الحيلة . كما ان المهتمين بلهجات القرآن يقولون لها معنى « لا حيل ولا ملجأ » في لغة توافق النبطية .

42) قوله تعالى : « بردا » الكائنة في سورة النبأ كما يسميها جمهور شراح القرآن ، وعم ، كما يسميها الزمخشري في كتابه وكل من يتبعه من المهتمين بدراسة القرآن الكريم . وتوجد هذه المفردة في الآية 24 من هذه السورة ومعناها النوم بلغة هذيل ـ ولقد استعملها في هذا المعنى الشاعر عبد الله بن عمر بن عثمان بن عفان الملقب بالعرجي فقال :

فلو شئت حرمت النساء سواكم
وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا

وهو يقصد بالبرد النوم ـ كما استعملها العرب قديمابهذا المعنى في قولهم : « منع البرد البرد » وهو كما نرى من الجناس التام .

43) « دهاقا » في قوله تعالى : « وكأسا دهاقا » ومعناها ملأى الآية 34 من سورة النبا او عم كما سبقت الاشارة الى ذلك .

44) لفظة بظنين على من يقراها بظاء معجم فاذا كان كذلك كانت المفردة هذلية وجاءت بمعنى متهم ، اما اذا كانت غير معجمة ، وهي القراءة السائدة عندنا في المغرب فتكون بمعنى بخيل وهي لغة قريش ولا تهمنا ـ وتوجد هذه المفردة في سورة التكوير الآية 24 .

45) قوله تعالى « زرابي » في الآية 16 من سورة الغاشية التي يقول فيها عز وجل : « وزرابي مبثوثة » وهي الطنافس والغريب في الامر ان هذه المفردة مستعملة في لهجتنا المغربية بالمعنى الموجود في لغة هذيل .

46) قوله : « مسغبة » في الآية 14 من سورة البلد ومعناها مجاعة بلغة هذيل .

هذه هي الالفاظ الهذلية الموجودة في القرآن الكريم وسنشرع في حديثنا المقبل في سرد الفاظ قبيلة اخرى .

مكناس ـ الراجي التهامي الهاشمي

مناقشات

نقد مقال العوائق النفسانية للتخطيط

الدكتور تقي الدين الهلالي

- 10 -

أيها القراء الاعزاء ارجو ان تقرءوا هذه الحلقة بتدبر وامعان ، فان فيها حججا خانقة للماديين الجاحدين تقطع عليهم كل سبيل وتحبسهم في اجحارهم مختنقين وتدعهم متحيرين ، فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين

ذكر بقية شبهات الملحدين والرد عليهم

نشأة الارض

دعونا ننظر معكم الى الارض ، وهي منفصلة من الشمس ، فماذا نرى في مادتها ونواميسها ؟ ؟ نرى كتلة ملتهبة انفصلت من جرم كبير كما تقولون . بأي ناموس انفصلت ؟ ؟ والمعروف ان الجسم الكبير يجذب الصغير ، كما تجذب الارض كل ما عليها من الاجسام فتمنعها التناثر في الجو . لنقل معكم : انها انفصلت، ولكن لاتنسوا ان ذلك ضد ناموس الجذب ، فما حدث بعد ذلك ؟ ؟

حدث أن الارض وقعت على مسافة من الشمس، لاي سبب وقفت في هذه المسافة ولم تمعن في الهبوط الى ما لانهاية له ؟ السبب غير معروف ، ولا يوجد ناموس يمنعها من امعان التدهور الى ما لاحد له .

قلتم : انها انجذبت الى الشمس والكواكب الاخرى . ليكن ما قلتم ، وقفت الارض في مركزها ، ثم رأيناها دارت على نفسها ، اي ناموس ادارها ؟ . تقولون ، انها انفصلت عن الشمس دائرة فاستمرت كذلك . نقول ، انها كانت في الشمس دائرة ، ولكن غير دورتها حول مركزها ، بل حول مركز الشمس لانها كانت قطعة من سطحها لا من مركزها كما هو المعقول . لنمش معكم الى حيث تريدون . فلنسلم لكم بدورانها حول مركزها ، فأي ناموس أدارها حول الشمس بعد ذلك ؟ لايوجد في العلم ناموس من هذا القبيل ، بل ولا يعقل وجوده (انظر ما قاله العلامة الفلكي نيوتن) في براهينه المتقدمة

لنسلم لكم أنها دارت حول الشمس بسبب مجهول ، فما حدث بعد ذلك ؟ ؟ حدث ان قشرتها اخذت تبرد . سلمنا ، ثم ماذا ؟ فتكونت عليها سحب من الابخرة فهطلت عليها امطار .

نقول ، ان الابخرة المتصاعدة من الاحتراق لاتكون سحبا كما هو مشاهد ، فكيف نشأت المياه على سطحها . لنرد على هذا . ثم ماذا ؟ فتكونت بحار وانهار ومستنقعات . حسن ، فماذا حدث بعد ذلك ؟ حدثت الحياة النباتية في ابسط اشكالها . فكيف حدثت وبأي ناموس نشأت ؟ هذه عضلة العقد ، والطلسم الذي لاحل له . فان الحي لاينتج الا من حي . والنواميس المعروفة كلها تعجز عن تعليل حدوث احقر الاجسام العضوية . اراكم تقولون : دع الحياة جانبا فسيكتشف العلم سرها في يوم من الايام ، ولنستمر في تعليل خلق الكون . نقول ، على رسلكم، كفاكم ما مضى من التحكم في تعليل انفصال الارض عن الشمس وفي دورانها على نفسها حول الشمس ، وفي تكون السحب . اما وقد وصلت المسالة الى وجود الحياة فلا نتسامح معكم فيه ، فان الحياة سر الوجود، بل هي قيومه ، اذا عرف سرها فقد عرف سر كل شيء .

انكم تقولون ، ان اول ما حدث من آثار الحياة الخلية البسيطة . فما هي هذه الخلية ؟ هي كل شيء. وهل الانسان بما افيض عليه من ابداع الا مجموع خلايا بسيطة تركبت فيه تركبا خاصا . فاذا اغضينا عن الخلية فقد اغضينا عن كل شيء ، فهو دونها في الحقيقة .

فما هي الخلية وما تركيبها ؟ الخلية هي غشاء حي على شكل الكرة يحوي في داخله مادة لزجة يقال لها (البروتوبلاسما) عائم فيها نويات صغيرة ، وهي بما حوت لاتدرك الا بالمنظار . هذه هي الخلية ، فكيف حدثت بمجرد فعل النواميس ؟ ؟ ما الذي نسج ذلك الغشاء بتلك الرقة التي لايكتشفها الا أقوى منظار ، مع علمك بأن الارض كانت بلاقع مقفرة ، أو سهوبا غامرة ؟ ان كان ذلك الغشاء نشأ بالاتفاق ، فما هي النواميس التي اقتضت تكوينه ، وما هي تلك المادة اللزجة المشمولة فيه ؟ من أين اتت ، وفي أي معمل كيماوي تركبت بعد أن تنقت من قذر الطبيعة وخلصت من اقذائها وكثافتها ؟

هب ان ذلك كله حصل ، فلماذا هي حية اي نامية ؟ ما هو ذلك السر المودع فيها ؟ الى هنا يرى الماديون ان نواميس الطبيعة المعروفة أعجز من ان تكفي لتعليل اصغر الكائنات الحية ، بل هي لم تكف لتعليل الحركات المجردة من الحياة كدوران الارض حول الشمس بشهادة الفلكي نيوتن وغيره ، فما معنى التبجح بها والترنم بذكرها وترديدها في تعليل الموجودات بمناسبة وغير مناسبة ، بل ما معنى تلك التعليلات الفاقدة لاعظم اركانها ؟ من المحال تعليل وجود كل هذه الكائنات البديعة بمجرد حركات النواميس الميكانيكية ، فاما ان تخضعوا لبداهة العقل فتقولوا بضرورة وجود عقل لا حد له قاد نواميس الوجود قيادة حكيمة ، واما ان لاتتعرضوا لتعليل خلق الوجود وتفسير تنوع الكائنات .

اراكم تكثرون من قولكم (الضرورة) في تعليل وجود كثير من اعضاء الحيوانات والنباتات كما فعلتم في تعليل وجود الوبر الطويل في حيوانات البلاد الباردة ونباتاتها ، فما هي تلك الضرورة ، وما تاثيرها ؟ يقولون ، ان اردت معرفة بعض آثار الضرورة ومبلغ قوتها في الابداع ، فانظروا الى الحيوان المسمى بالزرافة مثلا ، فانك ان تعجبت من طول عنقها ، مع طول أيديها وقصر ارجلها ، فما ذلك الا لان (الضرورة) اثرت عليها فاحدثت هذا التغيير في جسمها . اما الزرافة في اصلها فكانت كجميع الحيوانات عنقها مناسبة لجسمها ويداها في طول رجليها . ولكن (اتفق) ان امهاتها ولدتها في مكان لم يكن فيه ما تتغذى به من الاوراق الا على رؤوس اشجار عالية ، فاضطرت هذه الكائنات المسكينة لان تشراب باعناقها كلما وخزها الجوع باسنته لتصل الى غذائها ، فقضت (الضرورة) بان تطول اعناقها تدريجا حتى وصلت الى حالتها الراهنة

هكذا يقولون ، وهو كلام لا يفهم ولا يعقل ، ولكنا نناقشهم فيه من باب التسامح فنقول : هل الزرافة كانت في جهة فيها أوراق الاشجار تعلو عن متناول صغارها من اول وجودها على سطح الارض ، ام حدث لها ذلك بعد ؟ ان قلتم وجدت على هذه الصور بطل تعليلكم (بالضرورة) ولكنم تقولون ، انها كانت قصيرة العنق متناسبة الاطراف ، ثم حدث لها ذلك .

قلنا فكيف يعقل ان يكون حدث ذلك بكل الزرافات في كل قارة . فهل يتصور ان يتفق ان جميع الزرافات وقعن في جهات فيها اوراق الاشجار بعيدة عن سطح الارض ؟ هب انه (اتفق) ذلك ، ــ مع أنه مستحيل ــ فلم لم تهلك هذه الزرافات بدل ان تطول اعناقها وايديها ؟ ولم لم توجد لها خاصة تسلق الاشجار بدل ان تطول اعناقها وايديها ؟ ان كان كل ما في الطبيعة مخلوقا بغير قصد ، بل بمحض النواميس والضرورة ، فما هي الضرورة التي اوجبت ان يكون كثير من انواع الطيور مزينا بأجمل النقوش مزدانا بارق الالوان ، ما هي الضرورة التي حتمت ان تتحلى الازهار بهذه الروائح العطرية الزكية ، بل ما هي الضرورة التي جعلت تلك الالوان والروائح متنوعة الى ما لا نهاية له ، ولم تجعلها لونا واحدا ورائحة واحدة ؟

الا يسمح لي حضرات الماديين ان أقول لهم بأن لاضرورة لذلك ، وقد شهد بذلك داروين نفسه ، ولم يكن من المنكرين للخالق ، مع انه صاحب مذهب تسلسل الانواع .

من هنا يتبين القاريء عجز الماديين عن تعليل وجود الكون بدون خالق حكيم . اذن فلا بد من وجود خالق متصف بجميع صفات الكمال المطلق الذي لاحد له . ومن صفاته العلم والقدرة والارادة والحياة التي لا اول لها ولا آخر ، وهي غير مستمدة من غيرها كسائر صفاته تعالى . هذه الصفات مذكورة في الكتب السماوية وموضحة في القرآن اتم توضيح في سورة الاخلاص وآية الكرسي ومواضع اخرى . فهذا الخالق العظيم هو الذي افرغ الوجود في هذا القالب البديع وله القدرة والحكمة التي لاسبيل لعقل الى نكرانها ، ولا سلطان لمتعنت في الجحود بها .

توضيح وتفصيل

1 ــ الراي السائد عند الباحثين في هذا الزمان ان الارض التي نعيش فيها انفصلت عن الشمس وكانت قطعة منها ؛ فكيف سمحت قوة الجذب والاتحاد التي

اودعها الله في الشمس لقطعة كبيرة كهذه الارض ان تقتطع منها وتنفصل عنها وتبتعد عنها دون ان يحدث خلل في الشمس يؤدي الى تفرق اجزائها وتلاشيها ، مع فرض ان ذلك وقع على سبيل المصادفة ، فهذا الاصل الذي بنوا عليه بحثهم في نشأة الارض في غاية الضعف يفتقر الى دليل يثبته حتى تطمئن اليه النفس وتؤمن به .

والمعروف الثابت في الاجرام السماوية بالمشاهدة الحسية ان كل جرم كبير يجذب الاجرام الصغيرة ، ولا يمكنها من الافلات كما تتجاذب اجزاء جرم الارض وتجبر كل ما عليها من جماد وحيوان ونبات ان يبقى على ظهرها . فاذا حاول الحيوان ان يقاوم هذا الجذب وينفصل عن الارض ثم يستطع ان ينفصل حين يثب منها الا لحظة ، ثم يجد نفسه قد اجبر على العودة اليها . ولولا ذلك الجذب لانفصل كل ما على وجه الارض عنها ، ثم لم يعد اليها . فاول ما ينفصل عنها الغلاف الهوائي الذي كساها الله به ليستنشقه الحيوان البري من الناس والدواب والطير ويعيشوا باستنشاقه، ولو فقدوه لحظة لفقدوا معه حياتهم .

وبعد انفصال الهواء تنفصل مياه البحار ، ثم يتلوها تفكك اجزاء الارض . وقد يستطيع بعض الحيوان اذا اعطي آلة لمقاومة الجذب ان ينفصل عن الارض الى مسافة محدودة ، كالطير التي اعطيت اجنحة تحركها ، فتنفصل عن الارض وتسبح في الهواء، ولكنها لاتستطيع ان تنفصل عن الهواء ، ولا تستطيع ان تنفصل عن الارض الا لوقت محدود جدا ؛ ثم ترجع الى مستقرها . ومثل ما قيل في الطير يقال في طيران الانسان ، فان الله اعطاه عقلا صنع به آلات لمقاومة الجذب الارضي ، فاستطاع ان يحلق في الجو بتعمل وتكلف لوقت محدود يضطر بعده ان يعود الى المستقر الاصلي ، وهو الارض التي منها خلق ، واليها يعود .

وكان العقل قبل هذا الزمان عاجزا عن اختراع آلة تقاوم ضغط الغلاف الجوي وما في اعاليه من العوائق التي منها ضعف الهواء بحيث لا يكفي لاستنشاق الانسان والحيوان الذي يحفظ به حياته ، ثم هدى الله العقل الى اختراع آلة تقاوم تلك العوائق، فيتزود الانسان بالهواء الصالح للتنفس لمدة طويلة وبصواريخ لها من قوة الاندفاع ما يتغلب على الضغط والجذب ؛ ولها أجسام تقاوم الاحتراق الذي تتعرض له عند الخروج من هذا الغلاف ، والامعان في الارتفاع، وبذلك استطاع الانسان ان ينفصل عن الارض وعن غلافها الجوي ، ولكنه بقي مرتبطا بها وعالة عليها ؛ لان الغذاء والهواء اللذين يحفظ بهما حياته هما من الارض

والمدة التي يبقى منفصلا فيها عن الارض محدودة اقصى ما بلغته الى حد الآن اربعة عشر يوما ، ثم اضطر ان يرجع الى المستقر . وللانسان آمال في تطويل مدة الانفصال ، ولكن مهما طالت مدته خارج الارض ، فانه يبقى مرتبطا بها ، لان الزاد والمدد الذي يحفظ حياته من الارض . فانفصال هذا شانه لايمكن ان يقاس بما افترضوه من انفصال الارض عن الشمس. اذن لم يقم دليل مقنع على ان الارض انفصلت من الشمس . وانما هو افتراض وخرص ، وليس من العلم في شيء .

2 — سلمنا جدلا ان الشمس سمحت لتلك القطعة ان تنفصل عنها ، فلماذا ابتعدت عنها الى مسافة محدودة ثم وقفت الى الابد ، ولم تبتعد بعد ذلك قيد انملة ولا اقل منها . راجع مقال (دواء الشاكين وقامع المشككين) المنشور في مجلة دعوة الحق رجب 1379 الجزء الخامس السنة الثالثة تجد فيه مانصه:

والشمس التي هي مصدر جميع الحياة . تبلغ الحرارة على وجهها اثنى عشر الفا (فارنهايت) ، وارضنا بعيدة من الشمس التي هي نار حامية ، بعدا كافيا بالقدر الذي تعطينا فيه الحرارة الكافية لحياتنا ، لا اكثر ولا اقل ، انه لنظام عجيب .

ومع مضي الملايين من السنين لم تختلف حرارتها الا قليلا ، ولذلك بقيت الحياة مستمرة ، لو تغير مقياس الحرارة على وجه الارض حتى بلغ معدله خمسين درجة لمدة سنة لمات كل نبات على وجه الارض ، ولاحترق الانسان او جمد . وتدور الارض حول الشمس بسرعة ثمانية عشر ميلا في كل ثانية. ولو ان سرعة دورانها كانت ستة اميال ، او اربعين ميلا في كل ثانية لبعدنا كثيرا جدا من الشمس او لقربنا منها كثيرا ؛ وحينئذ لايمكن ان تكون حياتنا على الشكل الذي هي عليه الآن .

فمن الذي جعل دوران الارض حول الشمس ثمانية عشر ميلا في الثانية ؛ وقدر ذلك عالما به وجعله على القدر الذي تصلح عليه حياة الحيوان والنبات، لايزيد ثانية ولا ينقصها ، أليس هو العليم القدير ؟؟؟

3 — ثم بعد ما وقفت في تلك المسافة المحددة تحديدا دقيقا اخذت تدور على نفسها ، فمن الذي

ادارها على نفسها ؟ ثم من الذي جعل دورانها محددا بثمانية عشر ميلا في الثانية ، لاتزيد سرعته ولا تنقص؟ وكيف علمت الطبيعة الصماء البكماء العمياء التي ينسب اليها الماديون كل شيء ، كيف علمت ان تحديد سرعة الدوران بهذا المقدار هو المناسب لحياة الحيوان والنبات اللذين على وجه الارض ، وان السرعة ان زادت او نقصت اضرت بحياتهما . اليس هذا غاية في التحكم والتعسف وقلة الحياء من انفسهم ومن الناس؟

4 ــ ثم من ادارها حول الشمس في مدة محدودة هي سنة شمسية ، لاتزيد شيئا ولا تنقص على ممر الاحقاب ؟ وما الذي جعل مدة دورانها مناسبة للفصول الاربعة في بعض اجزاء الارض ، وفي النواحي القطبية قدر لها تجزئة اخرى . بحيث تغيب الشمس عن الارض لمدة تسعين يوما دون ان يموت الحيوان من شدة البرد . وفي الصيف تبقى الشمس تسعين يوما مشرقة لاتغيب دون ان يحترق الحيوان والنبات . وفي الربيع والخريف تطلع وتغيب . (انظر جغرافية شمالي النرويج وشمالي السويد والاراضي القطبية ، اليس ذلك تقدير العزيز العليم ؟) بلى والله ، ولكن الماديين قوم مغالطون .

5 ــ قالوا ، لما انفصلت الارض عن الشمس كانت درجة حرارتها اثنى عشر الفا بمقياس (فارنهايت) ، وهو مقدار حرارة الشمس ، فما الذي بردها ؟ ان زعموا انه الدوران . فاذا كان الدوران يبرد الحرارة فلماذا لم يستمر في تبريدها الى ان تنقضي ، فلا يمكن ان يعيش على ظهرها حيوان ولا نبات ، ولماذا وقف ذلك التبريد عند حد محدود ، هو القدر المناسب لحياة كل حي على وجه الارض . لايزيد هذا القدر ولا ينقص ؟

6 ــ وكيف حدثت الامطار التي زعموا انها لينت قشرة الارض وجعلتها صالحة لوجود النبات والحيوان وحياتهما . زعموا ان الابخرة ، بل الادخنة التي كانت تتصاعد من تلك الكتلة النارية صارت سحابا ، ثم عاد السحاب ماء ووزع على قطرات محدودة الحجم ، وصار يمطر على الارض حتى بردت ولانت ، وانبتت النبات .

والدخان ليس من طبعه ان يصير سحابا ابدا، اذ لا ماء فيه ، والسحاب انما هو ماء ناشيء عن بخار صعد من الماء كبخار القدر، وكل ماء غليته وبخرته لتقطير ماء ورد او غيره ، فانما هو ماء يختلف شكله ولا تختلف حقيقته ، فالماء ياتي من الماء . اما الدخان فلا ينقلب ماء ابدا

قالوا ان الماء الناشيء عن الدخان ــ بزعمهم ــ تجمع حتى غمر وجه الارض كله ثم انحسر وتجمع في بحار وانهار ومستنقعات ، وانكشف نحو ربع الارض فصار يابسا ، فما الذي حسره وحدده بهذا المقدار لايزيد زيادة ذات بال ولا ينقص .

7 ــ ثم تجيء المسالة الكبرى ، بل الطامة العظمى التي تنزل على رؤوس الماديين فتبهتهم حتى لايبقى عندهم عرف ولانكر ، وهي عضلة العضل واللغز الذي لايحل ، الا وهي وجود الحياة في البحار واليابسة ، حياة النبات وحياة الحيوان ، فهذه المسالة هي التي حيرت الباب الماديين والطبيعيين والحسيين ، وطمست قلوبهم واخسأتهم ، فما لهم بجوابها يدان .

فقد قال الطبيعيون انفسهم ، ان الحياة لاتجيء الا من الحياة ، فمن اين جاءت الحياة الاولى؟ لم يجدوا لهذا السؤال جوابا يحسن السكوت عليه ، فتشاغلوا عنه بوصف الحياة ووحدتها واطوارها وتنوعها ، آملين ان ينسى الناس السؤال عن اصلها ويشتغلوا بما وراء ذلك ، وهيهات هيهات ، ان طلاب العلم لايشتغلون بالفروع الا بعد معرفة الاصول ، فاذا عجزوا عن معرفة الاصول ، فهم عن معرفة الفروع اعجز ، كما قال بعض العلماء في امثالهم من المقلدين : (انما حرموا الوصول بتضييع الاصول) وقلت في قصيدة مخاطبا احد المقلدين :

حرمت وصولا للحقيقة عندما
اضعت اصولا من يضعها يلدد

ايها القراء الاعزاء انتظروا المقال التالي الذي يعرض نظريات الماديين في اصل الانواع ويناقشهم فيها الحساب ، ويسد عليهم كل باب ، وذلك بحول الله وحسن عونه ، من يهدي الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا .

مكناس : الدكتور تقي الدين الهلالي

أبحاث ودراسات

نظرة في منجد الآداب والعلوم

للأستاذ: عبد الله كنون

- 7 -

حـرف الـدال :

184) في ص 185 ، ع ل عند الكلام على مدينة الدار البيضاء المغربية قال : فيها قبر سيدي بليت وهو بليوط على ما ينطقه العامة واصله ابو الليوث ، واما بليت فلا يقوله احد وانما جاء من الترجمة المحرفة .

185) في ع نى من الصفحة نفسها يقول : (ودار الهجرة : راجع حمدان) الخ ولما راجعناه وجدناه يقول فيه انه : (داعى اسمعيل موئسس القرمط (يعني القرمطية) بنى بالقرب من الكوفة دار الهجرة موئلا لانصاره وكانوا يخرجون منها للتلصص) وهذه الدار التي ظلت مخزونة في اسفار التاريخ لا يعرفها احد ، استحقت من المنجد ان يذكرها مرتين ، ودار الهجرة الاولى التي هي المدينة المنورة والتي لا يعرف المسلمون دار الهجرة غيرها لم تقع لها اشارة مطلقا عند هذا الموئلف ، فليت شعري هل الفه لعموم العرب والمسلمين ام لخصوص القرامطة ان كان يوجد منهم احد اليوم ؟ .

186) في المكان نفسه ذكر الموئلف دار الندوة فقال : (اسم يطلق بصفة خاصة على البيت الحرام في مكة ، كانت قريش تجتمع فيه للمشاورة في امورها ، ودار الندوة عامة هو مكان الاجتماع في المدن العربية) الخ . وهذا الكلام يشتمل على خطأين اثنين : اولهما ان دار الندوة ليست هي البيت الحرام وانما هي دار بناها قصي بن كلاب لما تملك مكة وكان يجتمع فيها مع المكيين للمشاورة وبقيت كذلك الى مبعث النبي (ص) وصارت بالارث لحكيم بن حزام بن خويلد بن اسد بن عبد العزى بن قصي ، فباعها لمعاوية بمائة الف درهم . وثانيهما قوله ان دار الندوة عامة هو مكان الاجتماع في المدن العربية ، فان كان يريد المدلول اللغوي لهذه الكلمة فذلك من مقاصد المعاجم اللغوية لا المعاجم العلمية وان كان يريد ان هذا مصطلح يطلق على امكنة الاجتماع في البلاد العربية مثل البرلمانات ومجالس الشورى وما اشبهها ، فان ذلك غير صحيح ، لم يطلق في التاريخ ولا يطلق اليوم على مكان من هذه الامكنة اسم دار الندوة في اي بلد عربي .

187) في ص 186 ، ع ل تكلم الموئلف على المسمين بدارا من ملوك الفرس وهم ثلاثة ، فعبر عنهم بالاسم الاعجمي (دار يوس) والصواب ان يستعمل هذا الاسم كما عربه العرب قديما اي بلفظ دارا فان الاسماء من هذا القبيل مما اتفق اللغويون والمجامع العلمية في البلاد العربية على قبولها كما جاءت عن العرب وعدم تغييرها بتعريب جديد .

188) في ص 189 ، ع ل تكلم الموئلف على النبي داود عليه السلام واطال النفس في ترجمته على خلاف العادة لينسب الى هذا النبي الكريم فواحش ينزه النصارى انفسهم اصغر الاباء والرهبان عن ارتكابها وهي الزنى وقتل النفس عمدا من غير حق الخ . وان كان هذا اعتقاد اليهود والنصارى على ما جاء عندهم في التوراة ، فاننا ننبه الشباب العربي المسلم ، والمسلمون العرب يكونون الاكثرية المطلقة من قراء المنجد ، الى ان نسبة هذه الشناعات الى نبي من انبياء الله عز وجل ، هي من اكبر الجهل والضلال فاي حرمة تبقى لداعية من

الدعاة السياسيين فاحرى اصحاب المذاهب الفلسفية والدينية ، فاحرى نبي من الانبياء اذا ارتكب فاحشة الزنى والقتل وما يتبعهما ؟ وليت شعري كيف ينزه اليهود والنصارى احبارهم ورهبانهم عن اصغر الذنوب واقل المخالفات ثم يلصقون اعظم التهم الاخلاقية والجنايات القطيعة بانبياء الله ورسله ؟

ان داود عليه السلام اكرمه الله بالنبوة والملك وانزل عليه الزبور وءاتاه الحكمة فهل يعقل فيمن كانت هذه اوصافه ان يقترف من الاثام ما يزري بمقامه ويستوجب به الحد والقصاص المنصوص عليهما في التوراة نفسها ؟ ان هذه المقالة القطيعة ونظائرها هي من اعظم الادلة عند المسلمين على تحريف التوراة ، واقحام ما ليس منها فيها . ولذلك جاء القرءان مهيمنا ورقيبا على ما قبله من الكتب ، فما سلمه منها فهو مقبول وصحيح ، وما انكره ولم يوافق عليه فهو مردود على اصحابها ولا يجوز اعتقاده بحال :

والذي عندنا في قضية داود عليه السلام انه وقع في نفسه استحسان لامرأة (اوريا) وتمنى لو كانت له ، وهذا خاطر نفسي تقضي به البشرية ، ولا يعاقب عليه او لا يكون جرما الا اذا ترتبت عليه اعمال او سعي لتحقيقه ، نعم بالنسبة الى الاكابر كالانبياء ينبغي التنزه حتى عن هذا الخاطر ، ولذلك فان الله عز وجل المطلع على الخفيات والعالم بما توسوس به النفس بعث الخصمين لداود يتنازعان عنده (وهل اتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم ، قالوا : لا تخف ! ، خصمان بغى بعضنا على بعض.فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط ، واهدنا الى سواء الصراط ، ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة ، فقال اكفلنيها وعزني في الخطاب ، قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه ، وان كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض الا الذين ءامنوا وعملوا الصالحات ، وقليل ما هم ، وظن داود انما فتناه ، فاستغفر ربه وخر راكعا واناب ، فغفرنا له ذلك ، وان له عندنا لزلفى وحسن مآب) .

هذا نص القرءان في القضية ، وقد فهم داود الكناية والتعريض ، الكناية بالنعجة عن المرأة ، والتعريض بمن يملك تسعا وتسعين امراة ويتمنى المراة التي هي الزوجة الوحيدة لاخيه ، فندم على ما فرط منه واستغفر ربه فغفر له .

وهذا الموقف هو الذي يعبر عنه علماؤنا رحمهم الله باحسن تعبير ، اذ يقولون : (حسنات الابرار سيئات المقربين) ، يعني مثالنا هذا لو كان غير داود هو الذي خطر بباله ما خطر وتصرف تصرف داود بان لم يخط خطوة في تحقيق ذلك الخاطر ، لكان الامر بالنسبة اليه لغوا بل لكتب له به حسنة بدليل (ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة) ولكنه حين صدر من داود وهو صاحب مقام رفيع في الدين والدنيا ، اعتبر سيئة استوجب منه الاسترجاع والتوبة .

ولا شك ان الحكاية لما شاعت ، لفق حولها الكفار وزنادقة اليهود مالفقوا وجعلوها حقيقة واقعية ، ثم دست في اسفار التوراة لمزيد التضليل والاغواء ، وهي كانت بصورتها المثالية التي ذكرت في القرءان احرى ان تبعث على الائتساء والاقتداء في طلب السمو والكمال .

189) في ص 189 ، ع نى ترجمة للامام داود الظاهري سمي فيها هذا الامام داود خلفه ، وهو داود ابن علي بن خلف ، وقال عنه شافعي صاحب المدرسة الظاهرية في الفقه) وهذا تناقض ، فداود رحمه الله لم يكن شافعيا بل هو صاحب مذهب مستقل هو مذهب الظاهرية وبينه وبين مذهب الشافعي خلاف كبير .

190) في ص 190 ، ع نى ترجمة للشيخ احمد زيني دحلان قال فيها : (اهم مؤلفاته في التاريخ (الدول الاسلامية بالجداول المرضية) وهو على ما نعرف : (الجداول المرضية في تاريخ الدول الاسلامية) وليس هذا هو اهم مؤلفاته فان كتابه (الفتوحات الاسلامية بعد الفتوحات النبوية) احرى ان يعد اهم مؤلفاته .

191) في ص 191 ، ع ل ترجمة لسيدنا دحية الكلبي الصحابي ، قال فيها هو ابن حليقة بالحاء المهملة والصواب خليفة بالخاء ، ولعل ذلك من خطأ الطبع .

191) في ص 192 ، ع ل تعريف بدرعة ، قال فيه : (نهر في المغرب ...) ودرعة اقليم مغربي يجري فيه

هذا النهر الذي سمي باسم الاقليم ، ففي التعريف قصور ظاهـــــر .

192)في العمود نفسه تعريف بالشيخ مولاي العربي الدرقاوي ، قال فيه : (الدرقاوي مولاي) وكان حقه ان يتبع لفظ مولاي باسم الشيخ المعرف به وهو العربي فانه لا يقال له مولاي الدرقاوي وانما يقـال مـولاي العربي الدرقاوي .

193) في ص 194 ، ع ل تعريف بدفينة قرية مصرية قال فيه : (كانت « جفتلك » لوالدة الخديوي اسماعيل) يعني مزرعة ، فهل المنجد معجم عربي او تركي حتى تعرف فيه الاشياء بالعبارات التركية ؟ .

194) في العمود نفسه تعريف بالمؤرخ محمد بن علي الدكالي السلوي تصحف فيه اسم مؤلفه (ادواح البستان في اخبار العدوتين ومن فيهما من الاعيان) الى ارواح بالراء والعدوتين بياءين واريح بالف وراء ثم حاء فليصحح .

195) في المكان نفسه ايضا تعريـف بمحمـد الدكرجي ، قال اليه تنسب القصيدة :

زر والديـك وقف على قبريهمـــا
فكأنـني بـك قـد نقلـت اليهمـا

وهذه النسبة الى المذكور خطأ لا شك فيه،وقد كنا نبهنا عليها في النبوغ المغربي تعليقا في طبعته الاولى ، وقلنا ان البيت الاول مشهور قديم وما زيد عليه نسب الى القصار من اهل القرن العاشر ، فكيف تكون القصيدة للدكرجي وهي معروفة قبله بزمن طويل ؟ .

196) في ص 195 ، ع نى ذكر تحت اسم دمنـــة بلدة قال انها في المغرب الاقصى (961 م) (4000)، بالقرب منها مغارة ام النغري ... ولا نـدري ان كان يريد دمنة التي تذكر في حروب يوسف بن تاشفين قرب طنجة ، فهذه اندثرت الان ولا يصح ان يعد سكانهـــا باربعة الاف كما يفهم من كلامه او هو يريد دمنات ، وهي التي ينطبق عليها رقم الارتفاع عن سطح البحـر الذي ذكره اعني (961 م) ، واذن ينبغي كتابها دمنات بالف وتاء مطلقة .

197) في ص 197 ، ع ل تعريف بالشاعر عبد الله ابن الدمينة ضبط فيه اسمه بفتح الدال مكبرا وهو بضمها مع فتح الميم مصغرا ، والدمينة امه . ثم قال : (ولعله هو المذكور في الطبري فيكون حاكم مكة على ايـام الرشيد) ويقال عليه انه شاعر اموي لم يدرك عصـر العباسيين فلا يمكن ان يكون هذا الذي توهمه .

198) في ص 200 ، ع نى تعريف بابي الاســود الدؤلي جاء فيه : (كان ابوه من انصار علي بن ابـي طالب) وهذا لا يصح لان اباه توفي كافرا ، وقال : اليه ينسب (اصول النحو العربي) ، وهذا يوهـم ان كتابا بهذا الاسم ينسـب الى ابي الاسـود ، وليس بصحيـح ، وكانه اراد ان يقول انـه اول من وضع قواعد للنحـو العربي باشارة علي بن ابي طالب (ض) فعبر بتلـك العبارة الموهمــة .

199) في ص 202 ، ع ل عند الكلام على ديار بكر قال : فتحها عياض بن غنام النهري) ولا شك انه يريد عياض بن غنم بفتح الغين وسكون النون الفهري بالفاء المكسورة ، فلعل ذلك من تصحيف الطبع .

حـرف الـذال :

200) في ص 208 ، ع ل ذكر ذا الحجة ، الشهر العربي المعروف وقال ان مراسيم الحج تتم في العاشر منه ، وليس كذلك ، فانها تمتد الى اليوم الثاني عشر لمن تعجل ، والثالث عشر لمن لم يتعجل .

201) في المحل نفسه ترجمة لذي الرمة ، الشاعر الاموي جاء فيها : (له ديوان يحوي ثلثي لغة العرب) وربما اوهم هذا ان ديوانه كتاب لغة لان العبارة تقتضي ذلك ، والامر بخلافه ، وهو يشير بذلك لما قيل من ان شعر ذي الرمة ثلث اللغة اي فيه من مفردات اللغة ما يعادل ثلثها ، وقد زادت عبارة المنجد ثلثا ثانيا ولم تعبر بوضوح عن المراد .

202) فيه ايضا : ذو الشيراء بالكسر والمد من ءالهة العرب في الجاهلية ، وهو ذو الشرى بالالف المقصورة وفتح الشيـــن .

203) في ع نى من الصفحة ذاتها وقع اسم ذي الكفل عليه السلام مشكولا بفتحتين وهو بكسر فسكون .

طنجـة : عبد اللـه كنـون

نظرة عابرة حول : النقد في حياتنا الفكرية الراهنة

للأستاذ : المهدي البرجالي

هل تستطيع حالة التغاضي عن النقدان تقدم شيئا ما او تؤخره في مجال اصلاح العقلية النقديةعندنا؟ هل تستطيع ـ وبمرور الزمن ـ ان تختزل من حدة العقد النفسية الموجودة . وتنقذ حياةالفكر واستقامته وتقدميته وايجابيته من تاثير هذه العقد ؟ لا يبدو ان ذلك ممكنا بصورة مؤكدة ، واذا امكن حقا ، فمن المعقول ان يقال حينئذ الا حاجة اكيدة تدعو الى نقد او رد على النقد .

الحديث عن احوالنا الفكرية والادبية ، وما يتصل بذلك من ظواهر وحقائق ، نلمسها جميعا ونعيش نتائجها جميعا ، مثل هذا الحديث قد اصبح يبعث في بعض الاحيان على السآمة والشعور بالابتذال ، وذلك لكثرة ما ادلي حوله من آراء ونظريات ، تختلف باختلاف مشارب اصحابها واقتناعاتهم ، ولكن كل هذه الاراء وهذه النظريات لم تستطع فعلا ان تقدم في الامر او تؤخر شيئا ذا بال ، والواقع ان التجربة دلت على أن البحث عن اسباب الركود الفكري بالمغرب ، لم يساهم عمليا ـ لحد الان ـ في مقاومة هذا الركود ، ولم يكن قط هو السبب فيما هو موجود الان من مبادرات فكرية متواضعة ، تظهر هنا وهناك بين الفينة والاخرى ، ويتفاوت نصيبها من الجودة وطابع المسؤولية والجدية . ان هذه المبادرات المختلفة تصدر في الغالب عفويا وبصورة غير مضمونة الاستمرار ، اي ان وجودها ليس ناشئا ـ بالضرورة ـ عن طريق التأثر بالافكار الاكاديمية التي تروج حول الركود الادبي ، وضرورة القضاء عليه بما يمكن من الطرق والوسائل ، وهي لهذا لا تعبر عن وجود تفاعل كامل بين المقدمة والنتيجة كما هو الامر في الاحوال العادية ، اي بين المقدمة المتمثلة في البحث عن الاسباب المتعلقة بظاهرة سيئة ما . والنتيجة التي تتجلى فيما يؤول اليه الامر من تقويم هذه الظاهرة عن طريق القضاء على اسباب اعوجاجها ، واصطناع وسائل واحوال تكفل تصفية هذا الاعوجاج . فالمحاولات الادبية والفكرية الموجودة الان ، وان كانت تشمل ميادين عدة من ميادين الفكر ، وتأخذ اشكالا مختلفة ، كالقصة ، والمقالة ، والبحث ، والقصيدة ، واللوحة وغير ذلك ـ فان هذه المحاولات لا تعكس في عمومها وجود اتجاه قوي وعام ، نحو بناء نهضة فكرية جديرة بهذا الاسم ، كما نرغب فيه جميعا من الناحية المبدئية ، ويبتغي الوصول اليه كل من يثير الاحاديث الاكاديمية عن ظاهرة الجمود الادبي ووسائل علاجه .

لا نطيل الحديث كثيرا عن هذه المحاولات ، وعن قيمتها الشكلية والموضوعية ، فذلك شأن لا يدخل بالضرورة ضمن القضايا الجوهرية التي نبتغي التعرض اليها في هذا الحديث ، ولكن سؤالا واحدا يلح على الذهن بهذا الشأن ، ويفرض نفسه دائما بمناسبة اي حديث عن الاحوال الفكرية والادبية عندنا مهما كانت وجهة هذا الحديث وغايته ، والسؤال هو : اليس من الضروري ومن اللازم ان يولى قدر من العناية بهذه المحاولات الفكرية ، التي تظهر في محيطنا بين الفينة والاخرى على اعتبار ان مثل هذه العناية من شأنها ان تشجع القرائح، وتحفزها على المنح والاعطاء وتساعد

بذلك على استثارة ما كمن من خامد المواهب الفكرية ، التي لما تزل معطلة باهتة ، لسبب او آخر ؟

سؤال لعله من البساطة بالدرجة التي تجعل الجواب عنه ايضا في غاية البساطة ، الا اذا كان هناك من يجادل في وجوب العناية بالاثار الفكرية القليلة ، التي تظهر هنا وهناك ، ويرى انه لا ضرورة لتشجيع محاولات من هذا القبيل ، اما يأسا من جدواها ، او استخفافا بقضية الفكر ، والحياة الفكرية من الاساس ، ومثل من يرى هذا الراي نتركه على رأيه ، ولا نرى ان هناك فائدة من مجادلته ، لكن بالنسبة لأولئك الذين يرون الراي العادي في هذا الشأن اي الراي الذي يذهب الى ضرورة تشجيع المحاولات الفكرية المبذولة ، واعطائها بعض العناية تقل او تكثر ، بالنسبة لهؤلاء ، نريد اولا ، ان نحدد المراد بالعناية والتشجيع في هذا المجال : هل المراد بذلك هو في الدرجة الاولى ، اغداق المكافآت والاجازات على ذوي الانتاج المقصود تشجيعه ؟ وهل المراد كذلك وجوب التغاضي عن سيئات الانتاج المعروض والاقتصار فقط « تقريبا » على التنويه بمحاسنه ، وتقط الايجابية فيه ؟ وهل المراد غير هذا وذاك ، مما من شأنه فقط ، ان يتيح للمنتج فرصة الحصول على فوائد مادية ومعنوية مختلفة ، مقابل ما بذله من مجهود ، وما قدمه من انتاج اعتصره من فكره واعصابه ؟

هذا جانب مهم من القضية المعروضة ، ومن شأنه — لدقته ونسبيته — ان تختلف فيه المفاهيم الى حد ما ، بل وتذهب احيانا في هذا الاختلاف الى درجة التناقض البين .

وترجع دقة هذه المسألة الى كونها متعلقة — في جملة ما تتعلق به — باهواء الناس ونزواتهم ، اما نسبيتها فتعود الى ما هو موجود من اختلاف المفاهيم بهذا الشأن ، وتأثر هذه المفاهيم بامزجة الاشخاص وظروفهم النفسية والعقلية ، ونظرتهم الى الاشياء من زوايا متنوعة ، فهناك من يرى — على ما يبدو — ان التشجيع الذي يمكن ان يولى للفكر ، يجب ان يتمثل — خاصة — في بذل المعونات المادية ، باعتبارها ذات اهمية رئيسية في هذا الميدان ، وذلك بما تساعد به رجل الفكر من مغالبة الصعوبات المادية ، التي تأخذ منه عادة كل مأخذ ، ولا تترك له احيانا فرصة كافية للخلق والانتاج ، وثمة من يرى ان التشجيع المعنوي لا يقل اهمية عما عداه ، بل ربما يكتسي اهمية اكثر ، وتسأل عما يراد بالتشجيع المعنوي ، فتجاب بان المقصود به هو ان يبدي الجمهور الاهتمام الكافي بما يقدمه المفكر من انتاج ، اي الاقبال على ما يعطيه للمجتمع من بنات فكره ، وعصارة ذهنه ، والتجاوب في ذلك معه تجاوبا يشعره بقيمة ما يبذله من جهد ، وما يقدمه للمجتمع من خدمات .

وقد يطول استعراض الاراء بهذا الشأن ، مما يمكن ان يشط بنا عن الموضوع كثيرا ، لكن اذا صهرنا الاراء كلها في بوتقة واحدة ، فاننا لا نجدهاتخرج — في الجوهر — عن المطالبة للمنتج بحقوق وامكانيات، تساعده على نشاطه الخير ، والا فان هذا النشاط يشل في بداية الطريق ، او في نصفها على الاقل ، كما يلاحظ في كثير من الحالات .

ولا اظن ان هناك من يرفض — مبدئيا — ضرورة تشجيع الفكر على هذه الوتيرة ، وان كانت الحقائق العملية ، لا تساعد دائما على الاستجابة لمقتضى هذه الضرورة ، بيد ان الذي لا يجب ان يغرب عن الذهن بهذا الصدد ، هو ان مبادرات التشجيع لرجال الفكر لا يجب ان تأتي دائما من الجمهور المستهلك ، او المسؤولين عن الشؤون العامة فقط ، بل ان رجال الفكر انفسهم مطالبون بتشجيع الحياة الفكرية والانتاجية ، والمساهمة في مدها دائما ، بامصال الحيوية والتجديد والنشاط ، وذلك عن طريق الاهتمام بما يصدر من ءاثار فكرية قليلة ، والاسهام في احداث التجاوب الذي يرجى من وراء صدور هذه الاثار ، وافساح المجال هكذا امام قضايا الفكر ، لتأخذ مكانها او بعض مكانها في اذهان الناس وعلى صعيد الاهتمامات العامة للجمهور .

لكن المراد بالتشجيع هنا ليس من نوع ما يجب ان يصدر عن الجمهور العادي من دلائل الاقبال ، وما يجب ان يتلقاه المنتج من مكافآت مادية على مجهوداته وعطائه ، فاذا كان على الجمهور ان يمنح لرجال الفكر تشجيعات ممكنة من هذا النوع فان التشجيع الذي ينتظر من الاوساط نفسها التي تعنى بالفكر ، وتشتغل به — هذا التشجيع يجب ان يتمثل في العناية بتقييم الانتاج الصادر — على قلته — والمبادرة الى تقويم ما هو منه في حاجة الى تقويم ، ومراقبة الاتجاهات الفكرية والمحاولات الانتاجية المنبثقة عنها ، وملاحقة كل ذلك بالتشذيب والتوجيه والتمحيص ، ومطاردة مظاهر النزوع الى التفاهة والعشوائية والطفيلية في ميدان الادب والفكر والثقافة .

في هذا الاطار – وليس في سواه – يجب ان نضع قضية النقد العلمي والادبي في هذا البلد وفي محيطنا العربي عموما ، وبذلك فقط يمكن ان يكون النقد عامل ايجابية وتقدمية في حياتنا الفكرية والعلمية ، وبذلك ايضا يمكن ان يصبح كأداة تشجيع حقيقي لحياة الفكر والانتاج ، وسبيلا الى استحثاث قرائح المنتجين ، بل وفي مقدمة وسائل التشجيع التي لابد من اعتمادها لبذر عوامل نشاط شامل قد ينضج ويتسع مداه ، ليصبح نهضة حقيقية كاملة ، اما الحل الذي يذهب الى انه من الانسب التغاضي عن التشدد في النقد – ولو بصورة موقتة – فلا اظن انه ينبني على شيء الا على مراعاة بعض الحقائق السلبية ، التي تسود الحياة الفكرية والانتاجية عندنا ، وهذه الحقائق – من نزوع الى الخلط بين العلمية والذاتية ، وميل الى التعسف في النقد او الردعلى النقاد والمعقبين، وضعف عدد من المنقودلهم امام ما يجتاحهم من انفعالات – علاوة على موقف « المتفرجين » و « الشامتين » الذين ينظرون عادة الى عملية النقد ، على انها « معركة » لابد ان يكون فيها غالب ومغلوب ، وشجاع وجبان – هذه الحقائق كلها هي موجودة بالفعل ، ولا سبيل الى المكابرة فيها ، لانها اقع فكري قائم ، تعيشه الحياة الفكرية عندنا ، وتعاني منه ماتعاني مما يمس بقدسية الحقيقة العلمية في بعض الاحيان ، ويجعل البحث عن هذه الحقيقة محفوفا في كثير من الحالات ، بطفيليات الجدل العقيم، والمماحكات الشخصية ، التي لا تكاد تجد لها حدودا تقف عندها .

لكن هل تستطيع حالة التغاضي عن النقد ان تقدم في هذا الباب شيئا ما او تؤخره ؟ هل تستطيع اذن – وبمرور الزمن – ان تختزل من حدة العقد النفسية الموجودة ، وتنقذ حياة الفكر ، واستقامته ، وايجابيته ، وتقدميته ، من تاثير هذه العقد وما تحمله من نتائج سلبية وتقهقرية في اكثر الحالات ؟ لا يبدو ان ذلك ممكن بصورة مؤكدة واذا ما امكن حقا ، فمن المعقول حينئذ ان نستغني بعض الشيء عن النقد ، بل من الجائز ان يقال في مثل هذه الحالة ، الا حاجة اكيدة تدعو الى نقد او رد على النقد .

عرفت الصداقة الادبية بالمغرب خلال الثلاثين سنة الاخيرة ، توسعا متزايدا ، وان كان لا يزال محدودا على العموم لحد الان ، وبتعدد الصحف والمجلات التي كانت تظهر وتختفي خلال فترات مختلفة من هذه الحقبة ، تعددت وجهات الكتابة الادبية من مقالة ، وقصة ، واقصوصة ، وقصيدة ، ومقطوعة ، وابحاث متسلسلة ، وخواطر عابرة ، وغير هذا وذاك من الوان الكتابة واساليبها ، وكان من الطبيعي ان يصاحب هذا النشاط الانتاجي ، نشاط مواز له على صعيد النقد ، والمناقضات الادبية فنشرت – مجلة المغرب «الرباط» – سلسلة نقدية للشعر ، كان لها صداها البعيد ءانئذ ، « حوالي سنة 1934 » «1» وتجلت هذه الاصداء في عدة ردود ، وردود مضادة ، يعكس بعضها حالة الادب والفكر الادبي كما كان سائدا ساعتئذ ، وحملت مجلة المغرب الجديد «تطوان» «2» هي الاخرى مقالات نقدية وردودا عليها بلغ بعضها درجة لا تناسب المستوى الادبي والثقافي في شيء، وخلال الحرب وما بعدها ظهرت على اعمدة«الثقافة»(3) والملحق الثقافي للمغرب«سلا» ورسالة المغرب « الرباط » وغيرها بعض المقالات النقدية كان بعضها يثير اخذا وردا بين كاتب وءاخر .

ولم تكن هذه المقالات الجدلية تمر مرورا خافتا بل كانت تستثير فضول القراء ، ويعلق عليها البعض منهم ، الى جانب ما يعلق عليه من احوال الحرب ومشاكل التموين والقضايا الوطنية وغير ذلك .

وفي عهد الاستقلال ، برزت عدة مطبوعات دورية سواء منها الشهرية والاسبوعية ، وعني بعض هذه المطبوعات – فيما كان يعنى به – بنشر جملة من التعليقات بين الفينة والاخرى ، ومقالات تسودها روح التقييم والتوجيه ، سواء اكان المحور الذي تدور حوله هذه المقالات هو كتاب معين ظهر في الاسواق او بحث من الابحاث صدر في الصحف ، او شريط ما عرضته الشاشة او مسرحية خاصة ، مثلت على الخشبة ، وسواء ايضا اكان هذا المحور هو مجموع الاحوال الادبية عندنا ، وحياة الانتاج والاستهلاك الفكري في مجتمعنا الحاضر ، وما يدعو اليه الحال بمناسبة ذلك ، من محاولة تقييم مجمل الانتاجات الصادرة ، واستخراج نقط الضعف التي

---

1) لذعات بريئة : مجلة المغرب ابتداء من يوليوز 1934 الاعداد الموالية .

2» راجع مثلا العدد 11 من السنة الثانية«1934»

3) راجع مثلا العدد 5 من السنة الثانية من مجلة « الثقافة « يناير 1963» الادريسي : للحقيقة والتاريخ

قد تتسم بها هذه الانتاجات ، ولقد ما يمكن نقده من نزعات وظواهر فكرية ، تظهر من خلال ذلك كله ، وقد يثير بعض هذه النزعات سلسلة طويلة من الجدل كموضوع الشعر المتحرر ، وغيره من المواضيع المماثلة :

1» اذا ما استعرضنا حملة الكتابات النقدية من هذا القبيل ، والتي ظهرت على فترات مختلفة من حياة المغرب الفكرية خلال هذه الحقبة ، فان ذلك يتيح لنا بعض الملاحظات والاستنتاجات التي لا تشمل بالضرورة كل ما كتب في النقد ا والرد عليه « فثمت فعلا بعض الدراسات والتقييمات من هذا القبيل ، نشرت مستوفية بعض شروط الكتابة العلمية وتسودها ــ على العموم ــ روح موضوعية ملحوظة » الا ان هذه الملاحظات تنطبق على كثير مما نشر غير ذلك من كتابات النقد والنقد المضاد ، طوال الثلاثين سنة الماضية ، ومما يلاحظ على هذا النحو خلال كل هذه الحقبة ان اية مبادرة نقدية ، لابد ان تثير في الغالب ر دفعل من جانب المنقود له ، وغالبا ما يكون رد الفعل هذا عنيفا وحادا ، بحيث يكتسي في جملته شكل حملة مضادة ، ينصب بعضها على موضوع الدفاع عن الذات ، ويكتسي جانبها الاخر ، صبغة هجوم على الشخص الناقد ، وتفنيد ءارائه واستنتاجاته جملة وتفصيلا في بعض الاحيان .

2» لا تخلو بعض الكتابات النقدية ، من بعض التعابير التي تعكس في مضمونها مقدار ما بلغه المنقود له من انفعال حاد ، وتوتر يكاد يذهب بلب الحليم وبالطبع فان مثل هذه التعابير لابد ان تعتبر من قبيل الحشو الذي فرضته نقائص العقلية النقدية السائدة عندنا .

3» كثيرا ما يخرج النقد بسبب ذلك او غيره ــ عن الموضوع الاصلي الذي اثير من اجله هذا النقد وهكذا يتشعب الموضوع تشعبا غير ضروري في كثير من الاحيان ، ويذهب فيه الجانبان «المتعاركان» مذاهب شتى تتناول فنونا كثيرة ، ومناحي مختلفة الا ان الموضوع الرئيسي الذي كان مثار الجدل في الاول يبقى في كثير من الاحيان غامضا وغير قار لايكاد يتبين له ول من ءاخر .

4» وقد تؤدي هذه الحالة من الجدل المتشعب ، وتبادل اللمزات واللواذع ، ان احد الطرفين ربما يمل «العراك» او انه يوجه بعض المؤاخذات ، الى الصحيفة الناشرة ، او لاسباب اخرى مجتمعة مع هذه ، فينسحب نتيجة لذلك ولغيره عن الميدان ، ساخطا على عالم الانتاج والنقد ، وقد يكون انسحابه نهائيا ، بحيث لا تجد له اثرا ــ بعد ذلك ــ في ميدان من ميادين الكتابة مهما تقادم العهد على الحادثة « النقدية » التي اثارت سخطه وحفيظته .

5» وفي نفس الوقت تجد عددا ممن يقدر لهم ان يتابعوا تفاصيل المعركة الناشبة ــ تجدهم في حالات عدة ــ متحزبين لهذا او لذاك ، بحسب شخصيته ونظرتهم اليه من مختلف الزوايا سياسية كانت أو اجتماعية ، او غيرها ، لا بالنظر الى طبيعة الموضوع المثار ، ووجه الحق والصواب فيه عند هذا او الاخر ، بل وقد تجد من بين المتتبعين هؤلاء من يتطوع هو الاخر بالكتابة في الموضوع مناصرا وجهة نظر هذا ضد الاخر ، متمحلا في ذلك تمحلا يزيد في تعقيد «المعركة» النقدية القائمة ، ويضاعف امكانيات توسعها الذي لا يحد .

❋ ❋ ❋

طيلة ثلاثين سنة متواصلة اصاب خلالها البحث الادبي والعلمي في المغرب تقدما لاباس به وعلى الرغم من ان فنون التعبير الاخرى كالقصيدة والقصة وغيرها ما زال تطورها محدودا جدا ولا يؤبه له في بعض الاعتبارات ، فان القرائح في هذه الميادين ليست مع ذلك جامدة كل الجمود ، وقد برزت في خلال العقد الاخير محالات مهمة جدا لو تعددت ووجدت الاصداء الايجابية الكافية لحققت للقصة والشعر هنا قفزات حقيقية .

لكن موضوع النقد بقي ــ كما راينا ــ خلال كل هذه المدة الطويلة ، دون ان تتحقق في مضماره تطورات ايجابية ــ تجعله قادرا على استيعاب التطورات التي وقعت في ميدان المبادرة الانتاجية ، وكفيلا بتوجيه هذه المبادرة ، وتقويمها عند الاقتضاء ، والاسهام بذلك في بعث نهضة فكرية حقيقية ، يترجاها الجميع ، وهذه ظاهرة لابد ان الكثيرين يلاحظونها ، ويرون فيها عاملا من عوامل التخلف الذي نعانيه في مضمار الحياة الادبية والعلمية .

1» حملت « دعوة الحق » في ثناياها عددا من الفصول من هذا القبيل ، وقد خصصت احد اعدادها الماضية لاستطلاع احوال الادب والفكر في هذه الربوع.

وبديهي ان يتساءل كل من له عناية بقضايا الفكر والثقافة عن دواعي هذا الجمود الذي يسم الكتابة النقدية عندنا ؛ بل وهذا الاثر السيء الذي تحدثه بالفعل على سير الحركة الادبية والفكرية، التي لم تجاوز عندنا بعد طور النشوء الاولي ؟ سؤال لا يقل الحاحا عن تساؤلنا التقليدي الدائم ، حول عوامل الركود الادبي بوجه عام ، بل ان تساؤلنا عن جمود الكتابة النقدية ، وتعقد نفسية النقاد والمنقود لهم ، لعله اكثر اهمية والحاحا لان تخلف النقد عندنا له اثره – ولا شك – في تخلف الحياة الادبية بصورة عامة ، وما تعانيه من تعثرات في مختلف الميادين .

لكن هل من اليسير ان يلقي المرء نظرة هنا ونظرة هناك ، ليدعي في الاخير انه قد نجح في تحديد عوامل التخلف الذي يسم الكتابة النقدية عندنا ، وبالاخص موقف المنقود لهم من العملية النقدية ، ان استقصاء ذا روح شمولية كهذا ، يستوجب – في الواقع – اجراء دراسات نفسانية وغيرها على نطاق واسع ومن اللازم لذلك – ان يكون الاهتمام بهذا الموضوع غير محدود ، بل من شأنه ان يشغل اذهان الكثيرين ، وخاصة منهم المعنيين بمثل هذه المسائل حتى يستطاع بذلك تكوين فكرة موضوعية وشاملة عن مختلف جوانب هذه الظاهرة ، وعن العوامل المختلفة التي تكمن وراءها ، ولعل من بين هذه العوامل على ما يظهر :

1» ما يرجع لطبيعة التأثير ، الذي ما فتئت الحياة الادبية بالمشرق العربي تحدثه على افكار الكثيرين منا وانفعالاتهم الفكرية ، لقد كان هناك منذ فجر النهضة الفكرية الحديثة في الشرق ، صراع ادبي و «حملات» ادبية و «خصومات» و « منازعات » تخوضها اقلام لها وزن كبير في دنيا الادب والفكر العربي الحديث وكان الجمهور الادبي يتتبع هنا – في الغالب – تفاصيل هذه الخصومات ، وينفعل بها ؛ وربما تقود هذه الحالة افرادا او غيرهم الى التحزب لهذا الاديب او الاخر ، والتأثر بطريقته في المصاولة والمجاولة ؛ وليس ينكر ان مجلات محترمة كالرسالة وغيرها كانت مجالا خصبا لحوادث ادبية من هذا القبيل ، عدا الكتب الكثيرة الصادرة في مثل هذا المعنى ، وبعضها لم ينشر على الناس الا في نطاق تعزيز حملة منظمة ضد هذا الاديب او الاخر من ادباء العربية البارزين ، فهل كان لكل هذا تأثير ما في تكييف عقليتنا الادبية ، وتوجيهها هذا التوجيه الذي يكاد يجعل من النقد احيانا اداة لتصفية الحسابات الشخصية ، ويثير انفعالات المنقود لهم الى درجة الغضب الصاخب ، كما تمكن ملاحظته في عدة حالات ؟

2» الخوف على السمعة ، والحرص على الهالة الاجتماعية تأثير محتمل ايضا في هذا المجال ! فبعض الذين تنقد انتاجاتهم على نحو او غيره – يشعرون انهم قد اصبحوا في حاجة الى دفاع عن مكانتهم الادبية والهالة الاجتماعية التي تحيط بهم نتيجة لذلك او غيره ، ان محاولة تصويب راي لهم ، او تقويم خطأ او ابراز نقص ، او نقض حجة ، او التماس دليل ، او توجيه ارشاد او غير هذا وذاك ، كل هذا قد ينال في اعتبار مثل هؤلاء – من المقام الادبي او العلمي الذي لهم بين الناس ، ومن ثم فان اللجوء الى « الرد » و « الرد على الرد » بكل ما يصاحب ذلك من ضراوة في النقاش وتمحل في ايراد الحجج والمسوغا ت، يعتبر شيئا حتميا لتصفية الحالة ورد المهاجم الى صوابه .

3» ومما يضاعف من حدة ردود الفعل عند المنقود لهم ، ان عددا من النقاد لا يترددون في توجيه كتاباتهم النقدية ، توجيها يكتسي صبغة حملة منظمة في بعض الاحيان ، وماذا ينتظر بعد ذلك من المنقود له الا ان يعيد الكرة هو والاخر ، ويشنها حملة مضادة لا تقل شراسة وحدة .

4» وبوجه عام ، فان مزاجنا الذي يبدو مرهفا في اكثرية الحالات ، ربما لا يساعد البعض منا على مواصلة النظرة الموضوعية للامور ، وذلك لما لدى مثل هؤلاء من طاقة انفعالية سريعة الاستجابة للاثارة ، وشعور بالذاتية اكثر من اللازم تحتد معه الانفعالات احتدادا ، كلما كان هناك ادنى شعور بنيل من كرامة ، او انتقاص من القيمة الشخصية .

ان اعتبار المزاج في هذا المقام يقوم – في الواقع – على مجرد ملاحظة بسيطة ، ولا ادعاء هناك بان هذا التعليل هو ذو قيمة علمية مطلقة ، الا ان هذا لا يمنع – مع ذلك – من ملاحظة الظاهرة الموجودة ، والتي يمكن تبينها على نطاق واسع ، وهذه الظاهرة هي ان حدة المزاج عندنا – كما عند كثير غيرنا من الشعوب – تفرض علينا احيانا جملة من المشاعر السلبية ، لا على صعيد الحياة العامة، بل في نطاق الحياة الثقافية كذلك الامر الذي قد يصل في عدة حالات الى حد اضعاف العقلية العلمية الهادئة الرصينة عندنا ، ويستصدر منا احيانا مواقف فكرية فجة ومبتسرة ، وخاضعة للنزوات ، وذلك – على الاخص – عندما يصدر البعض منا انتاجا فيوجد من يتعرض لهذا الانتاج بالنقد والتعقيب ، حتى ولو في حالة ما اذا اقتصر الناقد

على توجيه ملاحظات جزئية ، لا تنال فى شيء من القيمة الجوهرية للاثر المنقود .

لقد حاولنا فى الفقرة السالفة ــ ان نتبين بعض الاحوال السلبية التي تميز حياة النقد عندنا وخاصة تأثيره على عدد من المنتجين ، وما يتخذه هؤلاء من مواقف ازاء العملية النقدية تدعو اليها ــ كما هو ملحوظ ــ عوامل نفسية واجتماعية مختلفة .

ومثل هذه الاحوال لا تشجع ــ حقيقة ــ على ازدهار جانب النقد فى مضمار الحياة الفكرية داخل بيئة متخلفة كبيئتنا الراهنة ، ولعل ذلك هو ما دعا بعض افاضل الكتاب الى ابراز خشيتهم من ان تؤدي المبالغة فى النقد ــ والحالة على ما هي عليه ــ الى عكس المراد منه كعامل على نمو الانتاج الادبي وازدهاره ومن غير شك ؛ فان هناك اعتبارات وجيهة جدا ، من حقها ان تحملنا ــ باستمرار ــ على الاخذ بهذا القول من ناحية مبدئية ، ومن هذه الاعتبارات :

1 ــ ضرورة تفادي المهاترات التي يجر اليها النقد فى المحط الاخير .

2 ــ وجوب تلافي الخصومات التي يطلق عليها عادة الخصومات الادبية ، والتي تستحيل فى كثير من الحالات الى خصومات شخصية حقيقية ، تتحكم فيها العقد والنزوات .

3 ــ ما يفرضه الحال من الحيلولة دون جعل النقد الادبي اداة لتصفية الحسابات الشخصية ، او ما هو فى حكم الحسابات الشخصية .

4 ــ اجتناب تثبيط بعض الهمم ، او بالاخص ، همم الناشئين الذين قد يحدث توالي النقد عليهم ، نوعا من الشعور بالنقص ، ربما يخمد فيهم جذوة النشاط ، وهو لما يزل فى بداية اشتعاله فينصرفون بذلك عن الخوض فى الحياة الانتاجية كلية .

5 ــ الاشفاق عموما على القيم الفكرية والخلقية ، والحرص ــ من اجل ذلك ــ على ان تنشأ فى مجتمعنا الادبي تقاليد جميلة ومنتجة ، لا ان تتكون فى حظيرته ــ بالعكس ــ سوابق ، قد لا نحمد تأثيرها امدا طويلا .

وهنا نجد انفسنا راجعين لترديد سؤال سابق : هل يكفي لمعالجة احوال كهذه ، تتعلق بموقفنا من النقد فى حياة الفكر والانتاج ، وعدم قابليتنا له كحتمية علمية مقدسة ، وضرورية لكل حياة فكرية ايجابية ونامية ومتطورة ، هل يكفي ــ فى مثل هاته الحالة ــ ان يغض الطرف عن النقد ــ ولو الى حين ــ ويترك المنتجون وشأنهم ، لكي يستطيعوا الاستمرار فى الانتاج بغض النظر عن طبيعة هذا الانتاج وقيمته وجدواه ؟

قد تتعدد الاراء فى هذا المجال ، ولكن لا اظن ان احدا يذهب الى الاخذ بمبدأ السلبية ، وترك الحبل على الغارب ، وهؤلاء الذين قد يظن انهم دعوا الى رأي من هذا النوع ، لا اعتقد انهم دعوا اليه فعلا بهذا المفهوم الضيق ، اي رفع كل رقابة على سير النشاط الفكري ، وتقبل جميع ما يصدر من انتاج على علاته ، انما الذي يظهر ، انهم ما ذهبوا الا الى القول باجتناب النقد المتحامل ، الذي يتخذ صورة حملة حقيقية ، الامر الذي يزعج حقا ذوي النفوس الحساسة ، ويبدي لهم جو النقد فى اطار جو معركة ،تشرع فيها الحراب وتصلت السيوف .

ان على المنتج الا ينزعج من حملات من هذا القبيل ، اذا كان واثقا مما يكتب ، وذا شعور حقيقي بواجبه كمفكر ومنتج ، عليه ــ قبل كل شيء ــ رسالة هو مطوق بها ، ومن مقتضيات هذه الرسالة محاولة استجلاء الحقيقة المقدسة ، عن طريق التعاون مع القراء وخاصة منهم النقاد والمعقبين ، اما اذا اشتط هؤلاء النقاد ، وجاوزوا مهمة التوجيه والتقويم الى « مهمة » الحملات الشخصية ، فليترفع منتجنا عن الانفعال السلبي ، الذي قد يحدثه ذلك ، وطبيعي ان ترفعا من هذا النوع ، اذا شاع على نطاق واسع بين المنتجين ، فلابد انه يعين ــ فى الاجل البعيد ــ على تقويم طريقة النقد نفسها عند النقاد ، ويقنعهم بضرورة احتذاء سبيل المنطق السليم والا انكشف موقف من يصر منهم على ركوب متن الشطط ، وظهر زيفه الفكري واضحا للملا اما ما عدا ذلك من نقد علمي للاراء التي يوردها المنتجون ، وتمحيص للحقائق التي يسجلونها بل ونقض موضوعي منطقي لبعض الاستنتاجات التي يتوصلون اليها ، كل هذا من المعقول ومن اليسير جدا النظر اليه على حقيقته ، اي باعتباره ظاهرة تعاون بين النقاد والمنقود لهم على خدمة قضية الثقافة والمعرفة ، وتضامن من اجل دفع عجلة النهضة الفكرية الى الامام ، لا على انه وليد مجرد الرغبة البسيطة فى التقريع والتشهير وهذه حقائق بدهية كان من الممكن الا تورد هنا ضمن فقرات هذا الموضوع ، ولكن بعض الظواهر السانحة فى دنيا الفكر عندنا ، قد اوجبت ايراد بدهيات من هذا القبيل .

تجتاز حركة الفكر فى هذه الربوع مرحلة رئيسية لها ما بعدها بالنسبة لمستقبل المغرب فى مضمار الثقافة الانسانية ، ان هذه المرحلة ليست – بحق – الا مرحلة تطور اولى على اعتبار ان حركة الفكر هنا لا تزال – على العموم – حركة ناشئة ، لم تستكمل بعد شروطها الجوهرية ، لتصبح حركة دينامية ناضجة ومبدعة ، لكن اليست المرحلة الاولى من حياة كل وليد هي اهم مراحل حياته اطلاقا ، لان فى خلالها تنمو ملكاته الحيوية ، وتتكيف نفسيته ، وتتجوهر شخصيته ، وتتحدد خطوط مزاجه واتجاهاته ؟ وفى غضونها بالذات تتكون الى حد ما – بذور مصيره كاداة فعالة منتجة ، او ككتلة مشلولة جوفاء ؟

وبالنظر لاهمية هذه المرحلة من النمو ، فان مثل هذه الحالة تقتضي عادة بذل عناية قصوى بالمخلوق الناشىء : مساعدته على النمو المتكامل، والتطور السليم تعزيز مجهوده من اجل مواجهة العقبات المعترضة ، والتغلب عليها ، توجيه خطواته والسهر على توازنها ، وتقويم هذه الخطوات عند حدوث اي تعثر ، الى غير هذا وذاك ، مما تستوجبه كل رعاية منظمة ومضبوطة علميا .

ووضعنا الادبي الناشىء هو – بطبيعة الحال – فى نفس الحاجة الى المراقبة والدعاية . – وكما ذكر فى مطلع الحديث – هو فى حاجة الى تشجيع يعزز خطواته ، التي لابد ان تتعثر كثيرا قبل ان تستقيم ، ومن غير شك ، فان النقاد ذوي الشعور بالمسؤولية الفكرية ، هم فى مقدمة من هو مطوق بضمان هذه الرعاية ، وتحقيق فاعليتها المنتجة .

ان عطاءنا الفكري لا يزال – كما قد نتفق عليه جميعا – دون اي مستوى منشود ، سواء من ناحية الكم او من جهة الكيف ، ويبدو ذلك واضحا لاول وهلة، وهو اكبر داع لما تردد من كثير الكلام حول الركود الادبي عندنا انتاجا واستهلاكا ، ولكنه يبدو اكثر من ذلك دقة اذا ما وضعنا امامنا جملة الاسئلة التالية :

1 – هل الافكار التي نوردها هي فى حقيقتها افكار خصبة معطاء ، وما مظهر خصوبتها وقدرتها هكذا على الاعطاء الايجابي الفني ؟ وهل تستطيع بذلك كله ان تدفع قطار الفكر كثيرا او قليلا الى الامام ؟ وما مظاهر هذا الدفع ونتائجه ؟

2 – اننا – ونحن فى بداية تطور فكري لا شك فى وجوده – لا مناص لنا طبعا من الانفعال بتيارات الادب والفكر خارج حدودنا الخاصة ، اي حدودنا الثقافية العربية ، بل ان هذا الانفعال هو حتمية ايجابية يجب ان تستمر دائما ، ولو بلغ نضجنا وعمق ادراكنا الادبي مبلغا كبيرا ، اذ انه ليس لنا دائما ان ننفعل وكفى ، بل علينا كذلك ان نتفاعل مع معطيات الفكر العالمي ، فنعطي وناخذ ونلهم ونستلهم ، من اجل خدمة الثقافة الانسانية ، وتقدم الوعي الانساني العام ، كل هذا مسلم به مبدئيا – ولاشك ، لكن فى حالة تطورنا الفكري الحاضر ، هل نشعر فعلا اننا ننفعل انفعالا ايجابيا بتيارات الادب المعاصر ؟ وهل يبدو من خلال هذا الانفعال ، اننا نهضم هضما جيدا ينمي لدينا – فيما بعد – نوعا من القدرة على الابتكار والتجديد ؟ وهل يتراءى ان لدينا استعدادا مبدئيا للوصول الى هذه الحالة القائمة فى جوهرها على الابتكار والتجديد ، ومعلوم – بكل بساطة – ان هذا هو مقياس قيمة كل تطور ثقافي صحيح ، فى نهاية المطاف ، والا كان المورد الثقافي لامة ما ضحلا لا يرجى من ورائه شىء له اهمية جذرية .

3 – هل ثمة بيننا حالة شعور بالمسؤولية الفكرية ، وما يقتضيه ذلك من اتباع سبيل النقد الذاتي ، والالتزام بالخلق العلمي فى التفكير والاستنتاج ، والتحلي بالاستقامة فى نقد ءاثار الغير ، ومجانبة طريق التهافت واللا مسؤولية ، وغير ذلك من المظاهر التي اذا ما توافرت وتضافرت ، فان من شأنها ان تعطي لاية حركة ثقافية صبغتها الجادة الناضجة

4 – هل نعمل كل ما يمكن عمله حقيقة ، من اجل اصطناع القارىء الواعي المثابر ، واجتذابه الى ما يكتب وينشر ، ولو فى هذا النطاق الصحفي المتوافر الان ؟ وفى حالة ما اذا كان انتاجنا لم ينجح عمليا فى تحقيق غايات من هذا القبيل لحد الان ، وذلك بالصورة الكافية ، فاي سبيل علينا ان ننتهجه للتقرب من هذه الغايات على قدر الامكان ؟

5 – ان مرامينا وتطلعاتنا الفكرية تتفق – فى كثير من الحالات – مع جملة من المبادىء والقيم ، نعتقد فى الغالب ان بها قوام الحضارة ، وعليها يجب ان ترتكز حياة انسانية سليمة ، جملة من القيم الفكرية والفنية وغيرها ، تقوم عند اي كاتب كمحور تدور حوله افكاره واقتناعاته العامة واقناعه للاخرين لكن هل ترانا نحرز نجاحا حقيقيا فى تقريب هذه القيم من الاذهان ، وتصويرها تصويرا دقيقا وامينا يتيح لها فى افكار الناس ، واذواقهم ، ومشاربهم ،

وتطلعاتهم ، مقاما ما ، وان كان محدود المدى ضيق التأثيــر ؟

اسئلة كثيرة من هذا النوع تقحم نفسها علــى الذهن ، كلما تناول المرء موضوع الانتاج عندنا والقراءة والنقد وما يتعلق بكل ذلك من شؤون وشجون ، اذ ان هذه الامور متعلق بعضها ببعض ، ومؤثر بعضهــا فى بعض ، ومن وراء ذلك كله ، لابد ان تكون هناك اهداف اساسية متوخاة ، وهذه الاهداف اهداف الوعــي والتطور والحضارة ، هي اهداف الفكر الحديث ، مهما اختلفت اللغات وتباينت المشارب والنزعات .

وحركتنا الفكرية ناشئة ، تنفتح باسبـــــاب التفاؤل والامل ، وان كان التفاؤل يحتاج دائما الى ما يبرره من ناحية مبدئية على الاقل ، ومبدأ التفاؤل هذا موجود ، فى توافر حياة جامعية عصرية بالمغرب ، ومن البدهي ان للروح الجامعية تاثيرا لابــد منــه في اشاعة النظرة العلمية الجادة ، وبكل ما تقتضيـــه من رحابة صدر فى البحث ، وسماحة فى تقبـل النقد ، ونزوع دائم الى الابداع ، وعمق ادراك للاشيـــاء ، ونشدان الحقيقة لا غير ومن يستعرض بعض ما ينشر يجد ءايات من هذه الروح ، بادية للعيان تدل علــى امكانيات تقدمية مهمة غير انه بمقدار ما تتعرض هذه الامكانيات للصقل عن طريق النقد ، بقدر ما تكــون ذات قابلية اكثر لاعطاء اجود الثمرات ، ضمن الاهداف الفكرية الكبرى المشار الى بعضها ءانفا ، والتي تتوخاها كل حركــة فكريــة جــادة وناضجــة .

ان الكاتب لا يكتب لنفســه ، فى المحط الاول ، ولو كان الامر كذلك لما كان له ان ينشر كتاباته علــى الناس بوسيلة من الوسائل ، ولذلك فان على الكاتــب أن يتقبل مبدئيا ــ فكرة النقد ــ بل ويتزود بطاقــة كافية من التسامح مقابل ما يمكن ان يكون هناك مــن مغالاة فى العملية النقدية ، وذلك كله ، قبل ان تلقي بما ينتجه الى الجمهور ، وكيفما كان مستوى هــذا الجمهور فكريا ، ومدى قدرته على التمييز بين الغث والسمين ، فان هذا لا يمكن ان يناقض ضروريــة النقد الموضوعي ، باعتباره عملية حيوية ، لضمـــان سلامة الوليد الفكري ، الذي تمخضت عنه هـــذه السنوات الثلاثون من حياة المغرب الادبية .

❋ ❋ ❋

عنيت « دعوة الحق » منذ مطلع سنتها الراحلة ، باحياء سنتها القديمة ، التي سارت عليها فترة مــن الدهر ، منسجمة مع خطة بعض المجلات الثقافيـــة العربية ، مراجعة ما ينشر فيها من شعر ونثر ووضعه على محك الوزن والنقد ، ولو كان الامر ممكنا مــن الناحية العملية ، لوددت ــ كما ربمـا يود كثيرون ــ ان تنشر المجلة نصف ما ينشر فيها ، على ان يخصص النصف الاخر ، لنقد ما ينشر ، وليس المهم فى ذلك ، هو مجرد التعرض لانتاج شخص ما بالنقد والتعليق ، ليس المهم فى ذلك هو المقالات فى حد ذاتها ، وانما المهم اكثر من هذا كله ــ وكما تقدم ــ هو العمل علـــى اشاعة النظرة الموضوعية فى جونا الادبــي والثقافي ، وبث روح علمية متصوفة قوامهـا استطلاع ءافـــاق الحق والخير والجمال ، مجردا عن مختلف الملابســات الحشويــة والعقد النفسانيــة .

ولا ريب انه سيبقى من حسنات هــذه المجلة ان تساهم ــ بما يمكن ان تنشره مــن نقد موضوعــي فى خلق جو فكري ايجابي من هذا القبيل ، لكن الحصول على نتائج مهمة من هذا النوع يقتضي توسعا كبيــرا فى موضوع النقد ، واهتماما اكبر مــن جانب النقاد ، بما يعالجونه من مواضيع نقدية ، ولحد ما نشر للان، فان الذين يتولون عملية النقد فى المجلة ، لا يخرجون ــ فى الغالب عن ثلاثة اصناف :

1» اصحاب النظرة العابرة ، وعــذر هــؤلاء ان الحيز المخصص للنقد ، اقل من ان يتسع لفحص علمي مدقــق .

2» اصحاب النظرة الجزئية الذين لا يتناولون من العدد الا جزءا ضيئلا منه ، ثم يغضون عن الباقي ، على اعتبار ان الوقت غير متسع لهم ، او ان الموضوعات التي لم يتناولوها ، هي اطول من ان يعلقوا عليها او ينقدوها ولم استطع الى الان ان ادرك هل يمكن ان يعتبر هــذا عــذرا وجيهــا ام لا .

3» اصحاب الحملات والهجمات واكثر هــؤلاء ــ كما هي العادة ــ ممن يتولون الرد على نقد سابــق موجه الى انتاجهم فى الغالب ، وبالطبع فان الردود على هذه الوتيرة ، لابد ان تؤول ــ مع انتشار الوعـــي العلمي ــ الى الانقراض وذلك لما تمكنــه من بدائيـــة وانفعالية لا يمكن ان تبرر اطلاقــا .

وعلى اي ، فان المجلة اذا ما ازدادت عنايتها بالنقد وفسحت لهمجالا اوسع ــ والانسب انتجزا المواضيعالى ادبية عاطفية ، وادبية علميــة ، او علميــة خالصة ، وتسند مهمة النقد الى اثنيــن او ثلاثة ممن هـــم

اقرب بحكم مشربهم الثقافي الى المادة المنقودة ـ اذا ما ازدادت العناية بالنقد على هذا النحو او غيره وتضافرت الاراء على استهجان النزعات العشوائية فى النقد ، ودابت المجلة على تحبيب النظرة المنطقية الى الجميع ، بل وصلت فى ذلك الى حد ابداء ملاحظاتها الخاصة على طريقة النقد عند هؤلاء او اولائك من الناقدين «1» هذا الى جملة مبادرات اخرى منها ، ربما تكون ابلغ من هذا او ابعد اثرا ، اذا ما وقع السير على سنن بعيد المدى من هذا القبيل ، فاظن ان دور المجلة فى تحسين مستوى النقد عندنا ، سيكون دورا عظيما ، وذا نتائج تذكر فى تطور حياتنا الادبية والفكرية المعاصرة .

واذا ما استرجع المرء الى الذاكرة ايادي هذه المجلة فى ميدان الثقافة والفكر هنا ، فانه سيرى ـ ولاشك ـ انها ذات كفاءة حقيقية للقيام بدور مهم كهذا الدور .

سلا ـ المهدي البرجالي

1» كانت « مجلة المغرب » من بين المجلات التي سارت على هذه الطريقة ، طريقة توجيه ملاحظاتها الخاصة على منهج النقد عند بعض الذين كانوا يكتبون فيها من النقاد .

امسك النفس بالعفاف

ولقد اصرف الفؤاد عن الشي ء ، حياء ، وجبه في السواد

امسك النفس بالعفاف ، وامسي ذاكرا ، في غد ، حديث الأعادي

« بشار بن برد »



ترجمة وتعليق الأستاذ : محمد السرغيني

البيت الشعري بين الموسيقية والنثرية :

قبل ان ابسط القواعد المحددة والميكانيكية لفن الشعر ، أود ان اعرف بأن هذه القواعد ليست ابدا ، خلقا اختياريا من لدن علماء هذا الفن ، أو كما قيل سابقا : من لدن المشرعين (البارناسيين Parnasses (2) بل ان ذلك يرتكز على قوانين عميقة ، وعلى حاجات الصقل الضرورية ، تلك التي بنى عليها الفن واقعه وقيمته.

وسيتحمل القارىء بقليل من عدم الصبر ـ كما اتمنى ـ ما يبدو في دراسة هذه القواعد من بعض جفاف ، لا سيما وان هذا القارىء ، سيكون حذرا من غباوة بعض الاصطلاحات التي حاول بعضهم ادخالها الى عروضنا التقليدي ، تلك الاصطلاحات التي لم تهدف الى شيء كما هدفت الى هدمه .

واذ احاول تحديد ماهية الفن الشعري ، وماهية البيت الشعري ايضا ، فانني لا اجد احسن من ان استعير اثنين أو ثلاثة الفاظ لتعريفي ، كل منها قريب الى الاخر ، هذه الالفاظ ، نجدها عند(سولي بريدوم(3) Sully Prudhomme في صفحات كتابه « الوصية الشعرية » :

ان فن الشعر ، هو فن جعل الكلام يكتسب اكثر ما يمكن من الاشكال الموسيقية ، وذلك في كل القياس المنسجم مع وضوح المعنى : فالبيت اذن ، فعل موسيقي يضم الفكرة بين احضان اجنحة الوزن، ويجب ان تنعدم (النوتة) حتى لايشتبه الامر بالغناء ، حيث تزيح العبارة الانفعالية ، العبارة الحاذقة عن عرشها .

وهكذا ، فنحن نرى هنا ما يميز البيت الشعري عن الموسيقى ، ونرى ايضا بصورة قليلة ، ما يميز بينه وبين النثر ، لان النثر ايضا ، يحتويه وزن في بعض الاحيان ، وذلك بتتابع الايقاع الذي يسحر الاذن ، والذي يضيف الى اللذة الموسيقية ، لذة ادراكه ، فالكاتب الحقيقي ، كلما كانت كلماته ذات حركة وعلو ، فانها تميل جملة الى الوزن والانسياب مع اللحن . تتبسط هذه الجمل، ـ وهذا هو العنصر المهم ـ في اوزان غير متساوية ومتنوعة ، جمل تهب الاذن لذة واحدة ، هي تلك المفاجاة المتجددة بدون انقطاع

وحقيقة ، فهذه اللذة الموسيقية في مطابقتها الكاملة لبناء الفكرة معتبرة ايما اعتبار ، فهي ليست ذلك السرور الاكثر ما يمكن موسيقية ، والذي تاخذه من الكلام نفسه ، السرور الذي أعلنا عنه في تعريفنا السابق ، كخاصية للشكل الوحيد المنظم . ان فن الشعر في كل بلاد العالم ، منذ أن كان هناك شعراء ، هو الذي يمكنه وحده أن يمنح العقل والاذن ، ذلك

---

1) ترجمت هذا الفصل من كتاب : « فن البيت الشعري » ، وللاسف ، ضاع مني الكتاب ، فضاع مني اسم المؤلف .

2) جبل عرف في بلاد الاغريق القديمة ، وكان خاصابأبولون . واطلق اسما لمدرسة شعرية فرنسية باريسية كان اصحابها واضعي نظريات

3) Suuly Prudhomme Armand ولد في باريس1839 ـ 1907 . شاعر فرنسي ، من اشهر انتاجه « عزلة » . كان عضوا باراناسيا ، كما كان من اتباع المذهب الطبيعي في الشعر : Naturalisme

الفرح المزدوج: المفاجأة في الهدوء ، انه سرور تلقائي ، يحدث عن طريق تنظيم الوحدة المتنوعة ، وعن طريق الحرية المنظمة ، ولكن : كيف يحدث هذا ! ؟

اننا عندما نخضع الكلام كما تفعل الموسيقى ، لا لاوزان متنوعة بدون انقطاع فحسب ، بل حتى لاوزان متساوية ؛ فعنصر الطمأنينة ، في الموسيقى توجده نبضات الوزن : التي يستسلم اليها العقل والسمع ، ويلجآن بلذة اليها ، ليتمتعا اكثر بالمفاجأة الرتيبة للنغم .

وفي الشعر ، تأتي الطمأنينة من عدد مقاطع Syllabes البيت الشعري المرتبة ، ومن الرجوع المنظم الى القافية . بينما يحمل تنوع القوافي في اواخر البيت الشعري ، ومرونة تنغيم المقاطع المحركة Accentuées او الساكنة Atones في داخله ايضا ، الى القاريء بالاضافة الى هذه الطمأنينة اللذيذة.

وهل تلك الرغبة في الطمأنينة المتولدة عن وزن البيت ، والتي تضاف الى رغبة المفاجأة المتولدة عن النثر ، حاجة صبيانية مصطنعة ؟ اذ ان بعض الناثرين المتعجرفين الذين يتأثرون قليلا بالشعر ، أرادوا أن يجعلونا نومن بهذا . فقد تناولوا بعزيمة صبيانية ، ذلك الانتظار المتولد من الوزن المتساوي ، ومن صدى القافية .... ولكن القافية على عكس ذلك

ولقد تركت ذلك العكس يتدارك عندما اخذت ادعو الى مذهب يعتبر اهم مذهب عقلي . انه ذلك الذي يجعلنا نبحث في عالم النقل عن المعادلة الموجودة في عالم الخيال ، فالانسجام الذي يوجد ايضا في عالم الفن والفكر ، يدفعنا الى تحديد وتنظيم وتنغيم انتاجنا او دراستنا لاجل التلذذ بمعرفته أكثر ، مع صرف مجهود قليل . اننا سنرى قريبا ان الوزن الشعري سبب من الاسباب التي نصل بسببها وباقل مجهود الى اعلى ذروة في السمو الانساني . اذ الانسان لم يخترع شيئا يمكنه ان يتباهى به أكثر من هذا .

فمن اين يأتي هذا الايقاع الشعري ؟ وما هي تلك الذبذبات الرتيبة التي يتكون منها البيت الشعري الفرنسي ؟ انها بكل بساطة ، ليست غير اوزان النثر الغير المعدودة ، ولكنها اختيرت ورتبت ، وابعد البعض منها ، لانها تسحر الاذن بشكل خاص اكثر من الاخرى، وسواء كان هذا السحر في نفسها ، او في تقسيمها ، او في انسجامها فيما بينها .

فاذا كنا نرغب في معرفة نظرية ميلاد البيت الشعري الفرنسي من النثر(1) ، فانني كنت قد قلت لكم سابقا : بان الناثر في انفعاله وسموه بفكرته ، يهدف الى جعل المدد الزمنية اكثر تعبيرا عن الايقاع ، واضيف الآن . بانه احيانا ما يقارب لاشعوريا بين كل العناصر التي يتكون منها الايقاع الشعري .

وسوف تحكمون على هذا بمثالين ، أخذتهما من اثنين من كبار ناثرينا : الاول من عند ميشولي (2) Michelet والثاني من عند (جان جاك روسو) J.-J. Rousseau (3)

هاكم فقرة (ميشولي) التي يجعل فيها روح محب رحل عن الحياة ، تخاطب زوجته ، الارملة ، وذلك في كتابه : « الحب » .

شيء عجيب ان يعبر بقبلات صوتية عن حنان حزين لا متناه ، انه جعل هذا الظل المحب يتكلم بدون ارادته ، وسواء كان كلامه بأبيات بيضاء غيرمقفاة ، او بأوزان ترن كأبيات شعرية ، اذا نطقنا بها على شكل

---

1) الواقع ان ما ذكره من تولد البيت الشعري كايقاع من وزن نثري ، نجد له صدى في العربية ، في القرآن وفي الحديث ، قال تعالى : وجفان كالجوابي ، وقدور راسيات . وهي آية توافق وزن الرمل المجزوء . وقال النبي (ص): «هل انت الا اصبع دميت، وفي سبيل الله مالقيت.» وهذا حديث يوافق وزن الرجز . ولعل هذا قريب ايضا مما ذكره بروكلمان في نشأة الشعر العربي، من انه كان نثرا يغنى حذاء على وقع اخفاف الابل ، ومن ثم اكتشف الرجز فكان وزنا شعبيا ، وكان منطلقا لاكتشاف غيره من الاوزان . ونجد السيوطي يعقد فصلا في كتابه : « الاتقان ، في علوم القرآن » ، جمع فيه كل الآيات التي وردت على ايقاع شعري مألوف .

2) مؤرخ واديب فرنسي ، ولد في باريس سنة 1798 ومات سنة 1874 ، وعرف بكتابيه : تاريخ فرنسا . وتاريخ الثورة الفرنسية . ولقد توصل الى تحقيق بعث كامل للماضي ، في أعماله الادبية .

3) كاتب فرنسي ولد في جنيف 1712 ـ ومات سنة : 1778 ، وعرف بكتبه : الاعترافات ، العقد الاجتماعي ، واميل ، وهذا كتاب في التربية ، وله تأثير كبير على الثورة الفرنسية

نثري ، يعني ان نضغط على حروف E الصامتـــة Muets التي ساشير لها بالرســم الايطاليكــي (1)

« سهــرت كثيــرا ، وبكيت يــا عزيزتي ! ... (بيت من عشرة مقاطع) . اصفرت النجوم . (ستة مقاطع) . وبعد وقت ياتي الصبح . (ثمانية مقاطع) . استريحي اخيرا ، فان نصف نفسك . (عشرة مقاطع) . الذي يؤرقك ، والذي تبحثين عنه عبثا . (اثنا عشر مقطعا) . في غرفك الخالية ، وفي مخادعك المترملــة . (اثنــا عشــر مقطعا) . يكلمــك من خلال الاحــلام . (ثمانية مقاطع) . (2) »

وهاكم ايضا ما هو اكثر دلالة : فقرة كاملة مؤلفة من ستة ابيات صحيحة ، كل منها ذو ثمانية مقاطع :

« آه ! كم كان عندي ما اقوله لك ! ـ فما قلتــه لك في حياتي كان قليلا ـ فعند الكلمة الاولى اخذني الله اليه ـ انما سنحت لــي الفرصة فقط لاقول : ـ « أحب » ولكي افرغ لك قلبــي ، ـ فانا محتــاج الى الابــديــة . » (3)

واجزيء الآن ، الفقرة التالية المتكونة من اربعة ابيات ، من عشرة مقاطع ، فــسبعة ، فاثنى عشر ، الى اربعــة ابيــات :

« نغم لذيذ طفح بيننا

طهــر الارض

وبقلب مزدوج ، جعل العازف الســماوي

فينا قيثــارة الهيــة . » (4)

لاحظــوا تقارب البيتين الاخيرين المتكونين مــن اثنى عشر مقطعا ، انهما يكونان معا وزنا سعيــدا .

فلمــاذا ينقــص اذن ، هــذه السطور الموزونــة لميشولي ، لكــي تكون بيتــا شعريــا ؟ انه لاشيء غير القافية التي يبدو الايقاع الشعري بسببها قويا ومؤكدا ، وذلك اذا صرفنا مجهودا فكريا قليلا ، في البحث عنه .

اما القافية ، فهي تلك التي نجدها مرسومة في نثر « روســو » في جملة ذات ايقاع عذب ، اخذتها مــن كتابه : « هيلويز الجديدة » La nouvelle Héloise ولكي نتذوق هذه الجملــة تذوقــا حسنــا : يجب ان نسجل الجملة التي سبقتها ، والتي توضح معناها :

« اعترف ان نيرانكم تدعم ظاهرة التملك والزمن والفراغ وجميع انواع الشقاء ، انهــا تتغلب على كــل الصعاب ، لكن القوة الكبيرة ، هي التي لاتجــد قــوة مثلها تعيش منها . ان العالم لم ير ابــدا ايــة عاطفــة تدعم مثل هذه الظاهرة : فباي حــق تتمنون تدعيــم عاطفتكــم » ؟

وانصتــوا الآن .

« لقد اضاف الزمن الى السام من هذا التملــك الكبير ، تقدم العمر ، وعفاء الجمال : وكانه فعل خيرا ، اذ فرق بينكما . انكما ستكونان دائما لبعضكما البعض في زهرة العمــر ، وستريان بدون انقطاع نفسيكما كما

---

1) Italique حــروف مائلــة الــى اليميــن: M...L.e.t تستعمل في المطبعة للتفريق بين خط وآخر اذا دعت الضرورة الى ذلك . وهي نسبــة الى الايطــالــي : Alde Manuce الــذي اخترعهــا .

2) وهذه هي الفقرة بالفرنسية .

C'est trop éveiller, c'est trop pleurer, chérie !... (10)
Les étoiles pâlissent (6)
Dans un moment c'est le matin (8)
Repose enfin, la moitié de toi-même (10)
Dont l'absence te trouble et que tu cherches en vain (12)
Et dans tes chambres vides et dans ta couche veuve (12)
Elle te parlera dans les songes (8)

3) وهذه هــي الفقــرة بالفرنــسية :

Oh ! que j'avais donc à te dire ! - Et vivant, je t'ai dissi peu... - Au premier mot, Dieu m'a repris - A peine ai-je eu le temps de dire : - « J'aime » pour te versermon cœur, - J'ai besoin de l'éternité ».

مع ملاحظة انه كتب حرف : E بالرسم الايطاليكي في كل مــن الكلمــات : Vide, Cherche, Absence في الفقــرة الاولى . وذلك لامالــة هــذاالحــرف ، حتى يتم الايقاع الشعــري

4) وهذه هي الفقرة بالفرنسيــة :

Un doux concert commençait entre nous
Qui sanctifiait la terre.
En nous, d'un double cœur, l'harmoniste céleste
Venait de faire un divin instrument.

عشتما عند افتراقكما ؛ وسيديم قلباكما المتحدان مدى الحياة الى القبر ؛ حبكما وشبابكما فى حلم جميل » (1)

وانظروا الى ان ترجيعي الرنين فى كلمتي: Séparation, Possession يقيمان فى مكانين ، حيث يستدعي المعنى والوقف من القاريء ان يتنفس . وانظروا بعد ذلك الى الصوتين المتشابهين: Quittant, An : Homophonies ، وكيف انهما يقيمان بنظام فى اخر ركني الجملة ، متساويين بعذوبة، وبعد ذلك ، تستطيعون الحكم على « روسو » اذا ـ ذلك الذي تعرفون انه لا يقيم جملة على الورق ، حتى يرجعها عشرين مرة على رقاهة اذنه ـ لم يرد باربعة اشكال ـ يرجع الفضل فى وجودها لتنوع القافية ـ ان يجعلنا نشعر باقل مجهود ، بهندسة الرنين الذي يرن فى فترات متساوية ، وكيف يندفع ، وكيف يقف ، ليثير شوقنا تتابع اللحن الجميل . (2)

وهكذا اكتشف الناثرون عن طريق الالهام ، تلك العناصر التي يتكون منها شكل الشعر عند الشعراء. واحيانا نجد عند الناثرين ان استعمال هذه الاوزان الشعرية ، وتلك الترجيعات الصوتية ، وترجيعات الوزن البعيد عن ان يكون بيتا شعريا ، ولكنه مموسق بطريقة اختيارية ، لايكون مقبولا الا اذا كان خفيفا وقليلا .

ولكننا اذا طبقنا هذه الحالة على مؤلف كامل ، تكون ابحاثنا غير محتملة اصلا ، ويكون « النثر الشعري على هذا نوعا فاسدا ، ويكون كتاب : « الانكيون » (المارمونتيل) (3) Marmoutel ، لا يقرا ، وتكون كتابة تيليماك Telemaque (4) عبثا . وفي مقابل ذلك سنعجب كثيرا : « بمذكرات ما وراء القبر » لشاتوبريان ، « Chateaubriand » (5) ، التي لم يكن اسلوبها غنائيا الا لانه مقطع ، وسنتذوق اكثر من فصل فى كتاب : الشهداء . ولن نقرا كتاب: «الناتشيزيون» (6) حيث الغنائية النثرية مستمرة . لكن ، ماذا تقول لو ارغمنا على قراءة كتاب: Ipsiboë « لفيكونت دارلان كور (7) » Vicomte d'Arlincourt او كتاب : « تريستان السائح » (المارشانجي) (8) Marchangy لنصدق « فيكتور هيجو » (9) فى ما سيقوله ؛ كما الفنا ان نصدقه فى اشياء اخرى:

---

1) وهذه هي الفقرة بالفرنسية :

Le temps eût joint, au dégoût d'une longue possession, le progrès de l'âge et le déclin de la beauté : Il semble se fixer en votre faveur par votre séparation : vous serez toujours, l'un pour l'autre à la fleur des ans ; Vous vous verrez sans cesse tels que vous vous vites en vous quittant : et vos cœurs, unis jusqu'au tombeau, prolongeront dans une illusion charmante votre jeunesse avec vos amours.

2) ويجب ان نلاحظ فى هذه الفقرة ، البيت المتكون من اثني عشر مقطعا ، والذي يقطع بلذة على الشكل الرومانسي . مقطعان + ستة مقاطع + اربعة مقاطع : Prolongerons 1 dans une illusion 1 charmante
4 6 2

3) Incas اسم أطلق على ملوك كيشوا فى « البيرو » وقت اكتشاف اميريكا . اما مؤلفه مارمونتيل ، فهو اديب فرنسي ولد فى بورت سنة 1723 ومات 1799 .

4) تيليماك اسم ابن يوليسيس من زوجته فينيلوب، وكان طفلا حين ذهب ابوه الى حروب طروادة ، وبعد ذلك ذهب باحثا عنه ، بقيادة « منيرفا » ، حسب اوصاف (مانتور) . ولقد اوحت مغامرات فيليماك سنة 1699 الى الكاتب الفرنسي : « فينيلون Fénelor 1651 ـ 1715 موضوع قصة ملحمية نثرية ، كتبها من اجل تربية دوق « بوركون » .

5) كاتب فرنسي : 1768 ـ 1848 . مؤلف كتاب: « عبقرية المسيحية » ، وكتاب (الشهداء) ، وكتاب: (آتالا) وكتاب : طريق باريس الى القدس ، وكتاب:مذكرات ما وراء القبر .

6) Natchez ، قبيلة هندية تسكن على شواطيء نهر « الميسيبي »

7) اسمه : «شارل فيكتور بريفو » كاتب فرنسي،ولد بالقرب من فرساي 1789 ومات فى باريس 1856، أصدر ديوانين شعريين هما : « Caroléité » و« الوحيد » . واخذ بعد ثورة جوي ، يكتب قصصا تاريخية تهاجم نظام الثورة الجديد .

8) لويس دومارشانجي ، قاضي فرنسي (1782 ـ1826) وبعد ذلك عين مدعيا عاما . ترك كتابات مختلفة ، اهمها مجلد ضخم تحت عنوان : « العصا الشعرية »

9) كاتب وشاعر فرنسي رومانسي (1802 ـ 1885)من دواوينه أوراق الخريف ـ والشرقيات ـ واسطورة القرون . ومن قصصه الطويلة : نوتردام باريس ـ والبؤساء ـ ومن مسرحياته : هرناني ـ والملك يمرح .

خذ حذرك من «مارشانجي» ! فالنثر الشعـري
هو الحجر الذي يئن تحته فرس مسلول

اذ كيفما كان البيت الشعري ، فالنثر له الحـق
في وزن تام ، وفي ايقاع الهي ؛
بشرط. عدم تقليد الايقاع العروضي
وذهـاب الاوزان المهلهلـــة ،
اذ ذاك يختفي الوزن في النثـر

انه عبثا ما يحاوله النثر من الاندفاع المميت نحو
العلـــو

أما الشعر ، فيطير بشكل عادي الى السـماء
وما ادري بأي ضعف وبأي خلود
يغني . ويحلق قاهرا الاجنحة
انه يبدو وحشيا في نصاعته للعيـون
بكل اشعته السحرية السماوية :
البكـور محمول في اشرعتـه
وهو الذي يجعله يرقص الى مولد النجوم
ان النثـر قـدم عاريـة ابـدا

نظنه (آرييل) Ariel (1) وليس هو غيـر
« فيسترـي » Vestris

ماذا يكون قولكم بعـد مرورنا بفصـل : الفـن
الشعر ، ذلك الذي نقلناه من كتــاب : « رياح الفكـر
الاربعة » ، لفيكتور هيجو ؟

ان كتابة (هيجو) عن الفن الشعري ، تقـل عمـا
كتبه « بوالـو » Boileau (2) . واعتقد انه لايمكن

جعل القوافي السابقـة متداخلـة Intercalé
من غير احداث ضرر بالابيات الشعرية الرائعة المملوءة
بالحكمة ، اكثر من الغنائية التي اشتهر بها هيجـو .

نعم، ان النثر قبل كل شيء، خلق لان يخطو لا لان يعطي
والاشكال الغنائية لايجب ابدا ان تبدو فيه مـع شيء
من التصنيع ، بل يجب ان تختفي فيه كما قال هيجو .
وخـذوا في النثر ، تلك الاوزان الغنائيـة العفويـة ،
وصوغوها ابياتا منظمة مجموعة ، وخذوا هذه اللقاآت
الصدفية للكلمات التي ترن على وتيرة واحدة، من اجل تكوين
قافية صريحة ، واضيفوا هـذه لتلك ، فـتحصلون
على اداة تعبيرية اكثر جمالا ومرونـة وكمـالا ، اداة
لا توجد في متناول يد شعراء ايـة لغة مهما كانت (3) .
هذه الاداة ، يمكن أن يستعملها الشعراء للسمو بهـا
اكثر مما يريدون ، وللنزول بها اقل مما يحبون أيضا.
وهي ليست حدثا تموجيا أو زمانيا فقط ، ولكنهـا
حدث الشعر والقصة العاديين كذلك . انها تزيد فـي
سعادة ضحك الملهاة ، وتجعل رعب المأساة أو شفقتها
اكثر هولا . انها نهائيا ، اكثر قبولا للنقل ، الى درجـة
أن تصير اصطلاحا محددا ، حيث تلتقي تجارب الحياة
مع المعنى الجميل . اذ حيث لايوجد مجازا او اثـارة ،
يوجد الجمال بفضل هذه الاداة ، لانها تتداخل في اقل
شيء ، صورة ووهجا منسجمتين منظمتين .

فاس : محمد السرغيني

1) Ariel بطـل مسرحية العاصفة لشكسبير . Vestris راقـص في اوبـرا باريس . ولـد في فلورانسا 1729 – 1808 ، وكان ابنه أوغيست ايضا راقصا في نفس الاوبـرا

2) يريد الشاعر : ان النثر لا يستقر على حال ، فنحن نظن انه هذا ، في حين انه ذاك .

3) هذا نوع من الاعتداد باللغة عند الكاتب ، فالايقاع الشعري يتم في مدد زمانية متحددة بين دبدبـة واخرى ، في الشعر العربي اكثر منه في الشعر الغربي. والنغم الايقاعي في الشعر العربي مختلف خصب ، في حين انه في الشعر الغربي واحد ورتيب ، سواء كـان البيت طويلا (اسكندرانيا) ام غير طويـل .



باسم جامعة محمد الخامس ، واتحاد كتاب المغرب العربي ، احيي حضوركم المحترم ، واشكر جميع الذين ساهموا في تنظيم اسبوع شكسبير .

اننا ، اذ نقيم الذكرى الاربعمائة لميلاد شكسبير، نحتفل باحدى كبريات العبقرية الانسانية ، شأن ما قمنا به ، منذ سنة خلت بالنسبة لابن خلدون والادريسي ، (1) وقبل سنتين ، بالنسبة لـ (بليز باسكال) و (جان جاك روسو) .

وساكتفي بالحديث عن الموضوعين التاليين :

- أولا : المغرب في آثار شكسبير
- ثانيا : الشمولية في آثار شكسبير

* * *

منذ عدة قرون خلت ، قبل عصر شكسبير ، حاولت بريطانيا تأسيس علاقات تجارية ودبلوماسية مع المغرب ، وذلك بواسطة تجارها ومغامريها والمكلفين بالمهمات .

فبفضل ما سجله الانجليزيون ، من رحالة وملاحين ومحاربين وتجار ، تكونت نظرة مستملحة عن المغرب ، اثارت الفضول والاستشراف الى بلد الشمس والسكر . هكذا لم يكن المغرب مجهولا من الاوساط الرسمية والتجارية والثقافية ، بانجلترا .

فمنذ سنة 1577 م ، اقامت الملكة (اليزابيت) علاقات ديبلوماسية مع المغرب حين عينت (ادموند هوكان (Edmond Hogan) سفيرا لدى السلطان عبد الملك . فحسب حولية قديمة وصلت أول بعثة دبلوماسية انجليزية الى المغرب بتاريخ 1211 ، وقد وفدت باسم الملك جون (John) تلتمس عون الامبراطور المغربي محمد الناصر . لقد كانت انجلترا آنذاك تبحث عن وسائل دبلوماسية وحربية للمحافظة على ممتلكاتها بـ « آكتين » (مقاطعة بالجنوب الغربي لفرنسا) التي كانت مهددة من قبل جيوش اسبانيا . (2) لـذا لا يستغرب أن يهتم شكسبير بحاليات بلاد المغرب يومذاك طبقا لما اكده بنفسه من أن الفن الدرامي يجب أن يعكس اهتمامات عصره . فاصبح عاديا أن ترد كثيرا كلمات « بربري Barbare و « مغربي Maure ضمن مؤلفات شكسبير ، وأن يحتوي مسرحه ثلاث شخصيات مستلهمة من بلادنا ، اثنتان تسربلهما النبالة : (عطيل) في المسرحية التي تحمل اسمه ، و (مغربي البندقية) في مسرحية « تاجر البندقية » وثالثهما هو (هارون) اليهودي المغربي ، في مسرحية (تيتوس اندرو نيكوس Titus Andronicus

كان المغرب ، اذن ، نابه الذكر ، باعتباره بلد الشمس ، والسكر ، والذهب ، وكذا بلد الشجاعة ، والحب الرقيق ، وغيرة العشاق . فلا غرابة أن يكون

1) قد اصدرت كلية الآداب ، في عام 1963 ، كتابا يضم الدراسات التي القيت بمناسبة مهرجان ابن خلدون (نشرته دار الكتاب ، الدار البيضاء) .

2) راجع Neville Barbour, Morocco انظر كذلك دراسة الاستاذ محمد بن تاويت عن علاقات الملكة اليزابيت بالسعديين ، بمجلة تطوان ، 8 ، عام 1963 .

(عطيل) مغربيـا ، ملأ عروقه الشمس ، ملتهب الحب، غيورا ، اعمى في غيرته ، شجاعا الى اقصى حـدود الشجاعـة .

* * *

عطيـل (Othello) قائد مغربي في خدمة جمهورية البندقية ، استطـاع ، بفضل استقامتـه وشجاعته ، أن يتمكن حبه في فـؤاد (دسد مـون Desdémone) النبيلة ، ابنة عضو من اعضاء مجلس الشيوخ ، فانتهى ذلك الحب بالزواج .

كـان (ياجـو Iago) ملازما ثانويا في قيادة (عطيـل) . وحينمـا عيـن (كاسيو Cassio) ملازما لـه ، جاشت نفس (ياجو) بثورة الانتقـام والدسيسة : وأوقع بـ (كاسيو) في فخ اجرامي قوض به العش الذي بناه (دسد مون) و (عطيـل) بحبهمـا الكبير . لقد دفع الحسـد (ياجـو) الى الحقـد على سعادة هذين الزوجين الشابين الذين جعـلا مـن زواجهما التقاء عنصرين ، وثقافتين ، وقارتين ، وذلك حين نفث الشك في نفس المغربي الطيبة ، حتى جعلـه يعتقد ان (دسد مون) تخونه مع ملازمه (كاسيو) .

وفي أزمة من الغم واليأس وبحران من الغضب، امتزج فيه الحب والكراهية ، اصيب (عطيل) بنوبـة جنونية اعمته ، فكسر ما لا سبيل الى جبره : لقد قتل زوجته ! اعدم حبه ! فليس في الكـون قوة تستطيع ان توقف سعار غيرة المحبين اذا خامرهم الشك . وعندما اكتشف (عطيل) ، والاسى يحطم كيانه ، ان زوجتـه ظلت عفيفة حتى الرمق الاخير ، وتراءى لـه ظلمه لها ولحبهما ، نمت حيرته ، وجن جنونه اكثر ، فارتمـى في عماء نفساني ، مقتصا لنفسه من نفسه . حقـا ، لقد قتل زوجته ، حبا فيها وها هو ينتحر ، انتقـاما لهذا الحب . فكما ان (جوليت) لم تطق موت (روميو)، كذلك لم يستطع (عطيل) تحمل الحيـاة . بعـد (دسد مون) :

« أرغب اليكم ، حينما تقصون قصتـي ، فـي رسائلكم ، أن تذكروني بحقيقتي ، لا بمزيد ولا بنقصان والا تدخلوا فيها شيئا من المكـر السيء .

فاذا فعلتم ذلك ، وصفتم حال رجل لم يعشق بتعقل ، ولكنه كان خالص السريرة ، متجاوز الحد في حبه ، رجل دافع الغيرة عن نفسه جهده .

فلما تمكنت منه تمادى فيها الى النهاية » .

* * *

الممثل المسرحي يشخص ردود فعل كائنات تحيـا في وسط انساني حيث النمـو النفساني يخضـع لا لحاجات البيئة ، ولعلاقات تترابط وتتفك بين اناسي هذه البيئة . لكل منا تصيبه في الرصيد المشترك من الاستعدادات الاساسية . اننا جميعا مكونون مـن تداخل وتضارب الظاهرات المتناقضة . لذلك نحيـا صراعا نوعيا مستديما بيـن عدة انـماط ممكنة مـن الاجـوبـة .

ان وجداننا يتطور حسب تقلبـات متعاقبـة : فـ (عطيل) ينزل الى المعارك ، مواجها الموت دون أي انفعال . انه بطل ، سيد نفسه قوي ، مريد ، لكنـه رغم ذلك يخضع ، خضوعا اعمى ، للعاطفة وللغيرة .

و (انطونيـو) الذي يتسنم مصير اضخـم امبراطورية في العالم ، هو أيضا يجثو امام (كيلوباطرا)، متخليا عن حريته ، وارادته ، ومسؤولياته ، بل يخاطر بحياته . ليس هناك عامل مؤسس يعطى مرة واحدة ، وبصفة نهائية : ففي كل فترة من الحيـاة ، يمكن ان تتغير نسب العناصر المكونة لمزاجنـا . يستطيـع الشخص الواحد ان يجد ، لدى البيئة الواحدة ، جوابا متقلبا ، سواء من الوجهة الفكرية او الانفعالية ، لموقف مـا . الانسان ، في جبلته ، لايولد خيرا بصفة تامة ، كما انه لايولد شريرا بصفة تامة . كثيرا ما يتغيـر رد الفعل ، من كائن الى آخر ، ولكنه لايخرج ، ابدا ، عـن اطار مشترك بين جميع الناس .

فمسرحية « عطيل » ، كمسرحية « هاملت »، رغم كونهما قصتي قتل وانتحار ، يتعديان الميلودراما ليعطياننا نماذج من التحليلات النفسـانية التـي بلغت حدا بعيدا في براعة الدقة والعمـق .

فليس هناك ، على المستوى الفردي حالات قارة تجمد الشخص ، وتتحدد عندها امكانياته ، لهذا نجد، في انفعالات (عطيل) ، انعكاسات لنا . فمن خلال هذه المسرحية ، تجاوز شكسبير ما هو فردي الى ما هـو شمولي . **ذلك لان ماساة هذا البطل هي ، قبل كـل** شيء ، ماساة الغيرة ، الغيرة الخالدة التي لاتبلى ابـد الدهـــر .

ستبقى مسرحية « عطيـل » تجسيدا حيـا وفريدا **لعبقرية شكسبير الشمولية** . وستجسد آلامنا الخالدة ، طالما ستجيش بعاطفة الحب ، نعني مادمنـا ننتمي الى الجنس البشـري .

* * *

تدور مسرحية « تاجر البندقية » ، هي كذلك، حول فكرة الشمول : اذ تنبيء عن موقف كريم وتقدمي لشكسبير ، الا وهو شجب العنصرية .

يعلن (الامير المغربي) ، في رقة ودماثة ، الى (بورسيا) الجميلة ، وهو يطلب يدها :

« لاتنفري من اديمي !

انها سترة سمراء نسجتها شمس ساطعة قد تغذيت من اشعتها ، في مسقط راسي .

ان دمي لقان مثل سكان الشمال

وان عرآه ليبعث الفزع في قلوب الشجعان

وكيما اكسب حبك

ساجرا على ذوي الباس

واقتحم عرين الليث وهو يزار في اوج غنيمته » .

(عطيل) كذلك أسمر اللون ، انه من السلالة « البيضاء » احمر بياض بشرته من كثرة ما لامستها الشمس ، اما قبل عصر شكسبير ، فالانجليز كانوا يصفون المغاربة بـ « السود » وبـ « الزنوج » ، في المعنى القدحي للكلمتين .

* * *

ان (شيلوخ Shylock) ، وهو الشخصية الرئيسية في مسرحية « تاجر البندقية » ، ليس مرابيا بطبيعته . فاذا كان الربا يستوجب العقوبة ، فهذا لا يمنعنا من ان نجد لموقف (شيلوخ) تبريرا نفسانيا . ان الثروة ، بالنسبة اليه ، قوة تمكنه من مواجهة كل من يحقد على الاقليات الدينية او العرقية : كما تمكنه في بعض المناسبات ، من تأكيد شخصيته ، مع شيء من الافتخار بالنسبة لاولئك الذين يبصقون في طريقه، أو يركلونه بالاقدام . لنستمع الى (شيلوخ) يصف حزازته . فمن خلال هذا الوصف الذاتي ، يعني (شيلوخ) ذاته ، ويقيمها من جديد ، بالنسبة له وبالنسبة لخصمه (انطونيو

« لقد مس بكرامتي ، وحرمني نصف مليون جنيه .

انه يضحك من خساراتي مستهزئا بأرباحي ، محتقرا لجنسي

معوقا مضارباتي ، باعثا البرودة في أصدقائي، مثيرا حماس اعدائي .

ومن اجل ماذا ؟

لانني يهودي !
ولكن أليس لليهودي عيون ؟
أليس له يدان ؟

أليس له أعضاء ، وحواس ، ومشاعر ، وانفعالات ، وعواطف ؟

الا يتغذى بنفس الغذاء ؟
الا تجرحه نفس الاسلحة ؟

الا يكون عرضة لنفس الامراض ويداوى بنفس الوسائل ؟

الا يحس ببرد الشتاء وبحرارة الصيف شأن اي مسيحي ؟

الا ننزف، اذا جرحتمونا ؟
الا نضحك اذا دغدغتمونا ؟
وان سممتمونا ، ألا نموت ؟
وان واجهتمونا بالشر ، ألسنا ننتقم ؟

فاذا كنا ، مثلكم ، في باقي الامور ، فنحن مثلكم في هذا ايضا .

لو ان يهوديا اقترف شرا ، في حق رجل مسيحي، ترى ما يكون جزاؤه؟ الرحمة؟ لا، بل الانتقام!!

ولو ان مسيحيا اقترف شرا ، في حق يهودي ، ألزم أن يكون تسامحه على غرار المسيحي ؟

يجب الانتقام !
سانفذ ما علمتموني من كره :
وساكون تعسا اذا لم افقكم فيما لقنتموني من تعاليم » .

ثورة (شيلوخ) الخانقة ثورة رجل يعتبر «حقيرا» ثورة يهودي ينتسب الى الاقلية ، السلالية والدينية. لاول مرة يعي (شيلوخ) وضعه حيث يشعر انه يحاور احد نبلاء البندقية ، **محاورة الند للند** .

لم يعد المال مجرد وسيلة مادية ، او شيئا من الاشياء العادية ، بل صار قيمة انطولوجية واخلاقية ، في آن واحد ، وبالاحرى تواصلا نفسانيا . ان تملك المال يحرضه حب (شيلوخ) للثراء ، اي للجاه والقوى فانتساب (شيلوخ) الى اقلية العرق والاعتقاد يجعله ضعيفا ، اما انتسابه الى طبقة الاغنياء فيكسوه مهابة المحظوظين . اذا تكلم ، كانت لالفاظه وزنها من الفضة والذهب ؛ واذا وعد كان لوعده حسابه . فالملكية تنمي

ابعاد شخصيته المجتمعية . ففي ثراء (شيلوخ) تعويض عن الاستلاب والحرمان . بالمال تكتمل انسانيته في نظر بيئة جعلت من الملكية محور مقاييسها وفعالياتها .

لا شيء يدعو الى الاعتقاد بان حب المال أصيل في دم (شيلوخ) وعرقه ، فقد كان ممكنا الا يكون جشعا مطلقا لولا وجوده في بيئة يتواجد فيها مع امثال (بسانيو Bassanio و (انطونيو Antonio و (بورسيا Portia . من الممكن ، كذلك ، ان نتصور (شيلوخ) في بيئة كهذه مع ميل الى جمع المال ، ولكن بحرص اقل توترا ، او بأشكال أخرى غير الربا . فوضعه وضع خاص . انه يرمي ، من وراء ثروته ، الى تحقيق وجوده وجودا مجتمعيا سويا .

* * *

في الفصل الثالث من مسرحية « تاجر البندقية » ، عندما سئل (شيلوخ) عما سيفعله بالرطل من لحم (انطونيو) ، اجاب ، بكل وضوح :

« ... اصطياد السمك .

فاذا لم يفد في اي شيء آخر ، فعلى الاقل سيشفي غليل انتقامي »

الواقع ان الانتقام الذي يتحدث عنه (شيلوخ) لايتغذى من خبث او سوء طوية أصيلة : (شيلوخ) لايشتاق الى الانتقام الا لانه يعاني مرارة الحرمان والازدراء . الانتقام يسمح له باستملاك هويته من جديد . فبفضل هذا الموقف ، يحقق ذاته بوصفه انسانا ، ويلح على ان يعترف به الآخرون كانسان ، على قدم المساواة مع كل واحد منهم . فلننصت اليه وهو يخاطب (انطونيو) عندما أتاه يستقرضه مالا :

« سيدي (انطونيو) !

ما اكثر المرات التي طاب لك فيها ، ونحن في (الريالطو) ان تسبني ، من اجل مالي ومصالحي ! . .

فكنت اتألم ، دائما ، مكتفيا بهز كتفي ، في صبر ، ذلك ان المعاناة من خاصيات قومي .

كم دعوتني بالكافر ، ودعوتني بكلب قطاع الطريق!
كم بصقت على ثيابي لانها اللباس الخاص باليهود!
كل ذلك لاني استعمل ما املك .
والان ، على مايظهر ، انك في حاجة الى مساعدتي
عجبا ، اذن !

ها انت تأتيني لتقول :
(شيلوخ) ، نود لو تقدم لنا نقودا !
نعم . انت تقول ذلك !
انت الذي قذفت ببصاقك على لحيتي .

وتداولتني اقدامك بالضرب كجرو غريب ، بعيدا عن عتبة خطوتك :

هي الدراهم التي تطلب مني :
ماذا يمكنني ان أجيبك به ؟ الا يمكن ان أقول:
« هل للكلب نقود ؟
أيستطيع الجرو أن يقرض ثلاثة آلاف درهم ؟ »

ام يجب علي ان اجثو امامك صاغرا ، واقول ، في لهجة الخادم ، مختنق الانفاس ، وفي همهمة خاشعة:

« حضرة السيد الفاضل !

لقد بصقت علي يوم الاربعاء الماضي ، وناديتني بالكلب ، ومن اجل هذا التلطف ، سأقرضك مقدارا من النقود » .

يظهر (شيلوخ) كرجل من رجال المال الذين ينمون دراهمهم عن طريق القرض ، أما (أنطونيو) فيمثل رأس مال مستثمر في المضاربات التجارية . فهما معا يمثلان شكلين مختلفين لذهنية واحدة تحركها نفس الاهتمامات . ف (شيلوخ) لم يأت ببدعة ، وانما يقوم بعمليات تجارية راسمالية لها ماضيها العريق في القدم: القانون المدني يحميها ، والجميع يحترمها .

ايجوز لرجل ينتسب الى الاقلية المضطهدة ، مثل (شيلوخ) ، ان يخاطر بثروته في مشاريع بحرية ، خصوصا وانها اقطاع تحت سلطة الاسر النبيلة ، لاتسمح لغيرها بالمزاحمة ؟ ان الاقليات ، من الناحية النفسانية ، تعيش في قلق دائم ، مهددة بالمصادرات ومزاحمة الاكثرية ، لهذا كان (شيلوخ) ملزما بأن يختار تنمية ثروته عن طريق القروض لا عن طريق العمليات التجارية التي تلزمه بأن يفترق عن ماله وينتظر وصول السلع ، ثم بيعها ... ان المضاربات تقوم بها شركات لا افراد منعزلون فمن بين اغنياء البندقية يرضى بأن يشترك مع يهودي « كافر » ، من كلاب قطاع الطريق، يهودي من الجنس « الوضيع » والدين « المزيف » ؟

هكذا كان (شيلوخ) منقادا ، مرغما على المعاملات بالربا ، عوضا عن المتاجرة على الشكل الذي يتبعه (انطونيو) ومواطنوه البندقيون « النبلاء » « الاحرار » . ومن هنا فان مسرحية « تاجر

البندقية » تمتاز بمعاداة العنصرية ، وتجعل من شكسبير رائدا من رواد التقدمية والشمول .

* * *

عبقرية شكسبير ، عبقرية متعددة الجوانب ، تنعكس في آثار تشمل حليات متعددة متنوعة ، وترغمنا على ان تماشي كل مراحل تطورها ، على مختلف المستويات سواء في الهزليات أو المآسي . فالهزليات تكون عالما سحريا (مثلا : « ثرثارات وندسور المرحات » و «حلم ليلة صيف » و « ليلة الملوك » . لكن مزاح تلك الهزليات يتحلى بسحر وملاحة : دون أن يتعارض مع المعنى الدرامي لمصير الانسان الذي يحياه ابطال المآسي الشكسبيرية . فالدراما والهزلة تتكاملان

قد اهتم شكسبير بان يرسم الانسان بجميع ابعاده ، الانسان ـ الكل ، في اطواره النفسانية المتغيرة . ان العظمة الشخصية ، في المسرحيات التاريخية ، كـ « هنري الرابع » و «رشارد الثالث » ، لاتتناقض ، ابدا ، مع الطابع الفنائي او مع وحدة الدراما وتأثيرها : فهذيان الملك (ليـر Lear) ، وقد تخلت عنه ابنتاه ، وعذاب روح (هاملط) المهمومة الجريحة، والقرور الجنوني المجرم عند (لادي مكبث (Lady Macbeth) والحب المعاكس لدى (روميو وجوليت) ، (ويوليوس قيصر) ولعنة السلطة التي حلت بـ (يوليوس قيصر) وجنونها ، كل ذلك ليس الا بعض ما يشكل هذا العالم الشكسبيري الحافل .

كم قوي تخونه القوى وينهار ، فيظهر لذاته في القالب الصغير : انسانا عاديا ، كبقية الناس . فلا احد يستطيع ان يحتكر العظمة ، لا (مكبث) ، ولا (يوليوس قيصر) ، ولا (انطونيو) ، ولا (كيليوباطرا) . . ، لا أحد يمتلك الحصانات والضمانة ازاء الجنون والتعاسة ، حتى ولو تعلق الامر بالدكتاتور (يوليوس قيصر) او بالامير (هاملت) . ان لطافة الحب عند (اوفيليا) و (جوليت) هي منبع قدرهما المأساوي. لكن (اوفيليا) و (جوليت) سحرتا (هاملت) و (روميو) ، دون ان تجعلاهما سعيدين ، ودون ان تكونا هنا سعيدتين .

ان السعادة تبدو دائما معاكسة للحب وللجمال، والعاطفة المتأججة ، وللسمو .

الوحدة والجنون يضربان عظماء الناس ، كما يضربان صغارهم . فما من قوة تحول دون الهم والقلق اذ يجتاحان القصور ، ويزعزعان العروش ، فالملك (ليـر) ، بالرغم مما له من سلطة مطلقة على رقاب جماهير كثيرة من البشر ، قد نال حظه من الزلل المنطقي ، والعزلة القاتلة ، والجنون . جميع الناس، بقطع النظر عن حيثياتهم ، يطبخون من نفس الطين: اننا لانكسب شيئا بكامل الاطمئنان ، لاننا جميعا لعب بين يدي قدر لايغلب .

فلنتأمل حال الملك (ليـر) : الملك الاحمق ، وهو يحاور ابنته كورديليا الاميرة السابقة ، فريسة الضياع :

كورديليا

« لسنا اول من عانى الامرين ، رغم نبل النوايا .
فمن اجلك ، ايها الملك التعس قد تحطمت قواي

ان في امكاني ان اتحدى كل تحديات الحظ الخداع .

الن ترى تلك البنات والاخوات ؟ » .

ليـر

« لا ! لا ! لا ! اذهبي ، ولنسرع الى السجن :
لوحدنا ، نحن الاثنين ، سنغني كطيور في اقفاص

وعندما تطلبين مني دعوة بركة ، سوف أجثو واطلب منك العفو :

هكذا سنحيا : نصلي ، ونرتل ، ونستذكر قصصا قديمة

وسنضحك للفراشات المتالقة
ونصغي الى الابالسة الاشقياء
ونتكلم عن ضوضاء القصر

ونتحدث عمن اخفق او نجح ، عمن يواتيهم الحظ وعمن يتنكر لهم
ونفسر أسرار الاشياء

كما لو ان الالاه كلفنا باستراق السمع ، ونحن بين جدران السجن ، غير آبهين بعصابات الكبراء واحزابهم ، وهم يتغيرون مع القمر .

* * *

ان شكسبير ، بفضل ما له من حس واقعي مرهف ، يتجنب ان يتجلى عالمه الدرامي عالم نماذج بشرية مصطنعة . وهكذا فالكاريكاتورية غير مرادفة للشمولية . ليس هناك ، مثلا ، « الانوثة الخالدة » المراة النموذج ، ولكن هناك « نساء » يختلفن بطبائعهن ، كما هو الامر في الواقع . لذلك نجد السمو عند (كورديليا) بنت الملك (لير) ، والمراة الطموحة

الخبثة (لادي ماكبث) ؛ كما نجد المرأة التي يتناقض فيها العقل والرزانة مع الاستسلام الى العواطف (كيليوباطرا) . تلك امزجة وطبائع نسجت فى الحياة الواقعية ، كما هي . اما (شيلوخ) فيجسد النداء الى التسامح . من خلال هذه الشخصيات وامثالها في الهزليات والمآسي ، نرى أن شكسبير قد اتخذ ، منذ اربعة قرون ، موقف تأييد للتقدم والتفاهم بين الناس. انها نزعة قد يسميها بعضهم اليوم « ثورية » ، هكذا يرتقي بنا شكسبير الى مستوى نعي فيه مأساة الاقليات وضحايا التعصب الديني أو العنصري ، مأساة جماعات جردت عن العنصر الاصيل النوعي فى الكرامة الانسانية : الاعتراف لها بالمساواة ، الفيزيولوجية والمعنوية مع كل الناس :

« اننا من نفس الثوب الذي تصنع منه احلامنا ، وان حياتنا محاطة بالنوم » كما يقول الساحر (بروسبيرو Prospero فى مسرحية (العاصفة)؟

نفس الصدى لتلك العزلة المضنية ، لذلك « الهجر » الذي يتحدث عنه الوجوديون اليوم ، نجده يتردد على لسان الغاصب القاتل (مكبث) فى المأساة التى تحمل اسمه : « غدا ، وغدا ، وغدا »

كل غدير يزحف بهذه الخطى الحقيرة ، يوما اثر يوم ، حتى المقطع الاخير من الزمن المكتوب

واذا كل امسينا قد انارت ، للحمقى المساكين، الطريق الى الموت والتراب .

الا انطفئي ايتها الشمعة الوجيزة !
ما الحياة الا ظل حائر

ممثل مسكين يتبختر ويستشيط ساعة ، على المسرح

ثم لايسمعه احد
انها حكاية يحكيها معتوه ، ملؤها الصخب والعنف
ولا تعني اي شيء »

(مكبث) يجسد الضمير وقد استحوذ عليه عدم الاطمئنان ، وحاصرته آلام الطمع والغش والاغراء، انه حصار وعاه (مكبث) ، ولكن لامنقذ ولا منقذ ، وانما المجرم ، وجها لوجه ، مع ماضيه المعذب ، فى عزلة ثقيلة كثيفة . فلا مفر من الحساب ...

و (جاك Jacques فى مسرحية « كما يطيب لك » ؛ حزين هو ايضا ، بل انعزالي ، متشائم بعض الشيء : فالعالم أجمع ، بالنسبة اليه ، ليس سوى مسرح ، وكل من فيه ، من رجال ونساء ، ليسوا الا ممثلين ، فى غدوهم ورواحهم . فهذه المسرحية الاخيرة ، وان كانت تمتاز بخفة الروح ، تمتزج فيها متعة الحياة الهادئة بالحسرة والاسى كما هي الحياة في الواقع ، دائما مزيج .

(جاك) منغلق على نفسه ، لايؤمن كثيرا بالتواصل بين الذوات . لذلك يصرح بأن ما يكتبه ليس شبيها لما يكتبه الاخرون : ان كتابته ليست « كتابة التلميذ العاجز عن المنافسة ، ولا كتابة أمين البلاط لانها كبرياء ، ولا كتابة المحامي لانها سياسية ، ولا كتابة السيدات لانها كتابة التأنق ، ولا كتابة العاشق لانها كل هذه الصفات مجتمعة . كتابتي ، كتابة خاصة بي ، عناصرها كثيرة » .

* * *

بما ان شكسبير فيلسوف ، دون نسق ، وبما انه واقعي ، دون تخمينات واوهام ، فهو يعترف بأن الحياة زائلة . ولكننا ملزمون، كامل الالزام، بأن نتمسك بها ونحملها على عاتقنا ، انها منبع للسأم ، ولكنها ، ايضا ، مصدر للشعر .

هنا عقدة السر والغموض ، هنا ملتقى المأساة بالشعر .

شكسبير لا يحاول ان يتملق عواطف الجمهور ، او اسداء النصح الاخلاقي ، بل يجهد نفسه ليرجع الى مشاعرنا انعكاسات « الظل التائه » واضحة واعية على « المسرح الشاسع » ، اي الانسانية . لقد ابرز شكسبير ما فى الحياة وما فى الانسان من الغاز ، مما يساعدنا على أن نتقبل مصيرنا ، خلال العصور ، ويجعلنا امام كفتي الميزان ، أو بالاحرى أمام الاتهام والدفاع . فالشخصيات الرئيسية ، فى مسرحه ، تحمل عالم واقع النضال بين العقل والعاطفة ، وبين فوضى الرغبات والاطماع والميل الى الوفاء والاخلاص والحكمة . كما اكثر عمق وغنى المفاهيم التي بلورتها عبقرية شكسبير !

الآثار الشكسبيرية مصب يمتزج فيه الفن بالحقيقة ، والمأساة بالملهاة ، ولاذع السخرية بمتعة المرح . ومن هنا ستبقى احدى المصادر النادرة لمعرفة الانسان لذاته ، ووسيلة من وسائل التواصل والوئام والتفاهم بين الناس وبين الشعوب ، على اختلاف الازمنة والاقاليم .

الرباط ـ الدكتور محمد عزيز الحبابي
عميد كلية الآداب
بجامعة محمد الخامس

أضواء على التاريخ العربي الإسلامي المعاصر

للأستاذ: أنور الجندي

واجه الفكر الغربي قضية كتابة التاريخ وتقييمه على انماط مختلفة ، وفي ظل نظريات متعددة ، كان مصدرها ، العصور والدعوات والتيارات . وكانت هذه النظريات في الاغلب مرتبطة بدعوة او مذهب ، فقد كانت للفلاسفة نظرتهم الى التاريخ ، وهي نظرة تهدف الى الاقلال من قدرة وقد بلغت في المغالاة الى درجة اسقاطه نهائيا ، وعدم الاعتماد عليه ، فديكارت ابو الفلسفة الحديثة يدعو الى صرف النظر عن كل ما قاله السابقون ، بينما «ليبتز» ينظر الى التاريخ نظرة التقدير كما ان علماء الاجتماع لهم نظرتهم وكذلك علماء النفس والتربية .

وهناك النظرة الماركسية الى التاريخ القائمة على التفسير المادي للتاريخ ، حيث يرى « كارل ماركس » ان العوامل الاقتصادية هي العامل الاول والمباشر لكل حوادث التاريخ ، وان الانقلابات والاستعمار والثورات ترجع الى اسباب اقتصادية .

كما جرى الخلاف حول التاريخ ، وهل هو علم او فن؟ وقالوا ان العلم وحده هو عرض نصوص الاحداث وتحقيقها ، اما الفن فهو اضافة راي المؤرخ ، وتحليله لكل موقف من المواقف او حادث من الحوادث .

وهناك نظرية تقول ان التاريخ سلسلة من سير العظماء وان التاريخ من صنع الصفوة الصالحة من الذين يؤلفون زعامة اجتماعية مستمدة من نفوذهم الشخصي، ونظرية اخرى تقول ان العظماء نماذج كاملة للبيئة التي يعيشون فيها وان الانسان خاضع لمحيطه .

وجرى الخلاف حول علمية التاريخ او توجيهه ، فقد ايد البعض الراي القائل بانه لا بد من النظر الى التاريخ نظرة علمية صارمة ، دون النظر الى ما ينجم عن ذلك من اثر في الغض من قدر التاريخ ، ورأى البعض الاخر ان التاريخ ضروري لبناء الشباب

وجرى الخلاف حول قومية التاريخ او دوليته ، ولو ان قومية التاريخ قد وصلت في اوربا الى حد بث الاحقاد ، وان النظرة الدولية تعتبر العالم كله امة واحدة ، وبذلك تختفي العواطف القومية وتضحي البطولات الخاصة في سبيل النظرة الواسعة ، وجرى الخلاف حول كتابة التاريخ ، فحمل البعض على المؤرخين واتهموهم بالنظرة الشخصية ، وانهم يلونون التاريخ وفق مزاجهم الشخصي . ودعا البعض الى التفسير البيولوجي للتاريخ ، وقال انه وحده التفسير الاصيل ، وقال مثل ذلك اصحاب التفسير المادي وهناك من يدعو الى التفسير الديني والمناخي .

وهاجم كثيرون التاريخ جملة ، وقالوا انه اشد فتكا بالامم من الاوبئة مثل « بول فاليري » ، ويرى « فرويد » ان التاريخ سلسلة ازمات في نفوس افراد ادت الى الانقلابات الهائلة .

* * *

اما « التاريخ العربي الاسلامي » فقد واجه رأيين مختلفين : الاول ، وهو الذي حمل لواءه الدكتور طه حسين ـ معتمدا على نظرية استاذه دور كايم ـ منذ الثلاثينيات، وما زال خلفاؤه يحملون لواء دعوته ويرى اصحاب هذا الرأي ان التاريخ لا يقدس ولا تسبغ عليه

صفة الجلال ، ولا يتصل بالدين ، وليس ابطال التاريخ العربي الاسلامي الا اناسا ينطبق عليهم ما ينطبق على النـــاس .

وترى هذه المدرسة ان الاتجاه القومي في كتابة التاريخ خطأ ، وانه دعوة اقليمية ، وفيه تمجيد للماضي وخضوع له ، لانه يريد احياء الامجاد ويرى الماضي القومي لب التاريخ ، وبذلك يتأرجح اسلوبه بين النقد والتصديق .

وترى هذه المدرسة ان يتخذ التاريخ وجهة انسانية، دون اهتمام بالامة العربية او العالم الاسلامـي ، وان التاريخ وسيلة للنظرة الشاملة الى البشرية وتطورها ، وان اتجاهه الى الاهتمامات القوميـة ينقص من روح البحث العلمي ويجعله اشبه بالدعاية .

الدين الاسلامي كظاهرة من الظواهر الطبيعية او الاجتماعية ، ولذلك فان الجانب الالهي يجب ان يوضع موضع البحث الواقعي ، كما تبحث اي حقيقة اجتماعية او فكرية (1)

وعندهم ان الدراسات التاريخية لا تزال خاضعة لتأثير المؤرخين العرب القدماء ، سائرة على منهجهم في طريقة البحث والمعالجة والتفكير ، ويـرى دعاة هـذه النظرة ان المؤرخ الحديث لا يزال يسرد التاريـخ العربي سردا ، يظهر امجاده بالوان ساطعة قافزا الفترات المضطربة فيه ، وهو ما يسمى بالرومانتيكية الاسلاميـة ، او ان يعرضه عرضا متسرعا سطحيا وان الدراسات الجديدة في التاريخ اقرب الى السطحية ، وانها تستثير حماسة الشباب وتبعث في نفوسهم الغرور

وتحمل هذه المدرسة الدعوة الى نقد التاريـخ والكشف عن اخطائه ، وازالة طابع القداسة عنه . وتلك دعوة علمية اصيلة لا نرفضها ، بل نرحب بها ونعتـز ، ولكننا لا نسلمها الا لمن ينطبق عليهـم قانون الجـرح والتعديل ، فاذا ما قام كاتب او جماعـة للتصدي لهـذا العمل ، فلا بد ان تتوفر فيهم روح الايمان بمقومـات الفكر العربي الاسلامي وان لا يكون من بينهم من اسقطهم تاريخهم الفكري ، بحكم انهم من دعـاة التغريـب او الشعوبيــة

ولكننا نـرى ما ارتأيناه من ان تاريخنـا العربي الاسلامي يحمل صفحات مشرقة ، وان ما به من اخطـاء او ثغرات لا تغض من قدره ، ولا تضعف مكانتـه ، ولا تصرف العرب والمسلمين عنه ، وهو قدر اذا قدم بانصاف ان يعزز دعوة بناء الامـة العربيـة والوحدة الفكريـة والدعوة الانسانية .

* * *

اما المدرسة الثانية فهي لا تدعو الى تقديس التاريخ ، ولكنها تدعو الى اعتباره قوة ذات فاعلية في بناء الفكر العربي الاسلامي الجديد ، وخلق نهضة ثقافية وروحية تعين على وحدة الفكر في الامة العربية والعالم الاسلامي

وترى هـذه المدرسـة انـه لا تعارض بين الروح القومية والاسلوب العلمي في دراسة التاريخ ، وانه في الامكان ان يكون التاريخ حافزا للهمم دون ان يكون عبئا يضيق النظرة ، ويصرفها عن مهام الحاضر .

وعند هذه المدرسة انه اليوم في مجال التحدي ورد الفعل ـ حيث تقوم الدعوات التغريبية والشعوبية محاولة تجريد التاريخ العربـي الاسلامـي من كـل امجـاده وبطولاته ، فان الامـر يتطلـب ابراز هـذه الجوانـب والاعتزاز بها ، على ان يكون هذا الاعتـزاز بعيدا عن الاغراق ، وان هذا التاريخ في جوهره انما يمثل حركة ضخمة شملت جانبا واسعا من هذا العالم الانساني امتد من الصين الى الاندلس ، في مرحلـة طويلـة امتـدت اربعة عشر قرنا ، وكان لها اثرها في الفكر الانسانـي والحضارة البشرية ، فضلا عن مفاهيمها وقيمها ومثلهـا الجديدة القائمة على الحق والعدل ، والتي تمثل امة لها رسالة حية ما تزال متفاعلة مع الفكر الانساني ، وقد كان دور « العالـم العربـي الاسلامـي » بناءا ، وكانت حركته متطورة متحررة في سلسلة متصلة الحلقات .

---

1) قسطنطين زريق ونبيه امين فارس

وتعتبر هذه المدرسة انه من الضروري اليوم في مرحلة بناء النهضة الجديدة للعالم العربي الاسلامي موالاة التاريخ اهتماما كبيرا حيث لا سبيل لانطلاق امة دون فهم واع لتاريخها وانه لا حاضر لامة لا ماضي لها .

ويرى الدكتور عبد العزيز الدروي ان فهم الامة لذاتها ومجابهتها المعضلات القائمة والاستعداد للمستقبل الذي تنشده لنفسها ، يعتمد الى حد كبير على فهمها لتاريخها فهما صحيحا ، ولا يمكن لامة ان تجد سبيلا للانطلاق ، وعونا على النهضة الصحيحة دون فهم واع سليم لتاريخها .

* * *

ومن رأينا ان كون التاريخ عاملا في مرحلة بناء الامم على بث الروح الوطنية في الشعوب دافعا الى الثقة بالنفس على استئناف دورها في الحضارة لا يحول دون تنقية هذا التاريخ من كل ما يعترض النظرة العلمية السليمة، وان ما في التاريخ العربي الاسلامي من جوانب زاخرة بالبطولة والكرامة والسماحة قادرا اذا حررت حواشيه من كل ما يتعارض مع الروح العلمية التي بذر بذرتها الفكر العربي الاسلامي اساسا وحمل اماناتها على ان تحقق هدف بناء فكر الامة .

انما الذي يحاط دائما بالحذر ان تجري المحاولات للتشكيك في الحقائق الثابتة او محاولة تصوير بعض الجوانب على نحو يبث في النفس الهزيمة او الغض من القيم الاساسية او ان يجري دراسة التاريخ العربي الاسلامي لخدمة مذهب من مذاهب السياسة او الفكر والاقتصاد .

فلا بد ان يكون هناك قدر واضح من الاعتراف بمكانة التاريخ في فكرنا العربي الاسلامي ودوره ومهمته واثره في هذه المرحلة الدقيقة ، وان يصحب القدرة في مجال التحقيق التاريخي ايمان صادق بفكر هذه الامانة وتشرب كامل لروحها ، وتحرر كامل من الخضوع لتيارات التغريب والشعوبية والغزو الثقافي .

ومن هنا لا ينفصل النظر الى التاريخ عن النظرة الى الامة ومقوماتها ولا على الفهم العربي الاسلامي ككل ، فلا يخضع التاريخ لمذهب ما ولا يكون التحقيق العلمي عاملا من عوامل تجريده من روحه . ولا شك ان صدق النظرة سيحول دون استغلال الشكوك او الخصومات او مثالب بعض الشخصيات لخلق روح الاستهانة او الغض مما يحمل التاريخ العربي الاسلامي من بطولات وايجابية وتقدم .

وليس يستطاع ان يقال ان تاريخ امة من الامم قد خلا من مثل هذه الشكوك او الخصومات او المثالب وتحرر منها ، فالانسان هو الانسان ازاء الملك والحكم وليست العبرة بالاحداث العابرة توضع موضع الاهتمام لتبدو ذات اثر اكبر من واقعها بينما تترك الظواهر الكبرى في حياة الامة دون التركيز عليها .

فالتاريخ علم وفن وتوجيه ، ولا يمكن تحريره من هوى الكاتب الذي لا بد ان يكون صادق الايمان بفكره وامته اساسا واذا كان من الضروري بناء ايمان الامة بماضيها بما يدفعها الى العمل ، فانه من الضروري ايضا دراسة الاحداث وانتقادها لاستخلاص العبرة منها في نزاهة كاملة .

ومن هنا لا بد من تأكيد الرابطة بين التربية والتاريخ والعلاقة الوثيقة بينهما ، فالجانب الايجابي المضيء منه يعطي قوة الدفع ، والاحداث التي يتصل فيها الخير والشر تدرس بروح علمية وانصاف لتعطي العبرة لا التشهير .

ومن هنا يكون وضوح الموقف من مسائل متعددة تحاول التغريب والشعوبية ان تثيرها . ومن هنا يكون صدق النظرة الى ما يثار من ان فلانا التركي الاصل او الفارسي ، في محاولة لتشويه مكان العرب او الغض من قدرهم ، ولا شك ان النظرة الحقيقية هي ان البيئة هي التي تخلق العظماء والاعلام وليس الجنس ، فان الفكر العربي الاسلامي هو الذي خلق الفارابي والغزالي وابن رشد وليست التركية او الفارسية او غيرهما ، اذ الواقع ان الانسان ابن بيئته ومجتمعه واللغة التي يتعلم بها ، وان العربية اللسان فمن تكلم العربية فهو عربي . وليس بين الاسلام والعربية صراع ولكنهما شقي حقيقة واحدة ، وقد حاول التغريب وحاولت الشعوبية ان تمزق وحدة الامتزاج بين مقومات الفكر العربي الاسلامي من اجل الغض من شأن هذا البناء الانساني المتكامل فحيث لا تعارض بين حافز التاريخ

والاسلوب العلمي ، فلا تعارض بين عربية التاريخ واسلاميته

ونظرتنا اننا لا نجعل التاريخ عبئا ولا نتحرر منه، ولا ننفصل عنه ، وحيث ان التاريخ ذخيرة امجاد وذكريات وسجل بطولات وتخليد معارك وشهداء ، وحضارة وفكر ، فانه عامل من اكبر العوامل في بناء الامة النفسي والاجتماعي ، ولا يمنع ذلك كله من دراسة التاريخ وفق روح علمية منصفة ، على اساس ان التاريخ عامل من عوامل وحدة الفكر التي هي العامل الاكبر في بناء شخصية الامة ووحدتها .

* * *

ومن الجدير بالنظر ان منطق الفكر الغربي في النظرة التاريخية ليس ملزما ان نتخذه منهاجا لنا ويمكن الاستئناس به حيث يبدو منهج التاريخ الاسلامي العربي مختلفا مع منهج التاريخ الغربي وفي هذا يقول مستر جب :

« ان التاريخ الاسلامي سار في وجهة معاكسة للتاريخ الاوربي على نحو يثير الاستغراب ، كلاهما قام على انقاض الامبراطورية الرومانية في حوض البحر الابيض المتوسط ، ولكن بينهما فرقا اصيلا بينما خرجت اوربا على نحو متدرج لا شعوري وبعد عدة قرون من النهوض الناجم عن غزوات البرابرة ، انبثق الاسلام انبثاقا مفاجئا في بلاد العرب واقام بسرعة تكاد تعز على التصديق في اقل من قرن من الزمان امبراطورية جديدة في غربي اسيا وشواطىء البحر الابيض » .

ولا شك ان هذا الاختلاف يجعل استغلال المذهب الغربي في تفسير التاريخ العربي الاسلامي عمل غير طبيعي ولا منصف . ومن هذا تبدو فلسفة التاريخ العربي الاسلامي على قاعدة تحرير التاريخ العربي الاسلامي من :

1) عوامل الفخر بالجنس او ادعاء بطولات والنظر بحذر الى كتابات المستشرقين وخصوم الفكر العربي الاسلامي .

2) ابراز جانب الجماعات واندفاعاتها القوية في مجال الحرية والدفاع عن الكرامة .

3) وحدة الفكر العربي الاسلامي اساس من اسس النظرة ، فالعروبة والاسلام شقان لحقيقة واحدة .

4) ليس العامل الاقتصادي وحده هو الذي يوجه التاريخ ولكنه عامل لا يمكن انكاره او تجاهله بالاضافة الى العوامل الروحية والسياسية وعوامل المناخ .

5) لا تقديس للتاريخ ولا احتقار له .

6) نظرتنا التاريخية انسانية تمتزج بروح بناء وحدة فكر الامة ورد طعنات خصومها .

7) روح النزاهة والانصاف والايمان بمقومات الفكر العربي الاسلامي هي اساس النظرة التاريخية .

8) تحرير التاريخ من محاولات التزييف مع اليقظة لمحاولات التحريف .

9) ليس التاريخ هو تاريخ العظماء ولا العصور وانما تاريخ الامة وبطولاتها ومواقفها .

10) اثر الفرد في البيئة ، واثر البيئة في الفرد كلاهما يسيران جنبا الى جنب في النظرة التاريخية فالبطولة والجماعية كلاهما مؤثران في التاريخ .

11) النظرة التاريخية شاملة تضم الاحداث السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعمرانية .

12) التفسير الديني والبيلوجي والمادي جميعها اسس في النظرة الى التاريخ دون ان تنفرد واحدة منها .

13) الارتفاع عن النظرة المادية المحضة والروحية المحضة .

القاهرة ــ انور الجندي



للأستاذ: عبد العلي الوزاني

حقا لقد اتاح لنا الشاعر نزار فرصة لقائه والاستماع اليه ، وهو يلقي بصوته الدافىء ، الرفيع النبرات ، مجموعة من قصائده الناجحة ، التي طالما تناشدناها واخذنا بروعة ايقاعها ، وجميل معانيها ، ولكن لما سمعناها من فم نزار ، خيل الينا اننا نسمعها للمرة الاولى ، اذ ان شخصية الشاعر ولهجته مما اضفى عليها ثوبا جديدا ، وكساها شفافية ليس الى وصفها من سبيل .

ولاول لمرة ارى جمهورا كبيرا اكتظت به قاعة المحاضرات بثانوية مولاي ادريس بفاس ، حتى اضطر الكثير للجلوس على الارض الصلبة الباردة ، او الوقوف الطويل المضني طيلة ساعتين كاملتين ، دون ان يشعر احد بتعب او عياء . فالوقت كان يمر سريعا ، وانفاس الحضور مشدودة الى انفاس نزار ، وكان ساحرا عجيبا نقل الناس من واقع حياتهم البسيط ، ليحلق بهم في سماء من الاحلام الاخاذة الجميلة . وحقا ان نزار كان ساحرا يتصرف في العواطف ، ويتلاعب بها كما يشاء .

ولاول مرة ايضا اشاهد جمهورا يتجاوب بقوة مع شاعر يقول بضع كلمات جميلة ؛ فكل كلمة خرجت من فم نزار ، كنت تستقر في مكانها من النفوس ، وكل حرف نطق به نزار كان يكهرب المشاعر ، ويثير الاحاسيس ، ويرسم على بعض الثغور البسمات ، وينشر في الاعطاف المرح ، ويملا عيوننا بالرؤى والاطياف

ولاول مرة ارى من يتذوق الادب العربي ، ومن يشعر نحوه بالعداء ، يجتمعان حول نزار ، وتؤلف بينهما كلماته الجميلة ، التي تسيل رقة وشاعرية . وهذا دون شك يعد من حسنات الشاعر ، حيث استطاع ان يغزو بشعره جميع الاوساط المثقفة ، وان يسيطر على اولئك الذين ليسوا زبناء للادب العربي ولا من هواته فقد اقنعهم ــ شعوريا ــ بان الكلمة العربية قادرة على ان تسحر ، وتبدع وتشرق لتملا النفوس نورا ، وتفتن الانسان فتنة طاغية .

وهنا اسجل على الجمهور المستمع لنزار ان كثيرا من عناصره كان ينقصها احترام الفن واهله ، وينقصها الاحساس الفني الوديع الهادىء ، الذي ينصرف معه الفكر الى التأمل ، والخيال الى التحليق ، والذوق الى استجلاء المعاني الشفافة في فن القول . لقد كان جمهورنا ــ واسجل هذا مع كامل الاسف ــ مهرجا كأنه في قاعة سرك ، لا في امسية شعر . فكل كلمة نطق بها نزار كانت تحدث عاصفة من التصفيقات والهتافات والضحكات الصاخبة ، التي لا يتأتى معها اي تذوق لموهبة الفن ، الامر الذي كان قد افسد على بعض الحاضرين متعة الاستماع الى الشاعر ، في جو تسوده روح الشاعرية ، لا في جو عاصف ببرقه ورعده ، كما حدث فعلا . وهذا ان دل على شيء فانما يدل على ان جمهورنا ما زال بحاجة الى مزيد من التربية الفنية ، والتهذيب الجمالي ، لكي يقوى على تذوق الفن واحترام اهله ؛ ومن ثم لا يعبر عن اعجابه بالضحكات الهستيرية ، والتصفيقات التي تجلد الاعصاب ــ على حد تعبير نزار ــ وانما بطرق مهذبة ، تجعل اهل الفن يحترمونه ، ويجدون في الالتقاء به متعة . فكما ان الجمهور يستمتع بالاديب المحاضر ، فكذلك يستمتع هذا الاخير بالجمهور الذي يحسن الاستماع اليه ، والاستجابة له ، والتأمل في مقاصد كلامه . وانا اشك كثيرا في ان يكون نزار قد وجد في جمهورنا ما كان ينتظره من جميل

الاستجابة وعمقها . فشاعر مثل نزار، ما اظن انه يقدر جمهورا من هذا النوع ، خصوصا وان الشاعر سبق له ان قرأ شعره في اوساط فنية وادبية راقية مهذبة ، في بلاد عربية مختلفة ، كمصر والعراق ولبنان .

واذا كان غيري يحمل نزار مسؤولية ما وقع ، او جزءا من المسؤولية على الاقل ، لكونه يثير الشباب ويهيج غرائزه ، بذكر النهود والاذرع والسيقان والعيون السود ، وسنابل القمح التي تركت دون حصاد ، فانا شخصيا ابرىء نزار من اية مسؤولية . فهو شاعر يقول الشعر على طريقته الخاصة ، وليس لنا حق التدخل في شؤون الشاعر الخاصة . فكل ما يطلب منه كشاعر ، هو ان يمتعنا ، ومن هذه الناحية فان نزارا قد اوفى على الغاية . وليس مفروضا على الشاعر — اي شاعر — ان يحذف من قاموسه كل الكلمات الجنسية ، ليكون محل تقديرنا واحترامنا ، وليجعلنا نلتزم جانب الهدوء والوقار . ولو ان نزارا كف عن ذكر الاذرع والسيقان والنهود وما الى هذا ، لما بقي منه شيء ، فنحن نحب نزارا الانسان كما هو ، وكما خلقه الله ، دون تهذيب هنا ، او تشذيب هناك ، ومتى خالف الشاعر طبيعته التي فطر عليها ، فقال للناس شيئا وهو يحس بشيء آخر ، اصبح حطام شاعر ، وماتت فيه او كادت معاني الشاعرية .

ولو صح ان نطلب من نزار ان يعدل عن منهجه في قول الشعر ، لجاز ان نقول لابي نواس : كف عن غزلك بالمذكر ، وعن افتتانك بالخمر وتغنيك بها . ولجاز ان نقول لعمر بن ابي ربيعة : كفاك تشبيبا بالمرأة، وترنما بمحاسنها، وفتنة للناس بذكر مغامراتك معها ، ومطارحاتك اياها اعذب الاحاديث .

جمهورنا هذا ديدنه دائما ،سواء في المسارح ، او الحفلات الموسيقية ، او قاعات المحاضرات ، او ندوات الشعر : الصخب ، والتهريج ، والعنف . اذا كره شيئا من الفنون،عبر عن كراهيته بعنف، واذا احب فيها شيئا عبر عن حبه بعنف ، فنحن دائما صاخبون ، في احاديثنا ، في معاملاتنا ، في كل حركاتنا ، صخب في الشارع ، صخب في البيوت ، صخب في الحافلات ، صخب في المقاهي ، صخب في دور السينما ، صخب في كل مرافق حياتنا ومجالاتها . وهذا شيء يجب ان يتغير ، عن طريق التربية ، تربية الاسرة ، وتربية المدرسة .

وما اظن ان شاعرا ذواقة كنزار ، اعتقد ان صخب جمهورنا من حوله ، كان علامة نجاح بالنسبة اليه . فالنجاح الحقيقي بالنسبة للشاعر الفذ ، والفنان القدير ، لا ينتزعه من التصفيقات الحارة ، والهتافات المرعدة ، وانما يستمده من نظرات النقاد الفاحصة ، واصغاء الجمهور المهذب ، وتجاوبه الهادىء الرزين الواعي . ولو ان شاعرا اغتر بالتصفيقات والهتافات واعتبرها علامة نجاح ، لكان قد اقام الدليل على انه لا يفرق بين الاعجاب الفني الجميل ، والتهريج البغيض المنفر ، فالناس لا يصفقون ولا يهتفون عادة الا اذا كانوا سطحيين في فهمهم للفن ، يؤخذون بالكلمات الرنانة ، والجمل الجميلة الايقاع ، دون ان ينفذوا الى محتوياتها من عاطفة ونظرات في الحياة فاليد المصفقة تحل محل الفكر المتأمل ، والحنجرة الصاخبة تحل محل الخيال المحلق . فاذا نشط الفكر، وحلق الخيال ، هدأت الاعطاف ، وانقلب الحديث همسا ، والضحكات بسمات ترف على الشفاه ، وعاش المعطي والآخذ في جو من الايحاء ، يجعل الناس قادرين على ان يرتفعوا مع الشاعر الى آفاقه وسماواته ، ويستشفوا في كلماته ما يمكن في لفائفها من الرؤى والاطياف .

بقي ان نعرف هذا السر الذي جعل جل المثقفين على اختلاف مستوياتهم يحبون هذا الشاعر ، ويقرأون له كثيرا ، حتى ليقرأ له ذلك الذي لا يقرأ ، ولم تكن القراءة من هوايته المفضلة . لا شك ان ذلك راجع الى امور اهمها عاملان اساسيان : اولهما هذا الوضوح الذي يتميز به شعر هذا الشاعر . فانت لو قدر لك ان حضرت امسية الشعر هذه ، لوجدت الحاضرين يفهمون عنه كل كلمة ، كل عبارة ، تدل على ذلك الاستجابة السريعة التي ترى آياتها بادية على صفحات الوجوه . هذا مع العلم بان من الصعب على جمهور ان يفهم عن شاعر بسهولة ، وان يلاحقه في معانيه وخواطره ، لان الفرصة لا تتاح له للتفكير والتأمل ، فالمقاطع الشعرية آخذ بعضها برقاب بعض ، ومع ذلك فان شعر نزار كان يفهم بكل سهولة ، وهو يلقيه بصوته الدافىء الرخيم ..

وحب السهولة في الفن ، هو احدى نقط الضعف في شبابنا المثقف ، باستثناء القليل فهو يفضل ان تسعى اليه مشاعر الادباء والشعراء على ان يسعى اليها ويؤثر ان يجد الابواب كلها مفتوحة على مصاريعها ، على ان يجدها مغلقة ، فيعالجها في اناة وصبر ، حتى تنفتح ، فيستمرىء لذة الظفر بعد التعب ، ويتذوق متعة الارتياح بعد طول عناء .

وثانيهما ان نزار هو شاعر الشباب ، يعبر عن احلامه ، ومشاعره ، وخيالاته المحمومة . يدخل بين العاشقين ، ليتسمع مناجاتهما الهامسة ، ويقتحم على الفتاة سرير نومها ليلتقط انفاسها اللطيفة

ويتابع بعينيه الذكيتين تلك الغانية المتكسرة في مشيتها، والتي تملا الجو من حولها شذى وعطرا ، وما الى ذلك . انني ارى نزار قباني في المعاصرين ، كعمر بن ابي ربيعة في القدماء .

والان اود ان انتقل الى الحديث عن محاضرة نزار « حكاية الشعر العربي المعاصر » فعندما اعلن عن ان نزار قباني سيلقي محاضرة بهذا العنوان بثانوية مولاي ادريس ، تشوفت الى المحاضرة ، لكونها ستعالج موضوعا هاما ، اختلفت فيه ءاراء النقاد والدارسين ، ما بين مهاجم للشعر الحر ومدافع عنه ، خصوصا وان الذي سيتناول الحديث في هذا الموضوع ، هو احد زعماء المدرسة الجديدة في الشعر العربي الحديث ، نزار ، صاحب الدواوين الخمسة ، التي ضربت الرقم القياسي في الرواج ، والتي لم يبق مثقف متشوق للادب في المغرب وكيفما كان اتجاهه الثقافي ، الا وشدا منها شيئا يقل او يكثر .

ولكن كانت المحاضرة مخيبة لاملي عندما استمعت اليها ، فهي ليس فيها جديد ، وانما هي تكرار لمقال كان قد سبق لنزار ان نشره بمجلة « المعرفة » السورية ، ثم ضمنه كتابه الصادر منذ ثلاث سنوات تقريبا : « الشعر قنديل اخضر » والمقال بعنوان « معركة اليمين واليسار في الشعر العربي » عاد ليلقيه علينا تحت عنوان آخر وهو «حكاية الشعر العربي المعاصر» مع زيادة هنا ، وحذف هناك واضافة بعض العبارات التي اذا اعتبرت من حسنات الاسلوب ، فهي لا تضيف جديدا الى فكرة الموضوع .

ومنذ ان كتب نزار مقاله ونشره في مجلة المعرفة الى اليوم ، ظهرت دراسات وفصول حول الشعر الحر، وعقدت ندوات ادبية لمناقشة الموضوع ، الامر الذي ادى الى ظهور عناصر جديدة في القضية ، كانت كفيلة بان توحي لنزار ببحث جديد في الموضوع . فلو انه استفاد منها ، لكان ذلك اليق واجدى على الشاعر المحاضر ، من اجترار مقال قديم ، صدر في مجلة سيارة ، وفي كتاب من اوسع كتبه انتشارا .

فلماذا اعاد علينا الشاعر « حكايته » القديمة ؟ هل كان يعتقد ان ما يكتبه غير معروف في المغرب ؟ وكيف وقد تحدث الى المثقفين في الرباط ، قبل مجيئه الى فاس ، فلمس ان جمهور المثقفين يعرف شعره ، ومنه من يحفظه عن ظهر قلب ؟ الامر الذي كان من الطبيعي ان يحمله على اختيار جوانب اخرى للفكرة التي تطرق اليها ، تجنبا لتكرار ما هو شائع ومعروف . هل ان نزارا لا يساير مراحل المعركة بين مؤيدي الشعر الحر ومعارضيه ، منصرفا الى نفسه يستلهمها روائع القصيد ، في بعد عن غبار المعركة وضجيجها ، بحيث لا يعيش مشاكل المشادة بين انصار القديم وانصار الجديد ، ولا يقف على آخر تطوراتها وآخر ما قيل فيها ؟ ربما كان ذلك جائزا . وربما كان نزار ينشد مع المتنبي :

انام ملء جفوني عن شواردها
ويسهر القوم جراها ويختصم

وان كان نزار ليس على وفاق مع رب القوافي والقصيد . .

هل يجوز ان يكون نزار قد اعاد علينا «الحكاية» القديمة ، لانه معجب بها ، مفتون بسحر كلماتها ، ورشاقة حروفها ، وعذوبة نغمها ، فهو يتلوها انجيلا ويرددها نشيدا ، ومزمارا كمزامير آل داوود ؟ ربما كان ذلك جائزا ايضا . فالحقيقة ان نزار شاعر حتى في نثره ، ولو بذل كل جهده كي لا يكون شاعرا لما استطاع . وليصدقني القارىء اذا قلت له بان نزارا عندما انتهى من القاء محاضرته ، وانتقل الى قراءة بعض قصائده ، لم اشعر باني انتقلت من جو النثر الى جو الشعر ، وانما كنت اشعر – طيلة الوقت – باني في جو شاعري ، تحنو عليه ربات الشعر منذ ان فتح نزار فمه ليتكلم ، الى ان لفظت شفتاه الشاعرتان ءاخر حرف من كلامه المعسول الاخاذ .

ولكن مصير كل نشيد جميل الى مشرحة النقد ، ومصير الافتتان به والانتشاء بروعة ايقاعه الى زوال . فالحق اني لم اكن انظر بعين الناقد الى الشاعر وهو يلقي علينا درره الغالية ، وانما كنت مغلوبا على امري، مسحورا بجمال الكلمة، وسحر الحديث، كنت حينئذ انظر الى نزار كطفل يعبث ما شاء له العبث فسيئاته حسنات ، واخطاؤه جميلة تدعو الى الابتسام ، وينظر اليها بكثير من التسامح والعطف.

ولكن الان وقد افلتنا بانفسنا من سحر الشاعر الموهوب ، وخرجنا من الجو المسحور الذي وضعنا فيه ، نستطيع ان نناقشه بشيء من الموضوعية التي لا يفيد معها شيء سوى وضوح الحجة ، وسلامة المنطق .

لقد هاجم نزار الشعر العربي التقليدي هجوما جميلا ، استعمل فيه كل اسلحته الفتاكة من صور بيانية ، وحيل فنية ، وقدرة على ابراز المعاني الدقيقة في ثوب لغوي شفاف ، مرهف الحساسية ، الامر الذي جعله يقنع كثيرا من الحاضرين ، بان الشعر

العربي القديم ، ليس من الجمال الفني في شيء ، ولا يحمل المقومات الاساسية للشعر بمعناه الصحيح .

فلننظر الان الى نقط الضعف التي وضع نزار اصابعه عليها في هذا الشعر ، وركز عليها هجومه الجميل الذي استعمل فيه كل شيء ، الا المنطق السليم . اتهم الشعر القديم بانه خال من الدفء الانساني ، ولذلك فهو عندما ترجم الى بعض اللغات الاجنبية ، لم يكن له وقع جميل . قد نتفق مع نزار على بعض العيوب العالقة بهذا الشعر ، كعنايته باللفظ اكثر من المعنى غالبا ، او اتخاذه وسيلة للتكسب عند كثير من الشعراء — وان كان هذا له بواعثه — الا اننا لا نستطيع مجاراته في قوله بخلو القصيدة العربية القديمة من الدفء الانساني . فالشعراء القدماء كانوا اناسي كغيرهم من افراد البشر ، يحبون ويكرهون ويسعدون ويشقون ، ويهداون ويضطربون ، ويسالمون ويخاصمون ، وهم في شعرهم يصدرون عن هذه المواقف كلها ، حتى ليعد شعرهم ، مصدرا لمؤرخ حياتهم وحياة المجتمعات التي عاشوا فيها ، لاستكشاف الدوافع النفسية التي كانت توجهها ، وتكمن وراء مظاهرها الخارجية . ولست ادري كيف يكون الدفء الانساني اذا لم يكن ثورة ابي العلاء ، وجدية المتنبي ، وحماسة ابي فراس ، ودقة حساسية ابن الرومي ، وتعشق اللذات عند ابي نواس ؟

اما الاستدلال على ضعف هذا الشعر ، بفقدانه لكل قيمة فنية عند ما ترجم ، فهي حجة لا يطمئن اليها العقل . فالجميع يعلم ان الترجمة تفقد النص الادبي كثيرا من خصائصه الفنية ، في العبارة والاسلوب وطريقة الاداء . فاذا كان من الميسر نقل الافكار والمعاني ، فان من المتعذر نقل الاسلوب بكل ملامحه ، ومعلوم ان قيمة الادب انما هي في مجموع لفظه ومعناه واسلوبه ، وقد يكون سر جمال العبارة في الفاظها الاصلية ، بحيث لو ازلتها ووضعت الفاظا اخرى مكانها لبطل السحر ، وجف ماء الجمال . والقرءان الكريم على اعجازه وسمو بلاغته ، عندما يترجم الى لغة اخرى لا يبقى له رواؤه المبدع ، وسياجه العربي الرائع . ولو اننا ترجمنا شعر نزار نفسه الى لغة اخرى لضاع كثير من محاسنه ، ولصار شيئا ءاخر .

ويتهم نزار الشعراء العرب الاقدمين بانهم لا شخصية لهم في شعرهم . ولو صح هذا لكان من الممكن ان نضيف شيئا من شعر ابي العلاء الى ابي نواس ، وشيئا من شعر البحتري الى المتنبي ، وشيئا من شعر جميل معمر الى عنترة بن شداد ، دون ان يشعر احد بان هناك شيئا في غير مكانه الطبيعي . ولو فعل هذا احد لكان عمله عبث اطفال لا اقل ولا اكثر . فهؤلاء الشعراء جميعا بينهم من التفاوت في الطبائع الفنية ، وتنوع المواهب والملكات ، ما لا يخفى حتى على ابسط الناس علما بالادب العربي ، واشعاره تصور هذا التنوع وذلك التفاوت تصويرا صادقا ليس من سبيل الى انكاره .

تهمة ثالثة يوجهها نزار الى الشعر العربي القديم ، وهي خلوه تماما من اي وحدة . فابيات القصيدة لا يصلها سبب ، ولا يربطها رابط ، وانما هي اجزاء مفككة . واذا جاز لنا ان نتفق مع نزار على ان كثيرا من القصائد القديمة تعوزها الوحدة العضوية ، اي الوحدة الفنية ، فنحن لا نتفق معه الا في هذا فقط ، اذ ان الوحدة النفسية موجودة فعلا في القصيدة القديمة . فليس مصادفة ان ينتقل الشاعر القديم من وصف الى الاطلال الى وصف الناقة او الفرس ، اذ ان الناقة او الفرس هي التي تقلته الى هذه الاطلال ليقف عندها ، وهي تعتبر من ضرورات حياته القائمة على التنقل والترحال ، فكان من الطبيعي ان تكون من عناصر اللوحة التي يرسمها وليس من المصادفة ان ينتقل الشاعر القديم من المقدمة الغزلية الى المدح ، لان الغزل هنا ان هو الا حيلة فنية يراد بها اعداد الجمهور نفسيا للانصات الى الشاعر ، ما دام الغزل فنا محببا الى كل نفس . وهذا من ابسط مباحث التاريخ الادبي التي اصبحت من البديهيات .

هذا ، ونجد النقاد الاقدمين من العرب يطالبون الشاعر بما يسمى عندهم بـ « حسن التخلص » وهو ان يمهد الشاعر للانتقال من موضوع الى ءاخر ، داخل قصيدته الواحدة ، حتى لا يشعر المستمع او القارىء ان هناك فجوات وثغرات بين اجزاء القصيدة .

تلك كانت بعض ماخذي على محاضرة نزار اثبتها دون تفصيل او استقصاء .

ولعل القارىء ينتظر مني ان اقول كلمة عن شعر نزار نفسه ، وعن قضية الشعر الحر ، هذه القضية التي تصدرت مشاكل الادب العربي الحديث ، وسوف لا ينتهي النقاش حولها ، طالما بقي المثقفون مختلفين من حيث الاذواق والطبائع والحواس الفنية . ونظرا لخطورة القضية ، فاني ارجىء الحديث عنها وعن شعر نزار الى فرصة اخرى .

فاس — عبد العلي الوزاني

التحكيم في الاسلام

للدكتور: محمد الرويفي

يرجع نشوء وتطور التحكيم الى زمن بعيد ، وقد عرفه اليونان والرومان والعرب في الجاهلية والاسلام، ولا زال الى اليوم يلعب الى جانب القضاء دورا اساسيا في اشاعة روح التفاهم والوفاق ، والعمل على تقارب المصالح والحقوق المتعارضة كما يعتبر التحكيم من الناحية الدولية ركنا من اركان السلام وعاملا قويا لتدعيم العلاقات الودية ؛ وتهدف فكرة التحكيم حل المنازعات الفردية او الدولية بالطرق السلمية بواسطة قضاة منتخبين وعلى اساس احترام الحق .

وليس هناك فرق من الناحية المادية بين التحكيم والقضاء فكلاهما يعتبر من الطرق القضائية لتسوية المنازعات على قاعدة احترام الحق ، كما انهما يستندون على رضا الطرفين ، الا ان الفرق بينهما في القانون الدولي هو من الناحية الشكلية والتركيبية ، فالتحكيم يتميز بالتوقيت ويجري بواسطة قضاة منتخبين وكذلك بموجب عقد ثنائي الطرق ويكون لاجل حل خلاف محدد لاحق ، اما القضاء فيتسم بالديمومة بمعنى ان هيأته لاتؤسس مباشرة من الاطراف انفسهم ويكون لاجل عدد غير محدد من المنازعات ولوقت ايضا غير محدد .

فالتحكيم اذن هو الطريقة العقدية لحل المنازعات ، ولذلك وجب ان يستند الى ارادة الطرفين ورضاهما المشترك وان تخول المحكمين سلطة مستمدة من ارادة الطرفين المتنازعين تلك الارادة المبنية في عقد التحكيم وفقا للاحكام التي يحددها القانون او العرف او وفقا للقواعد التي يحددها الطرفان بشرط ان لاتخالف النظام العام .

والى جانب القضاء العادي الذي كان يرفرف على جميع البلاد الاسلامية وينظم باحكامه العادلة وقواعده الرحيمة احوال المسلمين الشخصية ومعاملاتهم المختلفة كان يقوم بجواره التحكيم الذي لجا اليه المسلمون لحل خلافاتهم السياسية ، خاصة عند ما نشأت فكرة الخلافة وما ترتب عليها من انقسام بين المسلمين ، واختلفوا بشأنها شيعا واحزابا ، ولعل اشهر مثال على ذلك الخلاف الذي حدث بين علي ومعاوية على الخلافة ؛ فقد حكما ابا موسى الاشعري وعمرو بن العاص ووضعا صك التحكيم ضمناه القواعد التالية ، وفيما يلي نصه حسب ما ورد في تاريخ الطبري الجزء الاول ص 34/33 :

« بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما تقاضى عليه علي بن ابي طالب ومعاوية ابن ابي سفيان .

قاضى علي على اهل الكوفة ومن معهم من شيعتهم من المؤمنين والمسلمين

وقاضى معاوية على اهل الشام ومن معهم من شيعتهم من المؤمنين والمسلمين

اننا ننزل عند حكم الله عز وجل وكتابه ، ولا يجمع بيننا غيره ، وان كتاب الله عز وجل بيننا من فاتحته الى خاتمته ؛ نحي ما احيا ونميت ما امات فما وجد الحكمان في كتاب الله عز وجل :

وهما ابو موسى الاشعري عبد الله بن قيس ، وعمرو بن العاص القرشي ، عملا به وما لم يجدا ، في كتاب الله عز وجل ، فالسنة الجامعة غير المفرقة واخذ الحكمان من علي ومن معاوية ومن الجندين من العهود والمواثيق والثقة من الناس ، انهما آمنان على انفسهما وعلى اهليهما ، والامة لهما انصار على الذي يتقاضيان عليه ، وعلى المسلمين والمؤمنين من الطائفتين كلتيهما،

عهد الله وميثاقه ، انا على ما فى هذه الصحيفة ، وان وجبت قضيتهما على المومنين فان الامن والاستقامة ووضع السلاح بينهم اينما ساروا على انفسهم واموالهم وشاهدهم وغائبهم ، وعلى عبد الله بن قيس ، وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه ان يحكما بين هذه الامة ولا يرادها في حرب ولا فرقة حتى يعصيا .

واجل القضاء الى رمضان ، وان احبا ان يؤخرا ذلك اخراه على تراض منهما وان توفى احد الحكمين فان امير الشيعة يختار مكانه ولا يسألوا على اهل المعدلة والقسط ، وان مكان قضيتهما الذي يتقاضيان فيه مكان عدل بين اهل الكوفة ، واهل الشام ، وان رضيا واحبا فلا يحضرهما فيه الا من اراداه ، ويأخذ الحكمان من ارادا من الشهود ثم يكتبان شهادتهما على ما فى هذه الصحيفة ، وهم انصار على من ترك هذه الصحيفة واراد فيه الحادا وظلما ، اللهم انا نستنصرك على من ترك ما في هذه الصحيفة)

ان هذه الوثيقة الهامة قد تضمنت جميع العناصر الاساسية التى يجب ان يشملها عقد التحكيم: اسماء الطرفين المتخاصمين ، طالبي التحكيم ، علي ومعاوية ، واشياع كل منهما واتباعه ، اسماء الحكمين ابي موسى الاشعري وعمرو بن العاص، واصول تعيين خلفهما فى حال وفاتهما او وفاة احدهما قبل انهاء المهمة الموكولة اليهما ، والقواعد التي يجب عليهما التقيد بها والحكم بموجبها وهي مستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية ، تعهد الطرفين المتخاصمين بحماية الحكمين وحماية اولادهم ونسائهم واموالهم ، تعهد المحكمين بتنفيذ ما ورد في عقد التحكيم حتى يستتب الامن ويوضع السلاح تحديد وقت الاجتماع للتحكيم وفي شهر رمضان ، ويمكن تأجيله باتفاق المحكمين ، تحديد مكان الاجتماع في مكان عدل متوسط بين اهل الكوفة واهل الشام ، المحكمان انصار الطرف المدعى للحكم على الطرف المتمرد عليه بتنفيذ مضمونه ، اشهاد الله سبحانه وتعالى وطلب معونته على تحقيق ما تضمنه هذا الميثاق

الحكم : فى الوقت المحدد يجتمع المحكمان ويبحثان القضية المعروضة على التحكيم من جميع نواحيها ثم يتفقان على المبادىء الاساسية التى يجب عليهما ان يحكما بها بالاستناد الى القواعد العامة في الحقوق والى ما ورد فى صك التحكيم من احكام ثم يضعان صيغة الحكم وينظمان به محضرا يوقعانه ويبلغانه الى الطرفين .

ففي قضية علي ومعاوية عندما تمت الاجراءات الخاصة بالتحكم وضع المحكمان محضر الحكم وقالا فيه :

(بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما تقاضى عليه عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص : تقاضيا على انهما يشهدان ان لا اله الا الله وحده لاشريك له وان محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .....)

وبعد هذه المقدمة اوردا صيغة الحكم والحلول النهائية التى اتفقا عليها والتي تضمنت ان عثمان قتل مظلوما وانهما اتفقا على خلع علي ومعاوية معا وان يولى على المسلمين خليفة آخر ممن احبوا وارادوا غيرهما.

وفي خلال هذه الفترة التى كان يجري اثناءها التحكيم ، كان معاوية يعد جنوده ويدربهم على القتال في حين كان جيش علي فى العراق ينتظر النتيجة ، وكان بعض افراده قد دب بينهم الخلاف والشقاق واخذوا يتناحرون ويتخاصمون فلما علم معاوية نتيجة الحكم القاضي بعزله لم يذعن له ولم يقر به ، ولما راى ذلك منه علي اراد ان يحكم السيف الا ان ظهور الخوارج قد اعاق سبيله ، ثم اغتيل على يد احدهم عبد الرحمان بن ملجم ، فكان هذا الحكم نتيجة هذه المأساة الاليمة .

الدكتور ـ محمد الرويفي



روبن داريو 1867-1916

للأستاذ: حسن الوراكلي

روبـــن داريـــو ..

مسافر ، جوابة ، لايستقر ، ولكن اسمه لم يذع ذيوع اسماء مشاهير الرحالة .

دبلوماسي انيق : مثل بلاده وتحدث باسمهـــا مرات متعددة ، ولكن الناس اذ يخوضون في حـــديث الساسة والسياسة لايعرجون على ذكر اسمه بجانب الاسماء اللامعة في آفاق السياسة

صحفي قدير ، ظـل ينثر جهده ويسكب عـرق جبينه بين يدي صاحبة الجلالة ، الصحافة ، سنوات من عمره البهي ، ولكن اسمه برغم ذلك ، لم يرق الـى حيث رقيت اسماء رواد الصحافة الكبار .

شاعر غنائي ، لا اعمـق ولا اروع ، عجـز كـــل شعراء الكلمة القشتاليـة ــ في اسبانيــا وامريكـــا اللاتينية ــ الذين عاصروه : ان يلحقوا بعجاج قدميـه في تعبيرنا القديم .

اجل ، لقد تعددت وتنوعت النواحي العبقريـة في شخصية روبن داريـــو ، بيد ان الناحية الشاعرة فيها تفوقت في النهاية وتغلبت .. وحلقت ، كنسر جبـار ليس يرضى بالسفوح منزلا لـه ومستقـرا : لتطيـر باسمه الى الاعالي وتطرق الخلد لـه منــزلا .. حيث هوميروس والمهلهل ، وابو العلاء المعــري ودانتـــي اليجييري ، وابن زيدون وكونكورة ...

شيد روبن داريـــو ، من اول لحظة ، اطارا له ، كشاعر مجدد (1) ، وبجناحي خصب خلاق : لايتعب ، حلق في سماء التجديد الشعري ، منتصرا ، مظفـرا ، حتى لفظ النفس الاخير .

وفي يوم الناس هذا ، يدرس روبن داريو كزعيم لحركة ثورية عميقة في الشكل والمضمون الادبيين ، هي ما يعرف في تاريخ الادب الاسبانـي المعاصـر باسم Modernismo (2)

في يـــوم مـــا من سنـــة 1865 ، زفت الانسة روسا سارميينطو الى منويل داريو .. كان زفافا بـلا حـــب .

وفي يوم ما بعد ثمانية اشهر مـــن ذلك التاريـخ افترق العريسـان الى الابد ، لان زفافهما كان بلا حب .

وانصرفت ايام وتوالت اخرى .. وفي اليـوم السادس عشر من يناير 1867 ، وضعت روسا ثمرة الزفاف (3) الذي كان بلا حب .. طفلا اسمر يصـرخ وينتحب بمرارة لكانما يحتج ، بعنف ، على ماحــدث ؛ او لكانما احـس ان احدا لم يرغب في مجيئه الى الدنيا .

ان عشاق الكلمة المكوكبـة ، ومحبي اللفظـــة المجنحة ، فاضت اعينهم عبرات ، وامتلات انفسهـم حسـرات في تلك السنة لموت شحرور فرنسا المفــرد بودليـــر Ch. Baudelaire (4) (1867/1821) ولكنهم ما احسوا العزاء فيه بمجيء شاعر الى الدنيـا

1) انظر كتاب : D. R. José Rogerio Sanchez, Sinteres de la literatura espanola
2) راجع الحلقة الثانية من سلسلة هذه الاحاديث في العدد الخامس من دعوة الحق السنة الثامنة .
3) كان ذلك في مدينة توكويوس Chocoyos التي سميت فيما بعـد بـ مطابـا Metapa وهي تقع في نيكاراكــوا بامريكـا الجنوبيـــة .
4) يعد من المع الرمزيين الفرنسيين في القرن التاسع عشر ، وديوانه (ازهار الشر) Les fleurs du mal الذي نشره سنة 1857 تحفة رائعة سالت بها القريحةالرمزية الفرنسية ، وقد ترجمت آثار له الى اللغـــة العربية ، كما صدرت دراسات عنه وعن ادبه باقـــلام شرقيـــة ومغربيـــة .

من معدن بودلير ، اسمه : روبن داريــو .. الطفــل الاسمر الذي كان اروع ما تمخض عنه زواج فاشــل بين روسا ومنويــل .

وعطفت عناية السماء بالطفل الاسمر ، فرق لــه قلب خالة امه برنادرا سارمينطو ، واشفقت عليــه نفسها ، فتبنته واسبغت عليه عطفا وحنانا شديدين ، واغدق عليه زوجها فليكس راميرث من حدبه ولطفه وصفاء قلبه ، ونشا الطفل الاسمر في دار ذات فنــاء اندلسي ، بالروعة حضارتنا عبرت ثورة المحيط ومجاهله لتستقر هنالك بالقرب من الامزون ، فيــه الورد والياسمين ، والحبق ، وليالي الربيع الارجة .

ويمضي به موكب الحياة ، ينساب بهدوء كزورق على صفحة بحيرة اسطورية ، على ان الطفــل برغــم عطف خالة امه عليه ومحبة زوجها له ، كان يحس فــي اعماقه رغبة لحنان وعطف يفتقدهما عنــد الخالــة وزوجها ، ويتالم ، ويحاول عبثا ان يفهم ، غير ان الايام كفيلــة بهتك الاستار وكشف الغوامــض ، ذات يوم ، والطفل الاسمر بعد عمره اثني عشر ابريــلا ، يساق الى بيت في مدينة ليون .. هنالك كانت تنتظره امــراة اتشحت بالسواد ، وقف بين يديها ، خجولا ، مستحييا ، شدها ، متعجبا .. غمرته المراة بكلمــات فيهــا دفء عاطفة ، وصدق شعور ، واحتضنته الى صدرهــا ، تقبله وتبلل وجهه الصغير بالدموع ، ولم يفهم روبــن كنه ذلك ، واحس بقلبه يخفق بعنف ، ولكــن الانسان الذي جاء به الى المراة المتشحة بالسواد هو الــذي قال له : (هذه هي امك الحقيقيــة ، تسمــى روســا ، جــاءت من بعيــد لتراك) .

في فترة مبكرة جدا من حياة الطفــل الاسمــر ، بدات تظهر عليه مخايل الذكاء ، وعلائم النبوغ ، فتعلــم مبادىء القراءة والكتابة ولما يتجــاوز الثالثة مــن عمره .. ثم ساقته ظروف طفولته البائسة الى مدينة ليون ، وفيها امضى فترة يدرس مع اليسوعيين ...

وتضافرت عدة عوامل ، بيئية ونفسيــة وثقافية ، لتفتق في نفس روبن جداول من شعر عــذب ملــذ . وكان من ابرز تلك العوامل ، هذه الطبيعة الفاتنــة الساحرة التي تفتحت بين جوانبها اكمــام طفولتــه ، تتجلى جبالا هي براكين مشتعلة ، وبحيرات ، هــي بلور ازرق شفاف .. وهذا الظما القاتــل الى حــب وعطف وحنان لم يتلمســه في معاملة الخالــة وزوجها ، لم يكونا قادرين ، برغم حبهما لــه وعطفهما عليه ، ان يعوضاه حب الابوة وعطف الامومة ، وكان محرومــا منهما ، فاندفع ، على صغر سنه ، يبحث عن ينبــوع ثــر من حب جارف وعطف صادق وحنــان دافيء ، يطفيء به ظماه القاتل .. فتعلق قلبه الاخضر الصغير بحسناء في فتنة الربيع تدعــى (اليتا) واحس ، وهو بجانبها ، ان عينيه فقط ليبصرها بهما ، واذنيه ، فقط ، لينصت بهما اليها ، وصوته ، فقط ، ليهمس باسمهــا ...

وكان ايضا من اظهر تلك العوامل ، هذا الشغف الشديد منه بالقراءة والاغــراق في مطالعــة القصص العجيبة ، فالتهم فيما التهم من كتب ، في اواخر عقده الاول واوائل عقده الثاني (اعمال موراطين ، والكيخوتي والف ليلة وليلة ، والانجيل ، والمهام Los oficios لتثبرون ، وكورينا لمدام دي سطايل ، وقصة مفزعة ، عنوانها : قافلة سطروثي : La caravana de Strozze

تضافرت كل تلك العوامل ، وغيرها ، يصحبهــا النبوغ ، ويواكبها الذكاء ، وتمهد لها الموهبة الفطريــة لتفتق لسان الطفل الاسمر روبن باعــذب الشعــر واجمله .. واصغى الناس في (ليون) لصوته وهو يرتفع رائيا او ممجدا وجوه القوم وسراتهم .. وذاع اسمه ، وهو لم يتجاوز الحادية عشر ، كشاعر طفل .

تلك كانت البداية .. بداية رحلة الخلود لطفــل ملا بؤس حرمانه عطف الاب وحنــان الام اقطار نفسه مرارة ، وغمر سحر الطبيعة وجمالها حناياه اشراقا ، ومنحته لقاءاته مع الكيخوتي والف ليلة وليلة دنيا من الرؤى والاحلام ، فجاشت نفسه بالف نغمة معذوبة ، تدفقت شعرا رائعا من حنجرته ... وهكذا بدا صوت الطفل الاسمر روبن يرتفع بغناء ملذ حلو كعصفــور يغني على اعالي الدوح .. وارتفع الصوت وارتفــع ، واصغت ليون ، وطرب الامزون ومغاني نيكاراكوا .. ثم اصغت امريكــا ليصغي بعدها العالــم .

يتبــع

تطـوان ــ حسن الوراكلي

عمليات السبر

أو مفحصة القرن العشرين

للأستاذ : عبد اللطيف خالص

- 3 -

اشرنا في الجزاين الاولين من هذا البحث الى ظهور عمليات السبر الى الوجود كما تعرضنا للاهمية العظمى التي اصبحت تكتسيها هذه العمليات بعد التطورات السياسية والاقتصادية والثقافية التي عرفها العالم كنتيجة حتمية للتقدم العلمي والازدهار الصناعي والرقي العمراني.

وقد بينا في المقالين السابقين المواضيع التي اصبحت عمليات السبر تشتغل فيها والتي يمكنها ان تهتم بها في المستقبل كما اوضحنا ان هذه العمليات تشمل الميدان السياسي كما تهتم بالنشاط الاقتصادي والعمل التجاري. ونامل ان نعمل في هذا الجزء الثالث والاخير على توضيح بعض الجوانب الفنية التي تحيط بهذه العمليات وعلى التعرض الى بعض الاجوبة عن الاسئلة المهمة التي وردت في الجزء الثاني من هذا البحث الذي لا يعدو طور ترجمة حرة تصرفنا فيها بكل حرية ونزاهة بعد قراءة دقيقة الابحاث التي نشرتها السيدة ايلفير دوبرياك الخبيرة الكبيرة بمثل هذه العمليات الفنية، كما سبق ان اشرنا الى ذلك في مقدمة، الجزء الاول.

ان ميدان هذه العمليات قد عرف توسعا لا حدود له، كما شاهد انطلاقا يضيق عنه الحصر حيث اصبح من الجائز ان لم يكن من الضروري تطبيق طريقة السبر في ميادين مختلفة، وقد يكون من بواعث الدهشة ودواعي الاستغراب ان يحاول الخبراء الفنيون تطبيق هذه العمليات لاحياء العهود الغابرة والازمان السالفة. او ليس فيما يحاول القيام به اليوم المعهد الوطني للدراسات الديمغرافية من كتابة تاريخ سكان فرنسا منذ القرن السابع عشر ما يبعث على العجب ويدعو الى الاستغراب ؟ لقد ابى هذا المعهد الوطني الا ان يحيي تاريخ الشعب الفرنسي ليعرف كيف كان موقفه في مختلف المراحل الهامة التي قطعها في حياته الى الان. واذا كانت العملية الحالية لا تهتم الا الحقبة الخاصة التي تبدا بالقرن السابع عشر الى القرن العشرين فان نجاح المعهد سيساعده ولا شك على القيام بعمليات اخرى قد تدور حول التاريخ الفرنسي في القرون الوسطى بل الى ما قبلها وترمي هذه العملية الى جمع مختلف السجلات الموجودة في بعض المقاطعات التابعة للكنائس لتكون منها نماذج ممثلة للشعب الفرنسي في عهد من العهود.

ومتى تم جمع هذه السجلات وتكوين هذه النماذج فستسلط على هذه النماذج الاضواء الكفيلة بكشف حقائق ميول الشعب الفرنسي واتجاهاته لان كل نموذج من هذه النماذج سيكون مثالا حيا لطبقة معينة من طبقات المجتمع الفرنسي ؟ وقد تتم معرفة البيئة التي تعيش فيها والوسط الذي يمثله من خلال حياته الخاصة ومواقفه ازاء الاحداث التي كان الشعب الفرنسي مسرحا لها في تلك الحقبة المعينة من الزمن.

ويمكن استعمال طرق السبر كالة للتدقيق واداة من ادوات التحديد. فقد يمكن معرفة احد المجتمعات

بواسطة عملية السبر اكثر من معرفته بواسطة الاحصاء الذي تنظمه الدولة وتشرف عليه منظمات وجمعيات ومؤسسات كبيرة العدد . ويرجع ذلك لعدة اسباب اهمها ان الاحصاء لا يكون صحيحا مائة في المائة ، ثم ان الاحصاء يتطلب ان تكون الامة التي يجري عليها تعرف القراءة والكتابة ولا يرى فيها اثر للامية التي يعسر معها كل بحث نزيه مستقيم صادق ، كما يتطلب الاحصاء ادارة قوية كل اعضائها وموظفيها من قدماء العاملين الذين حنكتهم التجارب واكتسبوا خبرة واسعة وطريقة ادارية قويمة . وبما ان الشعوب النامية لا تتوفر على هذه الشروط الاساسية فان عمليات السبر اليق بها واحسن اذا ما سمحت بذلك لجماعة من الخبراء والفنيين ووضعت حدا للارتجال والفوضى اذ يكفي انذاك اختيار نماذج معينة في اقاليم جغرافية محددة واجراء عملية سبر دقيقة على هذه النماذج .

وقد سبق ان قلنا بان عمليات السبر لا تتطلب من النفقات ما يتطلبه الاحصاء العام الذي لا يمكن الاستغناء عنه باي وجه من الوجوه ولكن عمليات السبر يمكن ان تجري في قضايا معينة بل من الممكن استعمال طريقة السبر لمراقبة بعض الطرق الاحصائية الاخرى . وتسمح طرق السبر بالوقوف على بعض المميزات الخاصة بالاشخاص الذين وقع الاختيار عليهم كنماذج حيث يتمكن المشرفون على هذه العمليات من جمع معلومات دقيقة وبيانات وافية عن كل شخص وبالتالي عن الوسط الذي يمثله .

وهكذا فعند القيام ببحث في قضية الاستهلاك مثلا يمكن ان تعرف المميزات الخاصة بكل عائلة وان نقف على معلومات دقيقة فيما يخص اقامة هذه العائلة والناحية التي تقطن بها ومدخولها والوسط الاجتماعي الذي تنتمي اليه ومهنة اب العائلة وعدد افرادها وتجهيز البيت وسيارة العائلة والات الطبخ والادوات الكهربائية المستعملة في العائلة مع بيان ثمنها ووقت شرائها والنفقات التي صرفت قبل الشروع في عملية السبر . ونضرب لذلك مثلا اخر : فقد اشرف المعهد الوطني للاحصاء والدراسات الاقتصادية على عملية سبر خاصة « بميزانيات العائلات » وقد اتضح من خلال نتائج هذه العملية دخل العائلة ومبلغ نفقاتها في كل فرع من فروع الميزانية كما سمحت هذه العملية بمعرفة الامال التي يتوقع افراد العائلة تحقيقها من حيث التجهيز العائلي في الامد البعيد والقريب وتاثير شكل تركيب العائلة وعمل المراة على مستوى الحياة ومبلغ ما يفعله المستوى الثقافي والتعليمي في العائلة وما هذا السيل من المعلومات والبيانات الا احد الروافد التي لا يمكن ان يتوفر عليها رجال البحث الاجتمعي الا بواسطة عمليات السبر التي تساعد على انجاز تحليلات تبلغ الغاية في الدقة والتحديد وتفيد في وضع كل تصميم عام .

الابحاث المستمرة

ليس السبر اداة من ادوات التحديد والدقة فحسب ولكنه وسيلة للوصول الى معارف وءاراء ومواقف ،ذلك ان الباحث السابر اذا طلب من الموظفين في دولة من الدول متى يرغبون في التمتع بحق التقاعد فانه سيتوصل الى راي خاص واذا سال عن الوقت الذي ياخذون فيه التقاعد فانه سيصل الى واقع ملموس .

ان عمليات السبر تاتي في مختلف الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية بنتائج ايجابية رغم انها لا تتعدى كونها لقطة من لقطات عدسات المصور اخذت عن حالة معلومة او قطعة من قطع الراي العام او رقعة من رقاع مجتمع من المجتمعات سواء كان الامر يتعلق بجماعة محدودة من المستهلكين لمادة من مواد الاستهلاك او كان الامر خاصا بمجموع السكان في اطار وطني عام ولعل هذا ما يجعل هذه العمليات تتجدد كما تتجدد عدسات المصورين كلما حل ضيف كريم او حدث حادث وطني هام حيث تبقى هذه الابحاث مسترسلة مستمرة متعاقبة الواحدة تلو الاخرى بغير اعتبار لا للعدد ولا للعدة المطلوبة . وقد استطاع المعهد الوطني للراي العام في فرنسا ان ينظم عمليات سبر متواصلة حول شعبية الجنرال دوكول منذ سنة 1959 كلما مرت شخصية الرئيس الفرنسي بمرحلة سياسية مهمة ليعرف ما يعتري هذه الشعبية من نقص وما يلم بها من مظاهر المحبة والتقدير والاجلال منذ ان اعلن الرئيس الفرنسي مبدا حق الشعب الجزائري في تقرير مصيره وفي فترة طغيان الغلاة الاستعماريين عند ما وضعوا الحواجز وقبل المفاوضات الجزائرية الفرنسية الاولى في مولان ومحاولة الانقلاب الذي نظمه القادة الفرنسيون المغالون في الجزائر ضد حكومة الجنرال دوكول سنة 1961 وعند

اعلان وقف القتال في الجزائر والانتخابات التشريعية واضراب عمال المناجم بالرغم من دون الجنرال الفرنسي كان يريد ان يعزز نفوذه ويقوي شعبيته باجراء استفتاء كلما احس بتضعضع مقامه وتزعزع هذه الشعبية التي لا يبغي دوكول بها بديلا

ويمكننا بفضل عمليات سبر الراي العام ان نعرف ان 24 في المائة من سكان فرنسا كانوا يكونون رايا حسنا عن الولايات المتحدة الامريكية في سنة 1956 وان 20 في المائة من الفرنسيين كانوا لا يرون بعين الرضى هذه البلاد بينما كانت نسبة الراضين عنها في سنة 1960 44 في المائة ضد 12 في المائة وقد ارتفعت نسبة الراضين 1964 الى 52 في المائة ضد 6 في المائة

وينظم المعهد الوطني الاحصاء والدراسات الاقتصادية مرتين في كل سنتين عملية سبر في موضوع الشغل ومرتين في كل سنة ابحاثا حول نوايا بعض الافراد في الشراء ومرة في كل شهر وثلاث مرات في كل سنة عمليات سبر رؤساء المعامل ومديري الشركات في موضوع الافاق الاقتصادية .

وقد تكون في الميدان الحر بفرنسا جماعات من المستهلكين والتجار تقوم بعمليات سبر مستمرة على نماذج معينة دائمة لا تتغير ، تتركب من اشخاص توجه لهم الاسئلة في كل مرة لصالح زبناء يبيعون القهوة او السكر او الصابون او غيره من مواد الاستهلاك العادية .

ومما لا ريب فيه ان هذه الابحاث المستمرة الدائمة مفيدة جدا ولكنها مع ذلك لا تخلو من ضير ينقص من قيمتها ويضعف صلاحيتها وهذا الضير هو ارتفاع ثمنها وهو ما يمكن ان نفسر به نسبيا قلة تطبيقها واستعمالها في عدد من الاقطار بخلاف البلاد الاشتراكية التي تقبل عليها اقبالا عظيما حتى اصبح اصحابها يتوفرون في الاتحاد السوفياتي مثلا على وسائل عظيمة واعتمادات مهمة حيث يجري بحث مستمر على مائة الف عائلة ، ومما يساعد على الوصول الى ملاحظات قيمة كثيرة ان نظام الاقتصاد في الاتحاد السوفياتي مركز وتابع للدولة الشيء الذي يسهل مامورية الباحثين وييسر مهمة السابرين .

الاسس والطرق

تتجلى مشكلة الاسس عند القيام بعمليات السبر اذ من الواجب الشروع في القرعة الرياضية ابتداء من لوائح معروفة ، ان المعهد الوطني للاحصاء والدراسات الاقتصادية في فرنسا يتوفر على مرتبات ادارية تتجدد في كل وقت حتى تكون ملائمة لكل ظرف وحين وحتى يتمكن من استعمالها لاجراء القرعة الرياضية عند كل عملية للسبر ولكن المؤسسات الحرة لا تتوفر على هذه المرتبات الادارية فكيف يمكنها ان تواجه المشكل : فمراجعة اللوائح الانتخابية في الاطار الوطني لا تخلو من صعوبات لان هذه اللوائح تحتوي على عدد من الاخطاء والاغلاط وهي لا تستطيع ان تعطي اي بيان عن الافراد الذين لا زالوا دون الواحد والعشرين من عمرهم كما ان التوصل الى الوقوف على هذه اللوائح ليس في تناول الجميع وفي سائر الاوقات وقد يسهل في بعض الاحوال الى حل مشكلة الاسس اذ يمكن للمشرفين على عملية سبر في موضوع يتعلق بالسيارات ان يقفوا على مرتب البطاقات الرمادية التي تتوفر عليها عامة نقابة صانعي السيارات . ومن المعلوم ان في مستطاع الجميع ان يحصل على مرتب البطاقات الرمادية ، واذا ما كانت عملية السبر تتعلق بهيئة الاطباء فان في امكان السابرين ان يطلعوا على دليل هذه الهيئة

ولكن عمليات السبر لا تتوقف على اسس العمل وادواتها وحدها ، فكيف يتم اجراء هذه العملية بعد التوفر على الاسس والادوات الضرورية ؟ وكم تستغرق مدة البحث ؟ وما هي الطريقة المتبعة للوصول الى نتائج صحيحة لا يشوبها تزوير ولا يحيط بها غلط ؟ سيكون الجواب على هذه الاسئلة عبارة عن اقصوصة صغيرة لا تزيد على بعض السطور .

يبدا الامر عند ما يتقدم شخص معين ليطلب من احد هذه المعاهد القيام ببحث في موضوع محدد حيث يشرع المعهد بمجرد حصول الاتفاق بين الشخص والمسؤولين عن المعهد ، في وضع الخطة العامة واحكام المسطرة وتحضير كل ما تحتاج اليه العملية من ءالات وادوات . واول ما يشرع فيه المعهد الفني هو تحديد الاسئلة التي ستكون محور البحث ووضع تصميم لعملية السبر واختيار النماذج التي سيجري عليها البحث ،

بعد هذا التحضير الضروري ياخذ المعهد في اجراء اسئلة من الاستجوابات مع الاشخاص الذين اخذهم كنماذج لعملية السبر الى ان يستقصي سائر الاشخاص ويقوم المعهد بجمع هذه الاجوبة لبحثها واستغلالها من الناحية الميكانوغرافية ثم يتخلص الى مراقبة النتائج التي تتطلب مزيدا من الانتباه والحزم حتى اذا ما انهى المعهد هذه المرحلة الاخيرة استدعى الشخص الذي طالب باجراء عملية السبر ليسلمه النتائج ويناقش معه في فحواها ومغزاها .

وكثيرا ما يحصل الاتصال بين بعض العمليات الشيء الذي يؤدي الى تعاون وثيق بين مختلف معاهد السبر الرسمية منها والحرة وهكذا فان مركز البحث الاقتصادي جمع الوثائق الخاصة بالاستهلاك وهو المركز التابع لمندوبية التصميم في فرنسا يضطر في كثير من الاحيان الى التعاون مع المعهد الوطني للاحصاء والدراسات الاقتصادية في مختلف مراحل عدد كبير من الابحاث وعمليات السبر ؟ وقد يقوم معهد حرفي بمساعدة معاهد تابعة للدولة في مرحلة استخلاص النتائج اذا كان المعهد التابع للدولة لا يتوفر على آلة ميكانوغرافية ، وقد تفرض المواضيع المتعددة على بعض المعاهد استغلال مواهب كثير من الفنيين والخبراء على اختلاف تكوينهم ومراتبهم ، وهكذا فان المعهد الوطني للدراسات الديموغرافية يشغل عددا كبيرا من الرياضيين والاطباء الاحصائيين والمؤرخين ورجال الاقتصاد والاجتماع وعلم النفس الاجتماعي .

ومن هؤلاء الباحثين من هم ملحق بصفة رسمية بالمعهد يعمل فيه طول يومه بصفة متواصلة لا تعرف الانقطاع ، ومنهم من يعمل بصفة موقتة كمساعد لمعهد ما في بحث معين وفي موضوع يكون للمساعد الموقت خبرة كبيرة به وتجربة قوية والماما عظيما . والمشرفون على هذه العمليات لا يلجأون الى اجراء هذه الابحاث عن طريق المراسلة الا في بعض الاحيان لانهم لا يستطيعون عدد الاجوبة التي قد يتوصلون بها . ولكل معهد من المعاهد المذكورة طريقته الخاصة في توظيف رجال البحث وتكوينهم التكوين الفني اللائق ومراقبتهم ومراكز عمل هؤلاء الباحثين الذين يكونون في بعض الاحيان مراسلين في مختلف جهات العالم وفي كثير من الاقاليم الفرنسية لان بعض الابحاث تتم في مائتين او ثلاث مائة بقعة ما بين مدينة وقرية ومدشر ، وتعمل بعض المؤسسات الاحصائية الفرنسية مع مساعدين لها بالخارج ، كما تستغل في بعض الاقطار النامية باحثين من سكان الاقطار بمساعدة بعض الخبراء الفرنسيين الذين يوجهون هؤلاء الباحثين المحليين ويرشدونهم ويدربونهم على الطريقة التي يتعين عليهم اتباعها تلك الطريقة التي لا يتم تحديدها الا في معاهد باريس وكذلك في كل ما يتعلق باستخلاص النتائج فان انجازه يتم في المؤسسة المركزية .

ومن الطبيعي ان يحدث اختيار النماذج التي يجري عليها البحث بعض الصعوبات لان من الضروري ان تكون تلك النماذج ممثلة للوسط الذي يتم فيه البحث حيث تكون تلك النماذج المختارة عبارة عن صورة مصغرة مجموع الطبقات التي تنتمي اليها تلك النماذج التي لا يمكن تحديدها الا بطريقة عملية واحدة تقضي باجراء القرعة الرياضية . وتنقسم القرعة الى نوعين :

1) القرعة « النصيبية » وهي عبارة عن قرعة لا تكون صحة نتيجتها اكيدة لانها ترمي الى اعطاء كل نموذج للسكان الذين يجري عليهم البحث « نصيبا » وحظا في السؤال ، ولا تتم هذه القرعة الا على اساس سبر لائحة تحمل اسماء جميع السكان الذين يتكون منهم الوسط الذي هو موضوع البحث والدرس .

2) القرعة « المحتملة » وتوجد طرق متعددة لتحسين فعالية هذه القرعة دقيقة اذا كان يسود الانسجام التام الوسط الذي يجري فيه البحث وكان النموذج مهما جدا لان الشيء الذي يعتبر في الواقع هو عدد الملاحظات التي يتوصل اليها لا نسبة المشاركين في عمليات السبر .

وكيف كانت عملية السبر فانها تتطلب مزيدا من الحذر والحزم في مختلف المراحل فتحرير الاسئلة يفرض كثيرا من الانتباه لان كل سؤال ناقص او يكتنفه نوع من الغموض سوف ياتي بنتائج مخالفة لما كان منتظرا كما ان توجيه سؤال الى الناس في موضوع لا يهمهم لا من قريب ولا من بعيد قد يجعله يفقد محتواه اللهم الا اذا كان المقصود من توجيه السؤال اليهم هو اظهار جهلهم وعدم توفرهم على اي رأي في الموضوع

النقاد ورجال الذوق . والفيلسوف وان كان هو ايضا ينطلق من التجربة الانسانية المباشرة ، الا انه يتخذها اساسا للارتفاع الى التصورات التجريدية والافكار العامة . فهو بخلاف الشاعر لا يهمه من التجربة طابعها الفريد الشخصي الملموس الكثيف ، بل هو يستخلص منها ما يمكن ان يعمم ويكون حقيقة شمولية ، ثابتة . فهو لا يأخذ الواقع كما هو ، وانما يحلله الى اقصى ما يستطيع حتى يستخرج كل عناصره مميزة ومحددة. وهو لا يمكن ان يقوم بهذه العملية التحليلية دون ان يقتل الواقع الحي الذي يستقي منه تلك العناصر . فان اراد ان يعيد بناء العالم فى عملية تركيبية جديدة ، فانه فى الغالب يبتعد عن تلك التجربة المباشرة التي نعيشها باستمرار وسط الحيز الذي يشملنا، واقرارنا بهذه الحقيقة ليس معناه اننا نعتب على الفيلسوف موقفه او ننتقد خطته واتجاهه ، وانما هو فقط توضيح موضوعي للمنهاج الذي يتبعه الفيلسوف فى عمله والذي من الطبيعي ان يختلف عن منهاج الاديب او المؤرخ او الشاعر . وسيطول بي المقام لو اردت ان اشرح هذه النقطة بما يجب من الايضاح والتفصيل . وانما اكتفي بان اقول ان الفيلسوف يسعى بمجهوده الى ان يستجيب الى هذه الرغبة الكامنة فى نفوسنا وهي تطلعنا الى فهم الكون ككل متماسك وادراك قانونه الاساسي الذي يسير عليه ، بالاعتماد على قوتنا العقلية . فهو ، اذن ، لن يقنع بهذه التجربة المباشرة المتواضعة وانما سيوغل من ورائها الى آفاق بعيدة ، ولذلك ، فان تعبيره سيتأثر بهذه المهمة الشاقة وسيتجرد من كل صبغة ولون وزينة ليؤدي الحقائق التجريدية التي يتوصل اليها ، وهكذا فان اتجاه الفيلسوف يختلف تماما مع اتجاه الشاعر وان كان الاثنان يلتقيان احيانا فى بعض الوقفات والنظرات ، لانهما فى عمق الاشياء ينسجان من خيط واحد .

فاذا عدنا الآن الى التعبير الشعري الذي هو موضوعنا اساسا ، فاننا نجده يمتاز عن النثر الادبي والنثر الفلسفي بكونه لا يتجه بالخطاب الى ملكة منفردة فى ذهننا . فبينما يتراءى لك انه يخاطب العاطفة ، اذا بك تراه فى منحى آخر يتوجه الى العقل . والحقيقة انه يتجه الى كل ملكاتنا او بعبارة اوضح ، انه يخاطبنا ككل ، كخلية حية ، فكأنه يريد ان يمتلك لبنا ويشغل وجداننا وعقلنا الباطن ايضا ، فهو يسعى لكي يدمجنا فى الجو الذي يكيفه ويخلق بيننا وبين الشعور الجديد الذي يحمله الينا وحدة ننسى فيها ذاتيتنا ويتوقف فيها السير العادي لحياتنا النفسية. لذلك فهو لا يحترم هدوءنا وانطواءنا فى حالة نفسية نستكين اليها . ولا يكفيه ان يبلغنا معانيه وان تكون فهمناها واستوعبناها ، بل هو يقتحم نفسنا اقتحاما ويزلزلنا من مقعدنا الآمن ويعطل ذلك التوازن النفسي المصطنع الذي ركنا اليه والذي تنسد فيه كثير من نوافذ الوعي ليهتز بنا الى حالة روحية جديدة تخرج بنا عن الاحوال المألوفة والعادات الرتيبة ، انتقال مفاجىء تتغير فيه ابعاد نظرتنا الى الاشياء وينفتح فيه الشعور على عوالم كانت من قبل مجهولة ومغلقة . وسأكتفي هنا بأن اورد مثالا كلاسيكيا لاوضح فكرتي . لنقف لحظة مع دالية المعري المشهورة .

غير مجد فى ملتي واعتقادي نوح باك ولا ترنم شادي

السنا نشعر كلما قرأنا هذه القصيدة بتمعن ان كل ما في نفسنا يتغير وان الزاوية التي اعتدنا ان ننظر منها الى الاشياء قد توارت وراء زاوية أخرى نبتت مع الشعور الجديد الذي استشرى فى نفوسنا؟ ها نحن نخطو مع المعري نحو عالم الاموات ونشعر معه بهذا العبث ، عبث الاقدار ، الذي يجعلنا ندوس رفات الاجداد ونحن عاجزون عن صيانة حرمتهم لان اديم الارض كله من اجساد الهالكين على ممر الدهور والاعصار . واي سخرية هذه يصطدم بها خيلاء الاحياء وكبرياؤهم ! حقيقة مرة تمزق ذلك النسيج من الاوهام الذي اعتدنا ان نعيش من ورائه لكي لا نرى الواقع . وهكذا نسبح مع الشاعر فى تجربته ونرافقه الى النهاية لنجد انفسنا فى مكان بعيد عن وكرنا المألوف ، خطير بما يكشفه لنا وما نبلوه نحن من انفسنا امام آفاقه التائهة واسراره المجهولة . فالشعر الحقيقي كلما قرأناه فاحسنا قراءته يقذفنا دائما الى لحظات فريدة فى حياتنا لان ارواحنا تعيش فيها تحررا حقيقيا . وهذه مزية التعبير الشعري .

يقول الشاعر اميريكي « ارشيبالد ماكليش » : «ان الذي يميز الشعر حقيقة من الصحافة ، بغض النظر عن الفروق الواضحة فى الشكل ـ استعمالات الالفاظ واشكالها وتسلسلها ـ ليس فرقا فى النوع ، ولكنه فرق فى البؤرة ، فالصحافة تتعلق بالحوادث ، بينما يتعلق الشعر بالمشاعر . الصحافة تتعلق برؤية العالم ، بينما يتعلق الشعر بالاحساس بالعالم . الصحافة ترغب فى ان تحكي ما حدث فى اي مكان كأنه نفس ما حدث لكل انسان ، بينما الشعر يرغب فى ان يقول ما يجب ان يتحلى به كل انسان كأنه وحده الذي كان هناك بمفرده » .

منابع الشعر وحقيقة الشاعر

للأستاذ : محمد زنيبر

- 3 -

وصلنا الان فى تحليلنا الى مرحلة بدات تظهر لنا فيها ضرورة التعبير الشعري. ولعل كلمة الضرورة لا تؤدي تماما وبكل تدقيق المعنى الذي نريد . فهو ، بالطبع ، ليس ضرورة بالنسبة للحاجيات الاولى للانسان ولكنه ضرورة بالنسبة للطموح الحضاري الذي حمل معه الانسان منذ بداية التاريخ . فلقد خرج الانسان الى الوجود وهو يحمل الى جانب حاجياته البيولوجية التي يشترك فيها مع الحيوان ، ارادة فطرية تدفع به الى الخلق والابداع والبحث عن الاسرار والتنقيب عن المجهول . وهذه الارادة التي ترتفع به عن المستوى البيولوجي البحت ، فيها تتجسم ماهية انسانيته . وفى هذا المستوى الانساني تبرز ضرورات اخرى لابد من التسليم بها وتقديرها حق قدرها اذا اردنا الابقاء على القيم الانسانية .

والتعبير الشعري هو من هذه الضرورات التي يصادفها الانسان فى طريقه حينما يريد ان يقوم بدوره الطبيعي فى عالم الخلق والابتكار . فهو يدرك بالممارسة والتجربة ان مكانه لا يعوض وانه ليس مجرد شكل بدون مادة يمكن تحويله والتصرف فيه دون ان يتغير شيء مما ينطوي فى عمقه . بل انه جوهر قائم بذاته، له واقعه الخاص به الذي لا يمكن الفصل فيه بين المادة والشكل .

وكل هذا يظهر بكامل الوضوح حينما نقارن بين استعمالات اللغة فى ادوارها المختلفة ، ولنترك جانبا دورها كاداة ضرورية فى الحياة اليومية والعلاقات الاجتماعية لنركز انتباهنا فى ميادين الابتكار الفكري ، فهنالك النثر الادبي الذي يرتفع عن التعبير السوقي والعامي دون ان يبتعد فى معانيه عن الافهام المتوسطة .

وهو يقف فى مركز وسط يخاطب العقل كما يخاطب الشعور ويكتفي بان يجعلنا نلمس الاشياء دون ان يوغل فى دخائلها واعماقها . غايته ان يعرض ويفسر ويوازن ويناقش دون ان ينسى ان له اناقة ورونقا يجب أن يحافظ عليهما ودون أن يخل بواجب الدقة فى التعبير واختيار الالفاظ الصالحة لذلك . واذا استثنينا النثر الخطابي الذي قد يحتدم فيه الشعور الى ابعد مدى ، فانه فى الغالب يخاطب العقل الهادىء والعاطفة الرصينة ويتجه الى الذكاء. نعم ، انه متنوع فى اشكاله وصيغه ونبراته ، مما يجعل تحديده ، فى الواقع ، من أصعب الاشياء . ولكنه ، على وجه العموم ، يقوم بدور الرفيق الهادىء المتزن لحياتنا العقلية ، يسامرنا ويحدثنا ويقص علينا ويعرض علينا الاشياء فى اوجهها المختلفة وصورها الطريفة . وهذا لا يمنع بالطبع ، ان تكون بعض الوان النثر متداخلة مع الشعر كما نجد ذلك فى صفحات كثيرة لكتاب مشهورين من امثال « شاتوبريان » و «نيتشه» و « جيد » وغيرهم . وفى نظري أن مثل هذا النثر يجب اعتباره شعرا ، لان الصياغة الشكلية لا ينبغي أن تأخذ هنا اكثر مما تستحق .

وهنالك النثر الفلسفي الذي ينبني على الالفاظ المحددة وعلى المعاني المعقولة ويستند الى منطق دقيق فى عملياته ، صارم فى قوانينه . وهو ، اذا لم يكن له بد من ذلك ، يقدم الدقة فى التعبير على اناقة الاسلوب وجمال الصياغة ، لانه ملتزم بان يكون صورة للحقيقة كما تتراءى له بدون زيادة او نقصان . فالمقام لا يقتضي اي تهذيب او تشذيب او تجميل . وكل هذا انما يعني فى النهاية انه وسيلة وليس غاية فى نفسه ، وذلك بخلاف النثر الادبي الذي يستوقف

وكذلك الامر عند توجيه سؤال في بعض الميادين التي يعتقد سلفا ان الجواب عليها لن يكون صريحا ولا يفيد في اي شيء . وهكذا فقد يكون من خطل الراي التفكير في اجراء عملية سبر في موضوع سياسي في عهد هتلر .

اما اذا اخذ احد الباحثين في الجواب بنفسه على الاسئلة التي كلف بتقديمها الى اشخاص معينين عن طريق القرعة ، او لم يحترم تصميم النماذج فان هذا سوف يؤدي به الى نتائج غير محمودة لان الاجوبة ستكون غير صحيحة رغم ما قد يبذله هذا الباحث من التحري عند الجواب ولعل هذا ما جعل سهر المسؤولين عن المؤسسة المكلفة بالبحث مفروضا عند اجراء عملية السبر لانهم بمراقبتهم المباشرة يساهمون في اظهار الحقائق وابعاد شبح التزييف والتزوير .

ومن الواجب عند استقصاء النتائج واستخلاصها وتحليلها ان يتجنب الباحثون ذكر ما يرغبون فيه هم انفسهم لا ما جاء في اجوبة النماذج التي كانت هدف البحث لان الذين ينظمون عمليات السبر هذه لا يريدون ان ياتوا بنتائج موحاة او مبتكرة وانما يحاولون من خلال تحليل حالة معينة او وضعية معلومة ان يخرجوا بالحلول التي استخلصوها من النتائج حتى يعلم الذين طالبوا باجراء هذه الابحاث حظوظ مشاريعهم من النجاح او الفشل ، ومما لا ريب فيه ان الاحصائي لا يتوقع اشياء مجهولة ولكنه يعتمد على ارقام محددة ليبتكر تخمينات محكمة وتقديرات قريبة من الواقع مستندة على شروط يضعها على ضوء هذه الارقام . فاذا ما حصلت زيادة 3 في المائة في الدخل المعد للاستهلاك مع بقاء المساواة في توزيع المواد فان بيع السيارات سيزداد بوحدات مقدرة .

وخلاصة القول فان في الامكان اعتبار عمليات السبر بمثابة شكل عصري الديموقراطية المباشرة فلماذا لا تلغى الانتخابات والقيام بعمليات السبر في جميع القضايا التي يتعرض لها الوطن والمواطنون ان تعويض الانتخابات بعمليات السبر غير ممكن لان هذه العمليات لا تخلو من خطا قد يؤدي هذا الى جدال عنيف عند اعلان النتائج ، كما ان الاحوال النفسانية التي يتم فيها اختيار النموذج التي تلقى عليها الاسئلة يكتنفها نوع من التكلف والتصنع ، ويجب ان لا يغيب عن اذهاننا ان عمليات السبر لا يمكن اعتبارها اداة لاتخاذ قرارات حاسمة . ان التصويت مهمة اجتماعية نبيلة لها معالم محدودة تقضي بتسليم السلط الى شخص معلوم يصبح نائبا عن جميع الذين كلفوه بالدفاع عن مصالحهم وعن شؤونهم وهذا ما يجعل من العسير على عمليات تعويض العمل المباشر ولكن هذه العمليات ذات فوائد جمة وروافد عديدة اعظمها انها تفضل النفسية البشرية والميزان الرياضي على الجهل والتخمين وما احسن اعتبار النفسية وتقدير الميزان الرياضي في طريق العلم والمعرفة .

وعلى كل حال فقد استطاعت عمليات السبر ان تفرض وجودها في مدة قصيرة كما تمكنت من اظهار فعاليتها وجدواها في وقت قريب ، وقد كانت الدول المتقدمة اول من استغلها كما اخذت الشعوب النامية ترنو اليها نظرا لما تحمله من خصائص وما تتحلى به من مميزات كصلاحيتها في مختلف الميادين وقابليتها لاعطاء احسن النتائج والسرعة العجيبة التي تمتاز في مختلف المراحل . وليس قصدي من هذا العرض دعوة المسؤولين في الدولة والمشرفين على القطاعات الرسمية والحرة وعلى الدور التجارية والشركات الصناعية والمنظمات الاقتصادية والاجتماعية والهيئات السياسية والثقافية الى استعمالها وانما قصدي من ترجمة هذا البحث ووضعه وعرضه على انظار الطبقة الواعية في بلادنا اطلاع جميع طبقاتنا الاجتماعية على هذا النوع الذي لا زال يعتبر وليدا في ميدان الاحصاء والذي اصبح الان بمثابة الاساس الاول والشرط الاساسي في نجاح المشاريع الاقتصادية والمنتوجات الصناعية . وما اجدر بلادا تسعى لتثبيت دعائم اقتصادها وتدعيم اركان صناعتها العصرية والتقليدية ان تعتمد على مثل هذه العمليات حتى لا تموت في مهدها وحتى لا تذوق مرارة الفشل والخيبة قبل ان تشق طريقها .

الرباط : عبد اللطيف احمد خالص

ويقول ايضا : « ان القصائد العظيمة ادوات للمعرفة — المعرفة التي تنقل حية الى داخل القلب عن طريق العاطفة لكنها تبقى معرفة رغم هذا » .

وبالجملة ، فنحن اذا اردنا ان نصور مزية التعبير الشعري بايجاز ، نقول انه هو القادر وحده على اداء ما يعجز عنه النثر الادبي والتعبير الفلسفي

* * *

في سلم القيم الجمالية ، نجد الشعر ينزل في القمة ، لانه هو الذي يستطيع وحده ان يتيح لنا هذه الفرصة النادرة ، فرصة الحضور مع الشاعر في تجربته المباشرة كما تبرز من نبعها الاول خالصة من كل تصنيع . ونحن نعيش معه تلك اللحظة من التاثر التي تمتاز بغرابتها وطرافتها وابتعادها عن المشاعر المبتذلة ، فالشاعر عندما يتاثر لمنظر او مشهد او حادثة او فكرة وينقل الينا انفعاله في صورته الحية ، يحقق بالنسبة الينا القيمة الجمالية في منتهاها ، لان الانسان كما بين ذلك الفيلسوف الالماني « ماكس شيلير » في نظريته العميقة ، لا يتاثر ولا يهتاج الا من اجل شيء له قيمة حقيقية . وهذه القيمة فيما يخص الشعر مزدوجة : قيمة الشعرنفسه كفن وتعبير، والقيمة الكامنة في السبب الذي حصل من اجله التاثر ، ولن اطيل الكلام هنا على نظرية « شيلير » التي تحتاج وحدها الى دراسة مستفيضة . وانما استخلص منها هذه الفكرة التي تتصل بموضوعنا وهي ان الانسان لا يدرك القيم على اختلافها، ولا يشعر بوجودها الا في تجربته الانفعالية . فكم من اشياء لا ننتبه لمنزلتها بالنسبة الينا الا في حالة التاثر .

فالقيم لا يمكن تحديدها او تحليلها عن طريق الاستدلال او الاستنباط العقلي وانما هي تكشف عن نفسها كحقائق قائمة بذاتها وسط الانفعالات التي ترافقنا في حياتنا .

يمكن القول ، اذن ، ان الشعر ، الذي هو ترجمان عن تاثر الشاعر ، هو في نفس الوقت باب واسعة مفتوحة على عالم القيم ، فهو بهذا المعنى ، ليس فنا مجانيا يتجاهل وجود الانسان ووضعه في هذه الدنيا ، انه ، بالعكس ، يوعيه ويساعده على اكتشاف موقعه الميتافيزيقي وسط الكائنات ، ولربما ارشده احيانا الى جواب عن هذا السؤال الذي ما فتيء يلقيه على نفسه : لماذا اعيش وما معنى حياتي ؟

وليس معنى هذا ان الشعر سيقدم له حلا نهائيا لهاته المشكلة ولغيرها ، ولكنه على اي حال سيرفع في آن واحد المستوى الذي يوضع فيه السؤال على الضمير والمستوى الذي ينبع منه الجواب وفي هذا الوضع الخاص سيجد الانسان نفسه وهو يواجه مصيره امام حقائق الحياة في اوسع ابعادها واعمق مفاهيمها .

وبهذا المفهوم كان كبار الشعراء في القديم والحديث هم الذين يمثلون روح عصرهم اصدق تمثيل ويعبرون عن آماله وآلامه ويشخصون داءه الحقيقي . فالشباب الذين عاصروا « جوته » مثلا، كلهم كانوا يجدون انفسهم فيما كتبه هذا الشاعر العظيم . وما ذلك الا لان « جوته » استطاع ان يكتشف النغم الذي يعبر عن الشعور الدفين لابناء عصره ويتجاوب مع نفوسهم . والرومانسيون بدورهم امكنهم ان يصوروا ما سمي منذ ذلك الحين «داء العصر» اي ذلك الجرح الدفين الذي لا يمكن تعريفه ، لانه في كل مرة يتخذ صورة جديدة ويلازم الانسان في احوال كثيرة ، في عشرته للطبيعة ، في احلامه الغرامية ، في الذكرى ، في تمثل الموت . وهذا ما نجد له اصداء متنوعة فيما نظمه شعراء من امثال « بايرون » و« شيلير » و«لامارتين» و«فينيي» و«ميسه» . وقريب منا نجد « بودلير » يعبر عن نزعة جديدة تجاوب فيها مع جيله . ولا شك ان ذلك الجيل سئم التحليقات الرومانسية واحب ابناؤه ان يرجعوا الى الحياة الواقعية ، الى الحياة اليومية بخيرها وشرها بلذتها والمها ، بمغرياتها ومنفراتها ونشا عن ذلك ضرب من حالة شعورية تنتقل بين الاقبال على الحياة والرغبة في الهروب من واقعها. وكل ذلك ادى الى ظهور احاسيس جديدة واذواق طريفة . ولا زالت كل هذه المشاعر الجديدة ترن حية في شعر « بودلير » لانه عرف كيف يعبر عنها بعمق ومهارة فنية ورؤية شاملة ، فكان مرآة لكل النفوس وناطقا عن كل القلوب .

فالشاعر ، اذن ليس ، كما يعتقده جمهور واهم من الناس ، هو ذلك الرجل الشاذ المنعزل ، المبتعد عن الواقع وعن المجتمع ، بل انه اكثر حضورا من غيره في زمانه واقوى ملابسة للحياة واعمق تجربة. وهذا ما جعله في الماضي والحاضر قمينا بأن يكون خير شاهد عن عصره ونقطة اشعاع في جيله ، ومكنه في بعض الاحيان من ان يكون رجل عمل وقيادة وزعامة

نعم ، هنالك شعراء يعيشون في ابراجهم العاجية ولا يتكلفون المشي على الارض ، وافقهم ينحصر في حدود حياتهم الشخصية وفي ما يستجيب الى رغباتهم البسيطة ، فهم يعيشون في عالم مغلق لا يسألون ولا يسئلون ، ولا يكلفون انفسهم اي جهد في الاطلاع على ما وراء دنياهم الضيقة المقفرة . وتراهم يخرجون الالفاظ من قوارير مختلفة الاحجام والاشكال ، يصبون من هذه ومن تلك ويمزجون الكل حتى اذا ساغت في مذاقهم وزهالونها في اعينهم ، قدموا القصيدة للجمهور كما تقدم حلوى العيد : سميد وسمن وسكر وماء زهر ، ولكن اسمحوا لي بان اقول لكم ان هؤلاء الشعراء ليسوا بشعراء . سموهم ، اذا شئتم سحرة او كهنة او بهلوانيين ، سموهم عابثين او لاعبين ، ولكن لا تسموهم شعراء .

واذا اردنا حقيقة ان يكون لدينا شعراء مجلون ، فيجب ان نقتنع بصورة نهائية ان للشعر منزعا عاليا في التزامه وفي صلته بالانسان وفي استشرافه الى الجمال . الشعر ليس الفاظا مرصوفة ولا عبارات منمقة . الشعر روح تفيض بالحياة وتهب الحياة .

هذه تأملات في موضوع الشعر اردت ان اعرضها عليكم عساها ان تكون مادة لمناقشة خصبة ومفيدة فيما بيننا وتساهم في تحديد الاتجاه الجديد الذي يجب ان نتبعه سواء كنا شعراء ام نقادا للشعر .

وكما رايتم لم يكن من الممكن ان الم بجميع الجوانب . وما زال الحديث عن الشعر تملا كؤوسه وتجدد دون ان تروى غلة الصادي وترد لهفة المشوق .

سلا — محمد زنيبر



النقد ، هل هو شيء يهابه الناس ؟ لم اسمع من قبل ، وربما من بعد : ان النقد امر يهابه «المثقفون» .

والواقع انها كانت خطة محكمة ضد النقد الادبي على صفحات هذه المجلة الغراء ، والممثلة للحركة الثقافية فى هذا البلد .

كنت انتظر من السيد رئيس التحرير ان يتخذ موقفا من دعوة الاستاذ ابن جلون ، ومسانده فى رايه الدكتور المحاسني ، ووقع ما كنت اتوقعه من الاستاذ رئيس التحرير حين عرض على الاستاذ غلاب تقييم العدد الاخير من السنة الثامنة من عمر المجلة المديد .. واحب هنا ان القي سؤالا على الاستاذ ابن جلون باعتباره رائد فكرة « واد النقد » اقول له : « هل سبق لكم ان قرأتم فى تاريخ قيام النهضات الثقافية فى طول الارض وعرضها ، ان نهضة ثقافية قامت فى بلاد ما من غير ان يكون الباعث فى قيامها حركة نقدية سليمة موجهة « بالكسر » ؟ ما اظن الاستاذ الكريم يخالف فى هذا ، وعليه ، فلماذا يعاكس فى هذه اللمحات الخاطفة التي يقوم بها اساتذة كرام فى محاولة اعطاء نظرة صادقة عن عدد من المجلة زاخر بالمعارف المتنوعة يحار القارىء العادي فى فهمها ، وبالتالي فى التوفيق بينها ؟ « من تفسير للقرءان الكريم ، والحديث الشريف ، الى دراسات اسلامية ، ومن هذه الى ابحاث متنوعة ، الى ديوان المجلة ، الى قصة السدد والانباء .. »

هذا ، واعلم ان مهمة الناقد صعبة وشاقة ، وخصوصا فى مجلة تفرض على ناقدها ان يعطيها نظرة كاملة عن العدد ، من الفه الى يائه ، وعلى هامش هذا اود صادقا ان الفت نظر التحرير الى ان هذا ان لم يكن فيه ظلم للناقد ، وللاثر المنتقد ، ففيه على العموم اجحاف واي اجحاف . لان النقد اختصاص قبل كل شيء . فكيف يتسنى لاستاذ مختص فى الدراسات الاسلامية ـ مثلا ـ ان ينتقد ديوان المجلة ؟

ثم هناك دعوة الدكتور المحاسني ـ وهو يعاضد الاستاذ ابن جلون ـ واعتقد ان حجته فى ذلك واهية من اساسها ، لانه اتى بدليل ينكره النقد نفسه !.. فاذا كان الدكتور قد حضر يوما فى مجمع يحاضر فيه «مخائيل نعيمة» وانه شاهد فى نهاية المحاضرة خصما لمخائيل يهاجمه بمبتذل القول وسخيفه ، فان ناقد نعيمة او مهاجمه ـ على الاطلاق ـ لا يمكن ان يتخذ نموذجا لكل النقاد ، واينما كانوا .. وقديما قال الفقهاء : النادر لاحكم له .

فنحن ، وان شاء الله ، وفى هذا الوطن ، وبفضل مثقفينا سنوجه حركتنا النقدية توجيها سليما خاليا من اهواء شخصية وحملات مضللة القصد منها «تحقير» الخصم والتشكيك فى ثقافته او شاعريته . الى هذا الحد ـ واستسمح القارىء ـ ادخل فى الموضوع ، او المعمعة التي كلفت قلمي خوضها . وقبل ان اقول قولا ليعلم القارىء عني اني اعرف ـ مسبقا ـ ان الحكم على اثار الاخرين ، والقول الفصل فيه شيء ليس بالامر الهين ، ولا بالسهل اليسير ، واعلم ـ سلفا ـ كذلك ان اطلاق الكلام على عواهنه ليس من النقد فى شيء ولا مما يليق بالنفس .. ولا حتى من حسن الادب « الخلق » ، وعلى هذا فساقول ما اعلم انه الحق ، والكمال بعد لله .

ابدا فاقول : الحركة الشعرية فى بلادنا بخير ، وتلمع بتباشير خير وبركة ! وان المستقبل خير بكثير من الماضي ، او من « مأساة الماضي » ان جاز التعبير ، ولعل للاستاذ كنون ولاشياعه فى الراي

رأيا ـ يخالف هذا .. اعتقد ان الصراع المذهبي الشعري في بلادنا على اشده ، كما اعتقد ان الغلبة ستكون بلا ريب للجديد ، وللجديد وحده ، ولا اقصد به الشعر الذي عماده التفعيلة الواحدة ، وانما الجديد باوسع معانيه : اي سواء كان في الشكل أو المضمون ، او هما معا .. وبعد ، وقبل . فالحكم «بالفتح» هنا هو المستقبل ..

ديوان المجلة هذه المرة زاخر جميل ، ولعله من احسن دواوينها منذ السنة الثامنة « العمر الجديد في حياة دعوة الحق» » وهو يحتوي على اربع قصائد ، شارك فيها كل من الشعراء ـ على حسب ترتيب الطبع ـ حسن الطريبق ، عبد المجيد بن جلون ، عبد الكريم التواتي ، عبد الكريم الطبال . للاول قصيدة « مع البحر » وللثاني « دمعة الشاعر » وقصيدة «الروض المهجور» للثالث و «اسطورة انسان» للاخير. وساحاول تقييم هذه القصائد على ما زعمته اولا من ان الشعر المغربي المعاصر في ازمة مذهبية خانقة ، وارى ـ ومن حسن المصادفة ـ ان لكل مدرسة نموذجا في الديوان ، تقريبا فقط ، والا فهناك مدارس اخرى من غير ان تكون لها نماذج في الديوان ، وسأتناول القصيدة على حسب التطور المذهبي والزمني للمدرسة التي تنتمي اليها .

اقدم المذاهب الادبية ـ نقصد هنا الشعرية ـ هي « الكلاسيكية » كما في التعبير الغربي . او «العتيقة» كما في الاصطلاح العربي .. والكلاسيكية شيء كان قائما يوما في دنيا الناس ، وانقضى زمنه ومات ، وهذا ليس بعيب في المدرسة ذاتها ، او في الشعر العربي القديم . لان هذا الشعر كان في يوم معاصرا لزمانه ومستجيبا لمعاصريه ولفترته وظروفه التاريخية .. اما ان نعيد نحن وفي القرن العشرين ، وبالضبط في نوفمبر 1965 للميلاد « خلق» هذا النوع من الشعر فهذا هو العيب ، بل العار .. القصيدة التي تمثل هذا ـ مع الاسف ـ هي للاستاذ عبد الكريم التواتي « الروض المهجور » ويا ليت لو كانت من « الكلاسيكية الحديثة » ، من طراز شعر شوقي وحافظ ، وخليل مطران .. فالاستاذ التواتي يبدأ قصيدته بالدعاء للدار ولاهلها . نعم . هكذا :

فردوس فاس وقاك الله ارهاقا
وطاب ربعك ايناسا ، واشراقا

بالله ، ماذا تقول في هذه النازلة التي نزلت بنا نحن اهل القرن العشرين ؟ لا ادري كيف يتسنى لانسان يعيش معنا ، ويرى ما نحن وما وصلنا اليه ، ثم لا يخجل ان ينطق بلسان من سلفوا ، وبمن طواهم الزمن ؟ ثم كيف يتسنى للقارىء ـ لقارىء الاستاذ التواتي ـ ان يوافق بين قوله للحلوي ، وبين شعره.. يقول صاحب « الروض المهجور » في مقام رده على الاستاذ الحلوي « دعوة الحق ـ العدد الثاني ـ السنة الخامسة »

يقول : « احب ان اقرر حقيقة .. اومن بها انا الى حد الهوس ، تلك هي ان الشعر العاطفي والانساني ليس انتاجا مستوحى من رواسب انتاج الاخرين ، كما انه ليس تعبيرا لما عليه الاخرون أو لما يريدونه ، ولكنه في نظري تعبير صادق حي كما يحسه الشاعر في اعماقه ، ويجده في اغواره ، ويومن به على انه الحقيقة الازلية ..»

ويقول : «.. في الناحية الشعرية ارى من واجبي ان اخلق لنفسي جوا خاصا لا اريد ابدا ان اخضع فيه لغيري لا من قريب ، ولا من بعيد ..»«!» .

العفو ، يا استاذ ، لقد خضعت اليه من قريب وبعيد ، ولا ابالغ ان انا قلت : اعدت علينا عهد « قفا نبك من ذكرى ..» . ثم اود ان اقول للاستاذ التواتي ما كان هو قاله لمناقشه : « لا اعتبر شعره ـ ك ـ الا صورة طبق الاصل لما لاكه المتنبي ، وابو تمام ، والبحتري مع احترامي لهؤلاء الاقطاب » وازيد على هؤلاء علما ءاخر : هو القطب الشيخ البوصيري!. واعود لاقول كيف يتسنى لقارىء شعر الاستاذ التواتي ـ ان كان شعرا ـ ان يوافق بين فعله ، وقوله ، بين شعره وآرائه في الشعر . لعل الاستاذ يريد ان يشعر ، وشيطانه يعاكسه !. فالذنب اذن ذنب الشيطان لعنه الله .. وان كان لابد من ان اقول كلمة في القصيدة التي كتبها الاستاذ ، فهي هاته : «الذي اعجبني في القصيدة عنوانها » ووفق الله الاستاذ في الآتي .

البحر هذا الموجود العظيم الهائل ، والزاخر بالحياة والموت ، هذه المتاهات من المياه .. البحر هذا القاذف بأمواجه ابدا الى الشاطىء ، بمائه الازرق ، وزبده الابيض الهش . الصامت آنا ، المصطخب احيانا .. هذا كله ، وغيره ، ماذا تراه يفعل في قلب الشاعر وعينه وحسه ؟ ذلك ما اراد ان يقوله لنا الاستاذ حسن الطريبق . فهل افلح ؟ يجدر بي ان اقول ان الموضوع قديم قدم الحركة الرومنسية في الادب العربي «الشعر» ، وان الازدواج ما بين الطبيعة والانسان شيء

احبه الرومنسيون ، وعليه بنوا مدرستهم .. وبعد كل هذا تبقى محاولة « التمزي » بمظاهر الكون موضوعا خالدا ، قديما حديثا ، والموضوع الفني لايبليه قدم العهد ، بل على العكس ، ان وجد القلوب العظيمة ، والخيال المبدع ، والاقلام الحاذقة الطيعة ازداد توهجا ونصوعا . ودليلنا على هذا عودة الشعراء المحدثين الى الاساطير الاغريقية ، والبابلية ... وكم من مواضيع للفن حديثة خصبة مرحبة مسخها المحدثون بشعورهم « المقبب » واقلامهم السخيفة ، ونحمد الله ان كانت قصيدة الاستاذ الطريبق من النوع الاول ؛ لكن في نطاق لاتتعداه . وان كان لي من طلب على الشاعر فهو ان يحاول — ارجوه — التخلص من هذه العواطف المبتذلة « المضوغة » بين فكي كل من هب ودب ، وأن يسمو بنفسه الى الاعلى شيئا حتى ينقذ نفسه مما قد يتورط فيه : « ان تدوسه عجلة العصر المسرعة » فلماذا مثلا هذه اللهجة الخطابية القديمة :

يابحر ، كم تهتاجني وتثيرني
زفرات قلبك حين تصطفق المياه
يابحر ، يامهد الخيال وسره
يا مقلة الاوهام ، يالغز الحياة

نعم انها كانت في يوم تثير الاعصاب ، وتوقظ كوامن الشعور ، اما اليوم ، فلا ، فللعصر موسيقاه ، وأسلوبه . ثم هذه الكلمة في البيت الحادي عشر « وانزعزت » ، فانها تصلح أن تكون في شعر « الحطيئة » اما في شعرك ... وفي الاخير نقول للشاعر رغم انك قلت انها كانت وقفة تختلف عن كل وقفة اخرى ، فانا نؤكد انها وقفة كغيرها من « الوقفات »

اما قصيدة الشاعر عبد المجيد بن جلون « دمعة الشاعر » فهي الاخرى لاتخرج عن مدار الرومنسية ، ومحورها محور القصيدة المتقدمة . الطبيعة . (سوف لا أتحدث عن الشكل) .

الشاعر البلبل المترنم للزهر ، للوجود ، النافث انفاسه في شبابته المسعورة . يخرج النغم منها ممزوجا بدمه ، وحرارة قلبه . أيها الشاعر غن ، واشد على ظهر كوكبنا الفقير الى الغناء والشدو و « انه معنى الاسى ياشاعري » . وهكذا يقضي الشاعر عمره في الغناء « للفجر الوليد » ، « للآتي وللأمس البعيد » تماما لافرق بينه وبين طائر سابح في روضة « يذرع العمر » يشدو ويهيم . الخيالات والرؤى هي كل ما يملك في دنيا الناس .

يقول « ديهاميل » الكاتب الشاعر الفرنسي في كتابه « دفاع عن الادب » ما في معنى هذا السؤال: ماذا يكون مصير العالم لو طرأ على الخزائن والكتب تلاف ، وتحولت كل الاوراق الى غبار تذروه الرياح ؟ ونحن نقول : ماذا يكون مصير العالم لو جف قلب الشاعر — بالخصوص — وخرس لسانه ؟

« دمعة الشاعر » كلام شعري جميل « بسيط » وفي هذا المعنى الاخير جاء توفيق الشاعر ابن جلون. وما احسبه يعرف « بالتشديد » الفن الا كونه شيئا جميلا بسيطا عميقا . ولكن اتنفر للاستاذ هذا الابتذال

وتالق في سماء الشهرة
نجمة ساطعة بين النجوم

هنا انفلت الزمام من يد الشاعر ، وتضعضع الحرف على لسانه ، فقال ماكان يجب أن يصمت عنه ، لكن ما رايكم في هذا — وهو يقوله مخاطبا الشاعر :

لا .. فهذا كله نمقته
انما أصدق ما رددته ،
انما اروع لحن صغته :

دمعة ترسلها في الظلمة
صامتا في حلكة الليل البهيم

الواقع ان الشاعر جعل النهاية رائعة جدا ، فكان مصدقا للمثل القائل : انما الكلام بآخره . وكأني بالشاعر في هذا المقطع الاخير انكر على الشعراء المتحذلقين تزويقهم وتنميقهم ، فثار فيهم ثورة مضرية:

« لا .. فهذا كله نمقته »

وبعد : فلولا الخاتمة لما خرجت « دمعة الشاعر » من عداد القطع المحفوظة بالمدارس الابتدائية . ولكن الله سلم ..

« اسطورة انسان » هي القصيدة الاخيرة في ديوان المجلة ، ولعلها ابدع قصيدة من مجموع أربع قصائد ، وان كانت هي الاخيرة ، وما احسب أن قلم التحرير يرتب القصائد على حسب جودتها وجمالها ! والا لكانت « الاسطورة » على راس القافلة — رأي شخصي — .

الحق ان الشاعر عبد الكريم الطبال يعمل جاهدا فى « معايشة » العصر . فهو يعالج القضايا التي يحسها انسان العصر ، ويحياها فى معترك الحياة ، فى معمعة الصراع من اجل البقاء ، وفى موقفه مع نفسه ومع الآخرين ، ويأتي هكذا كل ماكتبه الطبال تقريبا ، والمتتبع لشعره يدري هذا تمام الدراية . هذه اول مرة ينشر الطبال فى « دعوة الحق » ، ولا ادري لماذا كان هذا البطء ، الا ان مشاركته هذه المرة كانت رائعة ، انقذت الموقف ، ودلت دلالة واضحة على أن الحركة الشعرية فى بلادنا تتخطى الحواجز ، والشكليات ولوك الكلام الفارغ الى شيء جدي ، لايعتمد على التضخيم ، والتهويل ، ولا على رصف الكلمات من غير ايحاء ، ولا ظلال ، من غير اسكاب التجربة الذاتية ، والانسانية فى الكلمة الواحدة ، والجملة وبالتالي في القصيدة باكملها . فكان الشاعر الطبال من اولئك الذين ضربوا عرض الحائط بالمفهوم الشعري القديم ، وتقبلوا المفهوم الجديد الذي يعطي لانسان العصر — الانسان ككل — كل اهتمامه ... ومع هذا فلا زالت رواسب من الماضي — الماضي السافل فقط — تغمر « مخيلته » التي فى امكانها ان تخلق العجيب والعظيم لو تخلصت منه تماما .

ان كان لي من ماخذ على القصيدة (عشرة ابيات) فهي طفيفة .

« سيان عندي ... » الا ترون معي ان هذا المطلع ليس أهلا لان يكون مطلعا ولهذه القصيدة بالذات ؟ . الحاصل ان هذا التركيب كثيرا ما قرأناه . ثم يزيد على هذا فيقول :

« (سيان عندي) أن اثرثر فى صفاء ، الحلم كالقيثار ... »

اترون وجها للشبه بين « الثرثرة » وصوت القيثار ؟

تم هذا الاعتناء باللفظ الى درجة التزويق — لنتذكر ان هذا خلت منه دمعة الشاعر لابن جلون — لماذا الاعتناء باللفظ الى الدرجة التي تقلل بها من قيمة القصيدة ؟

وأخيرا فالقصيدة فى مجملها رائعة ، وبالتالي تدور على معنى هو مدار الشعر العربي الحديث .

طنجة — محمد الشعرة



ديوان المجلة

الوزير الراحل محمد بن موسى يمدح الملك الراحل محمد بن يوسف

توفي في تطوان يوم السبت 6 نونبر من السنة المنصرمة الاديب الكبير الوزير محمد بن عبد القادر ابن موسى عن سن تناهز 85 سنة ، وكان رحمه الله خاتمة أدباء المغرب من الجيل الماضي الذي حرص على حفظ تراثنا الادبي وخاصة الاندلسي والنسج على منواله أشد الحرص ، فكان له قلم بارع في النثر الفني وملكة راسخة في نظم الشعر الجيد ... وقد ولي وزارة الاوقاف في الحكومة الخليفية بتطوان وهو من أسرة عامية مراكشية اشتهرت بالادب وخدمة السلطان . وعلى ما كان له من مكانة مرموقة بين أدباء الجيل المحافظ وعلاقاته الطيبة بجل رجال العلم والادب ، فقد مر حادث وفاته عاديا لم يترك صدى في أي وسط من الاوساط ، لا في الصحافة ولا في الاذاعة ولا بين عموم المثقفين ، مما يبين مقام الاديب عندنا والاهمال الذي يلقاه في حياته وبعد موته أيضا مع الاسف الشديد .

واحياء لذكراه الحزينة نقدم لقراء دعوة الحق هذه القصيدة العصماء من نظمه ، وقد قالها بمناسبة عودة الملك الراحل مولانا محمد الخامس من منفاه ، رحم الله الملك والوزير والهمنا الى انصاف رجالنا المضيعين .

ع . ك

ابى المجد الا ان تقاد جنائبه ... وتمرح في سرح المعالي نجائبه
وتستحضر الاقيال خاضعة الطلى ... مكاتبه او عززتها كتائبه
فيملى على الاجيال عهدا تكفلت ... بترتيله الارواح والدهر كاتبه
يرد صداه شائع الشرق كلما ... سعت لمراميه الجسام مغاربه
فيجذب افلاذ القلوب لصوبه ... كما يجذب الفولاذ بالطبع جاذبه
هواها هواها في اطراد نزوعه ... دنا او تعلى جانب الافق جانبه
يمانية ما ايمنت نظراته ... وقيسية ان مال بالقوس حاجبه
يقينا بان الفتح ظل يمينه ... وما الظل الا حيثما حل صاحبه
تباشرت الامال دهرا بهديه ... وفي الجد من ظل السكينة رائبه
يقدمها والنصر تحت لوائه ... وقد لاح من اوج السعادة لاحبه
الى امد يعيي به النسر طائرا ... فترعاه بين الفرقدين كواكبه
فما راعها الا احتجاب خياله ... وما حاكه من داعي الزور ثالبه
بيوم ازاح الغدر فيه لثامه ... فدبت الى دار السلام عقاربه
غدا فيه وجه الجو اسفع قاتما ... وراد الضحى مستوحش الظل شاحبه
على حين داناها من الفوز حاضر ... كفاحا وناداها من اليسر غائبه
فثارت حفاظا عن كرامة مالك ... على جدد اهدى من الغيث راكبه

اذا غاب كان الامن عنقاء مغرب … يحلق في جو الاساطير عازبه
وان لاح قال الدهر فرض ولاؤه … فما ينتهي من سورة الفتح راتبه
وشقت فجاجا يعثر السيل دونها … وتخذله من هولهن مذانبه
ومبدؤها اما الامام بعرشه … واما فناء ينذر الارض ناعبه
على راحه تستبدل الراح بالردى … وان لام جهلا صادق الظن كاذبه
تدير رحى ام المنايا بجحفل … تداوي غرور الطائشين قواضبه
دوي شعار الدار عين بنقعه … اذا جاء نصر الله بالصبر جالبه
تخوض العذارى الحور في غمراته … وتحشر فيه المحصنات مذاهبه
بافئدة ان واقع الخوف ظلها … قضى فرقا من هائل الظل هائبه
وللموت صك ضاع فيه حبابه … وكلت بارواح الكماة مخالبه
وللروع بين القاصفات اذا دوت … وبين جنون الجائرين نوائبه
فكالت ضروب الباس فيه كماته … وكيل لها من واصم السوء واهبه
فلم يثنها قرع الاسنة والظبى … ولا راعها صالي الكفاح وصالبه
تمثل مرماها عروسا فاقسمت … بان لا يرى دون المنصة خاطبه
فلا جنب يغريه المهاد بلينه … ولا طرف يغشاه من النوم عاربه
الى ان بدا وجه الامام محمد … منار الهدى ان ظل في الغي ذاهبه
بدا وجلال الملك يعلو جبينه … بتاج وعز النصر يحدوه ساربه
فالقى العصا فالافك في ظفر كاسر … تلقف اغراض المنية واثبه
وظفر من كان الوفاء حليفه … وخيب من حقت عليه مصائبه
وكانت له في صاحب الصرح اسوة … لدى صبح الكرسي بالختل غاصبه
فما عم الكرسي ان ضم اهله … وساء صباح المفتري وعواقبه
فانقذ عرشا صيح في حجراته … واضحت بغاث الطير ممن يحاربه
فحالت مغانيه وخور عوده … وضجت بفاس من جواه جوانبه
يقول وقد عم الهناء نامه … فاغرب من فرط المسرة غاربه
احقا شبابي عاد لي بعد بعده … وصالحني من عاتم الحظ عاتبه
واقبل نحوي صاحب التاج باسما … نعم هذه اعطافه ومناكبه
اشاهد من اشراقه البدر سافرا … فيسم لي من شائع اليمن شائبه
طغى البشر طغيان الضياء بقربه … وعاقت باعلام السرور مواكبه
فمن كل قلب شام حرباء تنضب … تبدى له من حاجب الشمس ثاقبه
وفي كل عين من معانيه قرة … يناهبها اشراقه فتناهبه
وفي كل سمع من مباديه عبرة … جرت فجرى من غائر الدمع ساكبه
تسامى بها في الخافقين خطيبها … وفي المسجد الاقصى وفي الدير راهبه
فدان بها من لا يدين لوازع … وغنى بها شادي الاثير وقاصبه
وقال لسان الحال والكون شاهد … الا هاكذا فليكسب المجد كاسبه
تهن امير المومنين بوافد … من العز يدعوه لنصرك واجبه
ودم معقلا للشعب ترفع راسه … وتدفع عنه كل سوء يوائبه
وتعدو به شأو السيادة صاعدا … ذرى شرف تعلو بهن مراتبه
تكلله تاج الجلال حقوقه … وتكسوه جلباب الكمال مطالبه

يا قائد الشعب يا ابن الشعب يا ملكا

للأستاذ الشاعر: عبد الرحمان الدكالي

ألقيت هذه القصيدة بمناسبة الذكرى الخامسة لوفاة جلالة محمد الخامس رضي الله عنه وأرضاه، أمام صاحب الجلالة والمهابة أمير المومنين الحسن الثاني نصره الله بضريح المولى الحسن، قدس الله روحه في حفلة الذكرى الخامسة

يا ليلة من ليالي الدهر تحييها ... لا شيء في عالم الاحداث يبليها

اما ترى امة الاسلام باكية ... من كان بالروح والاولاد يفديها

من كان لله للاسلام ينصره ... وللشعوب شعوب الضاد يبكيها

لا يقرب اليأس في الباساء همته ... وحسب همته، ما كان يرضيها

سلوا الشعوب سلوا الدنيا، اهل عرفت ... مثل «ابن يوسف» في احقاب ماضيها

قد كان معجزة الايام اوجدها ... في هذه الرقعة الخضراء باريها

مرت به سنوات الملك مثقلة ... فكان بالصبر والايمان يطويها

لا غرو ان يقف التاريخ في عجب ... يحكي البطولة في اسمى معانيها

الم يقل وسيوف الظلم مصلتة ... لست الجبان الذي يخشى مواضيها ؟

انا «ابن يوسف» مسوول ومؤتمن ... على رعيته بالروح افديها

ان الملوك اذا ذلت شعوبهم ... وهم يسوسونها ليسوا باهليها

امانة الله عندي لست اسلمها ... ولو تبدلت الدنيا بما فيها

انا لنذكر يوم النفي حين رمت ... يد العدو بسهم في مراميها

وهز نفيك شعبا كان مضطهدا ... وقيل حي على الاوطان تفديها

واظهر «المغرب» المغتاض غضبته ... وطاح من مهج الابطال غاليها

* * *

يا قائد الشعب يابن الشعب يا ملكا ... هانت عليه من الدنيا عواديها

يا من ستذكره الاجيال مقبلة ... ومن تتيه به فخرا اواليها

يا بن الرسول الذي احييت شرعته ... وعشت ناصرها دوما تزكيها

الله يعلم انا امة عرفت ... لك الايادي التي قد كنت تسديها

ذكراك ما دامت الدنيا ستنشرها ... رسالة الحق تغليها وتعليها

نم في رضى ربك الاعلى بجنته ... واسعد بقربك في اعلى اعاليها

* * *

هذا ابنك « الحسن الثاني » وسيرته ... وهذه امة القرءان يرضيها

هذا الذي مارس الاحداث مقتحما ... هول الخطوب شجي النفس عانيها

هذا الذي كان في المنفى اخا وابا ... لأسرة الملك يرعاها ويحميها

هذا الوصي على ابناء امته ... ما زال للخير والاسعاد يهديها

ما كاد يملك حتى صار ممتلكا ... قلوب حاضرها قلوب باديها

هذا الجدير بعهد الله تعرفه ... « امانة عند ذي عهد يؤديها »

الله اكبر نور الله مقتبس ... من سيرة المصطفى من كل ما فيها

دين وعلم وتقوى كلها دفعت ... خليفة الله للاوطان يبنيها

هذي المساجد ذكر الله يملاها ... في كل ناحية للدين تنشيها

هذي المدارس كم ضمت وكم جمعت ... من خير ناشئة امست مبانيها

احييت غرس المنى في ما بلد ... ولن تزال بحول الله تحييها

اسست دار حديث المصطفى فغدت ... اعلى المعاهد تثقيفا وتفقيها

ان صانها سيدي من كل عادية ... يزيدها الله تعظيما وتنزيها

وللحديث رجال حافظون اذا ... ما حدثوا ذكروا اسناد راويها

لم تبق بين ربوع المسلمين له ... دار تخص له درسا وتوجيها

فارفع بحقك يا مولاي رايته ... قد نال منك بأرض الشرق تنويها

للعلم عندك فوق الكل منزلة ... تحيي بها السنة الغرا وترضيها

ان الخصال التي تسمو الملوك بها ... جبلة كل شيء فيك يبديها

هذا الجلاء الذي حققته فغدت ... اوطاننا حرة لا جيش يؤذيها

ما حوصرت ثكنات او احيط بها ... من كل ناحية ترمي فترميها

رفعت رايتك الحمرا مرفرفة ... وقلت للجيش انت اليوم حاميها

صن البلاد وكن درعا يؤمنها ... من كل عادية او من يعاديها

عبأت شعبك لا للحرب تشعلها ... بل للبلاد تعلي في مبانيها

اذا اشتكى الشعب داء في خلائقه ... عالجت ما يشتكي داء وتشويها

تريده رغم انف الدهر مرتقيا ... اوج العلا وعصور الجهل يطويها

تريده امة في الرأي واحدة ... يرمي الضغائن ان ثارت دواعيها

اجلت خلائقك العليا مصائبه ... واكبته العلا عزا وترفيها

ما زلت تدعوه للعليا وترفعه ... والنفس راغبة في خير داعيها

انت الذي تجعل الاهواء واحدة ... والشمل مجتمعا والروح تعليها

عناية الله يا مولاي قد سبقت ... فسر على هديه فالله ينميها

وهو الكفيل بان يرعى « محمدنا » ... « ومريما » فهو هاديه وهاديها

وللأميرة « اسما » ما تشاء لها ... رفاهة العيش زاد الله ترفيها

ادامك الله يا مولاي تنشئهم ... كما نشأت كبير النفس عاليها

ولاية العهد غرس الله يكلأه ... والشعب يحرسها والله راعيها

مولاي ان رحاب القول في سعة ... يضيق عنها نطاق الشعر يحصيها

لاكن معركة التحرير مجلها ... « ديوان شعري » وللأجيال يرويها

الرباط : عبد الرحمن الدكالي





ان يزل ذكرهم فذكرك باق   لم تزده السنون غير ائتلاق
ان يزل ذكرهم فذكرك قد طبق كل البلاد والافاق
تتغنى بذكره امم الارض نشيدا لعزة وانعتاق
يتباهى بفضله كل قطب   وزعيم لثورة وانطلاق
اي عهد نحياه لولاك ما كان لفجر التحرير اي انبثاق
اي عهد تحياه افريقيا الحرة لولا ما شدت من اعلاق
قد ابى الله يا محمد الا   ان تفك القيود من اعناق
حجم الغاصبون عودك لاكن   ما استطاعوا ان يظفروا بوفاق
ستهم حقبة من الدهر باليمن لكي تستطيع قطع الخناق
ثم وجهت للمعارف شعبا   داعيا جيلنا لربح السباق
ضاربا للشباب في الحسن الفذ مثالا للعلم والاخلاق
حافزا همة الفتاة الى الدرس لترقى بالعلم اوج الطباق
فاتحا صدرك الفسيح وقصرا   ما لشعبي في غيره من تلاق
مسعدا للفقير والعاطل البائس في رحمة وفي انفاق
حاملا راية الهداية والدين مطيعا للواحد الخلاق
نافخا في الاباة من شعبك الباسل روحا تزيل كل افتراق

* * *

خطة تلك قد رسمت الينا   يا ابا الشعب والعظيم الخلاق
علم الله قصدها فحباها   وحباكم حياة مجد راقي
سرت في نهجها وخلفك شعب   مسرع الخطو فاتح الاغلاق

لم تدع فرصة تواتيك الا ذاق فيها العدو مر مذاق

لم تفاوض لصالح الشعب الا باء خصم بالذل والاخفاق

من لنا يا محمد يوم هنا غير ما قد بذلت من ترياق

من لنا يا محمد يوم كان الشعب يتلو اللطيف بالافاق

من لنا يا محمد يوم جئنا مرتجين الاصلاح للاوفاق

من لنا يا محمد يوم خضنا بك حربا على الهوى والنفاق

من لنا يا محمد يوم ثرنا طالبين الرجوع عن ميثاق

يشهد الله انك الملهم العز وحامي الحمى ورمز الوفاق

فقت نبلا وحكمة ودهاء وغدوت الزعيم للحذاق

حاول الماكرون ان يوقفوا ربطك اجزاء شعبنا التواق

فاحالوا «البيضاء» موتا ونارا واستباحوا الاعراض في الاسواق

املا ان تحيد والشعب في طنجة عن فرحة يوم التلاقي

خطا ما رأوا فانى لشهم مثلكم ان يهان بالاطراق

يتخلى عن الذهاب الى طنجة درءا لفتنة وشقاق

عكس ما قد رأوا فعلت وهذا ديدن الحر مثلك السباق

حدث وثق الصلات بعرب وبدين واخوة ورفاق

حدث ارهب العدو واضحى كل صبر لديه غير مطاق

علم القصد فاستحال غشوما لا يرى مخرجا سوى الارهاق

شن حربا عليك والشعب والدين عوانا وشد كل وثاق

لم يلن بطشه قناتك او يلقى نجاحا لفكرة واختلاق

بل تردى في هوة الخسر لما قلت لا اقبلن غير انعتاق

ليس يلقى الجحود مني ثباب له دوما بالعرش كل اعتلاق

لا ابالي من اجل شعبي بكيد انا درع له من الظلم واق

* * *

سنة الكون من يضحي بنفس ليس يحيى حياة الاسترقاق

حكمة يا محمد قد اخذنا منك درسا في حبها واعتناق

حكمة صنتها ولم يثنك الدهر ببلاء من اجلها انت لاقي

كيف يثني زعانف الغدر يوما نقضوا فيه حرمة الميثاق

ابعدوا فيه عاهل المغرب الفذ وداسوا بالمكر كل وفاق

عذبوا الشعب ارغموه على شرب كؤوس من الهموم دهاق

حسبوا صنعهم جميلا وقالوا كل صعب قد صار سهل اللحاق

يا لخرق البغاة في عصر نور وصراع نحو العلى واستباق

يا لهول انتقام عرش وشعب وتفان في الموت والاعتاق

يا لنبل الكفاح من اجل عود لك فخر الملوك بعد افتراق

حاملا منعل التحرر يحدوك جهاد قد من بالاطلاق

معلنا لانتهاء عهد لحجر وابتداء لليمن والاشراق

يا لها منة حبتنا من الله بعهد قد لاح بعد اشتياق

استعدنا في ظله عز شعب ومضينا لرقع كل انفتاق

وانتهينا من حرب عز وخضنا حرب محو للجهل والاملاق

سنوات ست من الجهد احييت بك كل النفوس في الارماق

ليلها كالنهار شغل ودرس لمشاريع نهضة ولحاق

شدت فيها ما اعجز الغير دهرا دون بطء او وقفة في السباق

وكفى معجزا لعهدك جيش والتام للشمل والاملاق

وولي للعهد قاسمك الجهد برأي موفق خلاق

وجهاز للحكم حسن وضعا لم يرضه كالدر غير التساق

وقضاء على التخلف والبؤس وامن قد عم كل نطاق

وانتشار للعلم والطب والحرث ورفع للدخل والارزاق

وشمول للعدل كل رعاياك وتوحيده لبعث الوفاق

واجتماع لربط افريقيا الحرة في وحدة وفي ميثاق

وانتهاج الحياد في عالم سيطر فيه الهوى وحب الشقاق

ليت شعري ما ذا اعد لشهم كل عز بفضله هو باق

فيه ما تبتغي العزائم ان هم ذووها ويبتغي كل راق

وهب الشعب نفسه وحبا القطر اعتزازا بوحدة وانعتاق

ثم اضحى كانما لم يكن بالامس حيا يشيد عهد انطلاق

نكبة ادمت القلوب وابكت كل بيت من هول وقع الفراق

نكبة هزت الوجود واذكت نار حزن ولوعة واحتراق

ناظر الشرق فيها والغرب ءالاما رمتنا بسهمها في الما قي

وتوالت امواج برق تواسي   حزن الشعب وارث الاعلاق

ملكا ضمد الجراح وءاخى   بين ابناء امة ورفاق

* * *

صانع المجد طبت حيا وميتا   لك اجر من مكرم خلاق

هذه روحكم تطل علينا   فتزيد الضياء كل اختراق

هذه صورة لجبك كالامس نراها في البدر والاعماق

نم هنيئا فقد تركت الينا   حافظ السر طيب الاعراق

حسنا زانه التواضع والعلم وزان البرور بالانفاق

ملكا مصلحا يذود عن الشعب ولا يقبلن اي انشقاق

واصل السير يا محمد في نهجك يبني للمجد اسمى رواق

قد عرفنا في ظله قوة الخلق ودفعنا للياس والاخفاق

ونعمنا بمنجزات ستبقى   ابد الدهر زينة الاعناق

* * *

رحمات عليك تترى من الله ونعمى بيوم كشف الساق

وسلام عليك في جنة الخلد وفضل كالغيث في الاغداق

ولنا في بزوغ ذكراك تجديد لعهد يزداد كل ائتلاق

قد هتفنا بحبه وتلونا   ان يزل ذكرهم فذكرك باق

محمد عرفة الفاسي





للشاعر : ادريس الجاي

سبحان من كتب البقاء وخلدا   من كان عنوان البطولة والفدى

من كان سيف الله سل على العدى   حتى تغمده الاله فاغمدا

سيف له حدان ، هذا بالدم ال   ـقاني يسيل ، وذاك يقطر بالندى

ما اروع الذكرى واعظم نفعها   للمؤمنين ، وما اعز وامجدا

ما اروع الذكرى واعظم راحلا   سيظل مذكورا ويشكر سرمدا

كم مات من ملك وآنسي ذكره   الا ابا الحسن المجيد محمدا

* * *

رمضان : ذكرنا به ، بكفاحه   وبما تحمل صابرا وتكبدا

لتدوم هذي الارض ارض كرامة   ويعيش هذا الشعب حرا سيدا

* * *

يا للبطولة حين ثار فلم يهب   كيد الطغام الخائنين ولا العدا

ايام قال : بني افعلوا ما شئتمو   تابى الشهامة ان امد لكم يدا

يا ويلهم لما اعتدوا وتطاولوا   وتهددوه فقال : لن اترددا ..

ان الردى في عرفنا ليس النكـ   ـال وانما بيع الشعوب هو الردى

* * *

وامتدت الايدي الاثيمة للمجيـ   ـد ، فبات والاهل الكرام مشردا

اذ ذاك حتفهم دنا لما انبرى   شعب اقام الغاشمين واقعدا

شعب بحفظ العرش منذ قيامه   وبنصر من جلسوا عليه تعهدا

شعب ملاحم مجده (اليادة)   يزهو الزمان بها اذا ما انشدا

شعب سواء قبل هدي محمد او بعده يابى الحياة مقيدا

شعب اراهم انه غير الذي حسبوا وابطل ما ادعوه وفندا

بهت العدى اذ قام ياخذ ثاره وكانه ما كان قط استعبدا

وكذا العرين عريننا ان تطلق منه الاسود فلن ترى مستاسدا

* * *

يا للبطولة ، كم شجاع هب للـ ـموت المحقق ثابتا فاستشهدا

ابناء مازيغ ويعرب بينهم العرش والوطن المقدس وحدا

والدين دين العز قال : من اعتدى يوما عليكم ، حاربوه كما اعتدى

وكذلك كان فزلزلت اركانهم لا العرش ، هذا لن يزال موطدا

وراوا وهم في حيرة من امرهم ان البلاد قد استحالت موقدا

تشوى عليه جلودهم وجلود من خانوا فخروا لابن يوسف سجدا

وتحقق النصر المبين وعاد سيـ ـدنا واسرته بجر السوددا

عاد ابن يوسف والهتاف مجلجل .... والطود والوديان رددت الصدى

الوعد وعد الحق ان الله ينـ ـصر من يشاء رسوله طلب الهدى

من لم يعزهم ويعل لواءهم لا الخير يزرع والمنى لن يحصدا

* * *

نم في جوار الخالدين منعما واهنا فعهدك بالمليك تجددا

ياخير ابناء الملوك تحية خلفت خير بني الملوك الامجدا

او ما ترى الحسن الامين ، ونوره يعشي العيون مهابة وتوقدا

انا على العهد الوثيق لامة شهدت بان سناك فيه تجسدا

اعظم به ملكا تحدى عزمه الـ ـقدر العنيد فكان اقدر اعندا

ايمانه كالماس نور ثاقب يفري صخور الخطب حيث ترصدا

من بعد ما تم الجلاء على يديـ ـه ، وبعد ما كنس الدخيل واطردا

نادى : الا هبوا ، فردد شعبه : لبيك ، هيا قم بنا لنشيدا

فاذا العزائم والسواعد تبتري لتحيل هذا العيش افضل ارغدا

والشعب ادرك ان شط نجاته دان اذا بمليكه الشهم اقتدى

ربان فلك لا يتيه شراعه مهما طغى موج الخطوب وهددا

لله من شق الطريق فمن يسر | في ركبه يجد الطريق معبدا
لله ما صنعت عزيمته وايـ | ـدينا ، وما لا بد نصنعه غدا
ما دام هذا الشعب ـ وهو لدائم | من حول قائده العظيم مجندا

* * *

ياعاهلا بك اشرقت امالنا | ما اجمل العهد الجديد واسعدا
انا نشاطرك الفخار براحل | كان الاب البر الرحيم الاوحدا
وخلفته فحملت عنه امانة | عظمت ، ومثلك للعظائم اوجدا
دم للامير ولي عهدك ، دم لنا | انا لكم ولاسرة المجد الفدى
يا وارث التاج النبيل ، ووارث الشـ | ـشرف الاصيل ، اسلم لنا رغم العدى
لا زلت مرفوع اللواء مكرما | ومظفرا ، ومعززا ، ومؤيدا

الرباط ـ ادريس الجائي







« ومن آياته ، ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة » **« قرآن كريم »**

هل الي غير حضنك المستطاب   تاق قلبي واستشرفت أكوابي ؟
أم الي غير دفئه الحلو أهفو   في حمياه دائما أو صابي ؟
أم الي غير ثغرك العذب أظما   أي شيء سواه ، يطفيء ما بي ؟

لست أنسى حنو صدرك والنهـ   ـدان لحن مهدىء أعصابي
يوم ألقيت فوق صدرك راسي   رضي النفس حالم الانخاب
أثملني سحر الشفاه واستمـ   ـرىء — في لذة — بقايا الرضاب
وفؤادي ، من لهفة الشوق ظمـ   ـآن ، يناغيك أمنيات الشباب
يتفيا — في نشوة — ظل الحا   ظك ، والجفن ريق الاهداب
ويناجيك ، لا يعي من لغاه   غير لمسات من يديك عذاب
هدهدته ، وذكرته التصابي   فتناسى الاسى ، ونسيت ما بي

لست أنسى ، وقد أخذت بشعري   في حنو ، ورقة وانجذاب
ثم أمررت أنملاتك في لمـ   ـسي شهي مكهرب متصاب
فتمنيت في قرارة أعما   قي لو كنا ذرة من ضباب
أو سديما به الرياح تدوي   أو طيوفا أو حفنة من تراب
ثم عشنا لوحدنا نتسلى   في فراغ من الدنى والسحاب
وتمنيت ، اذ لمست جبيني ،   في اضطراب ورعشة وارتياب
لو تكشفت طلسم الغد أو عـ   ـاد لك الماضي مشرئب الشباب

وغرقنا ، انا وانت في بحـــران م   من الحب مستلـــذ العـــذاب

غير أنا ، والعيش حلم ، مضينـــا   ومضى الحلم ، غير وهم يبـــاب

فتأوهـــت ، اذ تيقنـــت أنـــا   لم نعد بعد غير طيـــف ســـراب

وتساءلت : اين نحن من الاحـــ   ـــلام ؟ لا شيء غير ذكرى عـــذاب

تتراءى في ظلمة العمر نـــورا   ثم تخبو في رعشة واضطـــراب

لست أنسى عينيك ، تسبح أضـــوا   ؤهما الصخبى مثل موج العبـــاب

حين هومت ، في الفضاء تناجيـــ   ـــن غيوبا رحيبـــة الاطنـــاب

ثم عمقت في عيونـــي نظراتـــ   ـــك ولهي في اللا وجود ، وما بي

وتمليت طيف عينيـــك في قلـــ   ـــبي تجوسين ما وراء الحجـــاب

تسألين الفضاء ما ليس يـــدري   وتودين منـــه أي جـــواب

غير أن الفضاء ، يا أخت روحـــي ،   مثل أهوائنا عميق الرحـــاب

لست أنسى والطهر يغمر احـــ   ـــلام دنانا بشيقات العتـــاب

ما على الشاطىء الحبيب أتينـــا   في صمات مستعـــذب غـــلاب

طاب ما حولنـــا وراق فهمنـــا   في لذاذات صفـــوه المستطـــاب

نتساقى ، ونحن في سورة النشـــ   ـــوة أنخاب حبنا الصخـــاب

والهوى خمر ، والصبابة كـــأس   وفؤادانـــا ، رنـــة الاكـــواب

والايادي تشابكت ، وحميا الشـــ   ـــوق خمر لذيذة الاوصـــاب

وكلانا ، انا وانـــت علـــى صـــ   ـــدق ، غريقان في سموم العذاب

هو يا جنتـــي خمـــار امانيـــ   ـــنا وبقيا وجودنـــا والمـــآب

فاس : عبد الكريم التواتي



للشاعر: محمد بن علي العلوي

حقق الله لي مفاخر قصدي ... وكنا أمتي روائع مجد
وانتقى لي من المكارم عقدا ... هو ابهى من الجواهر عندي
وحباني من المفاخر ما لا ... يدخل اليوم تحت حصر وعد
رفعت راسها شوامخ أرضي ... تتغنى بما تحقق اسدي
ومعيني ينصب من قمم العـ ... ـز لجينا مذاقه طعم شهد
يترامى الى المزارع يروي ... ما بها من نبات فل ورند
وسهولي مخضرة تتباهى ... بغصون كثيرة الرقص ملد
وزهوري فواحة العطر تحكي ... نفحة المسك او روائح نـ
ونسيمي يداعب الزهر في الرو ... ض ويعطي الانوف نفحة ورد
وهوائي يعالج النفس مما ... قد تعاني من الشقا بعد كد
وطيوري صداحة تتغنى ... بجمال الحياة في خير عهد
كم ديار اقامها الفن سحرا ... نمقت نقشها اصابع ولدي
والصحارى تضم خير كنوز ... خباتها يد الطبيعة عندي
وجبالي مكسوة بثلوج ... هي وقت الحرور جنة برد
وسبيلي طريق خير وحق ... والعلى والنعيم أكبر قصدي
ورجالي هم الليوث اذا ما ... طلبوا المجد ما لهم من مرد
كم ولدت العظام فى كل فن ... وتفوقت قاهرا كل نـد
اي قطر قد نال ما قد حباني ... مبدع الكون من بهاء ومجد

رحم الله « عقبة » يوم جاءت ... اسده تمتطي كواهل جرد

تحمل النور والهداية تبغي ... ان ترى النور ساطعا بين ولدي

وقف الشهم لحظة عند بحر ... بين جند من الاشاوس مرد

قائلا لو عرفت يا بحر برا ... خلفك اليوم لم اقف عند حد

ولخضت العباب من غير بطء ... في سبيل الاله ابذل جهدي

رحم الله طارقا يوم اضحى ... من جبالي يقود اشرف جند

يعبر البحر هائجا لايبالي ... فى سبيل العلا بجزر ومد

بنشر النور والحضارة فى الغر ... ب ويهدي عقوله نحو رشد

واذا بالعظيم فوق اشم ... مشمخر من الحجارة صلد

يسكب الدر في نفوس أباة ... حملوا النور بعد حمل الفرند

يخطب الجند قائلا فى حماس ... بين أسد من « مازغ » و «معد »

أيها الناس ما لكم من مفر ... فانزعوا العيش من براثن وغد

ها هو البحر خلفكم ، واماما ... يطفح البر بالعدو الالد

ما لكم للحياة غير سيوف ... فانزعوا السيف من قرارة غمد

واطلبوا النصر كي تنالوا حياة ... انه حق كل قرم وجلد

واذا الفتح ينتهي بسلام ... وبعيش من اطيب العيش رغد

واذا الغرب ينتشي بزلال ... من علوم الى الحضارة تهدي

رحم الله « يوسفا » يوم لبى ... دعوة المستغيث من مكر قرد

جعل الارض في الجزيرة نهبا ... مستمرا ما بين اخذ ورد

واذا بالجيوش تقتحم البحـ ... ـر وتقضي على اصول التعدي

يا لها من « زلاقة » كم أبانت ... باس ولدي وحققت نيل قصدي

و (خرالدا) فى الغرب تشهد انى ... قد اقمت الدليل عن صنع ولدي

تدهش الناظرين من كل جنس ... وتنال الاعجاب رغم التحدي

فسلوها عن الذي قد بناها ... واقام الدليل عن غير عمد

واسألوا وادي المخازن ينبي ... عن دفاع الليوث من حول بندي

رحم الله « خامسا » كم حباني ... من جهود اعادت اليوم مجدي

حقق النصر لي وحرر تربي ... وغزا كل ماكر مستبد

وبدا فى الكفاح ليثا قويا ... يتحدى برايه كل وغد

قائلا لو جعلتم الشمس ملكي ... لم اجبكم بغير ما قال جدي

فاتركوا عنكم البلاد لقومي ... فهي لا تستطيع حمل التعدي

موطني لن يكون من بعد عبدا ... ولو احتاج للفدا جئت افدي

قسما لو نزعتم الروح مني ... او اخذتم الى المنافي ولدي

او فعلتم ما تقتضي شرعة الغا ... ب وما تقتضي ضروب التحدي

لم ارد غير ما يحرر شعبي ... ويفك القيود عن خير اسد

لم ارد بالحياة غير انعتاق ... تتحلى به المغارب بعدي

هكذا حطم الهمام قيودي ... فغدوت الطليق من كل قيد

وحباني من بعده خير ملك ... يحمل اليوم للمفاخر بندي

توج النصر بالجلاء فأعظم ... بمليك يقود للعز جندي

ويقود البلاد في خير نهج ... نحو ما ينفع البلاد ويجدي

فليدم في رعاية الله يرعى ... امة تنتمي الى كل مجد

فاس : محمد بن علي العلوي





للشاعر:
عبد الكريم الطبال

موجات عطر من غدير الياسمين ترشني فأميس غصنا اخضرا
انساب موسيقى . ارف ضفيرة في ليل ساحرة . ازغرد مزهرا
في كبرياء الدوح . في زهو السنابل . في رفيف الورد لحنا احمرا
وكما يموت الجدب في القيثار تزرعه الرؤى فيموج روضا ازهرا
فالجدول المسحور في نجوى الهوى والبلبل الصداح يعلو منبرا
وكما يموت الجرح في كأس مضرجة اذا رشفت رضابا مسكرا
فتميح ضاحكة ترثر في جنون الحب تغرق في شرود ابحرا
الجوع في ورقي يموت فلا يميع الطرف في دمع كغيم امطرا
ويغيب عن افقي خريف ساح عندي في عروقي في جذوري اعصرا
اني ازق الان من عطر السماء فتنتشي نفسي كأعمى ابصرا
اني اعب الان من نبع الحياة فيرتوي حبي رشيقا انضرا
سأشب وارفة لها سحر الصبا هيفاء تخطر مثل بدر اقمرا
فتجن في حبي عنادل ربوتي ويهيم في حسني نسيم قد سرى
اني سأمنح للعنادل كلها حبي وامنحها حناني الاكبرا
اني سأدفئها بكل مشاعري سأضمها في كل عيني منظرا
سأجود حتى بالظلال لعاشقي حتى الرؤى في ليل صيف اقمرا

•

فلتبسمي للغصن يا امطار يا حلم الروابي يا مناجاة الثرا
ياضحكة الاطفال تيهي في دمي في كل عرقي اسقيها كوثرا
يا فرحة الاشجار ياشدو الجداول يا ربيع البحر يا تاج الذرى
موجي هنا في عمق ذاتي يارسول الثلج يا فجر السرى
جودي علي بتوبة بيضاء كالاحلام تنخني تقيا اطهرا
فانا بدونك يا دموع الزهر بأشواق طفل هيكل قد اقفرا

شفشاون : عبد الكريم الطبال

ليل صهيون

للشاعر: المدني الحمراوي

وطن العروبة هائج الارجاء ... متحمس متلهب الاحشاء

قد هب موتورا، وفي اعماقه ... عزم يضعضع جانب الغبراء

يتوعد الاعداء بالمحق الذي ... يجتث اصل مطامع الاعداء

همم العروبة في منابت عزها ... قد اصبحت تحتك بالخضراء

جاشت كموج البحر ينذر غيظها ... بملاحم كاللجة الحمراء

« صهيون » يندب حظه لما رأى ... ليلا تكنفه بكل بلاء

بالشؤم والهول الفظيع سواده ... متسلل في تلكم الانحاء

بروقه ورعوده وجحيمه ... سيدك جحر « الحية الصفراء »

ويمزق المحتل كل ممزق ... ويسعر النيران في الاشلاء

* * *

ريحانة الشام السبية زغردي ... فقد استقل فوارس الهيجاء

وتسلحوا وتقاسموا ان يكسروا ... عنك القيود بغضبة نكراء

ويعفروا وجه الدخيل وينثروا ... احلامه البلهاء نثر هباء

العرب قومك لن تنام عيونهم ... حتى تذوب دويلة البغضاء

ويشردوا في الخافقين فلولهم ... وتظل ارضك راية الابناء

لك من بنيك اللاجئين عرمرم ... سيذود عنك عصابة السفهاء

ومع العرمرم مثله من اخوة ... قد ءازروه بنجدة واباء

يطهرون حماك من رجس العدى ... ويبوؤنك هضبة العلياء

عيشي « فلسطين » العزيزة حرة … عربية في عزة وعلاء

فاليك آمال العروبة كلها … تهفو ، ومنها انت في الاحناء

وشعار امتها المقدس ان ترى … ذاك الحمى متحرر الاجزاء

* * *

يا امة العرب انهضي طال المدى … وخذي بثأرك دونما ابطاء

اعداؤك استحلوا قعودك عنهمو … وتوهموك طريحة الاعياء

فتمكنوا وتهيأت احزابهم … يتربصون بنا حلول قضاء

كذبتهمو تلك الاماني ، انها … ماء السراب ، وهل له من ماء ؟

ايؤملون - سفاهة - ان يملكوا … حرم العروبة دون اي حياء ؟

خابت مساعيهم ، وساء مصيرهم … فليقبعوا في ذلة اللقطاء

سيلقون غدا امر حقيقة … ويجرعون مرارة الغلواء

لا يطمعوا ان يفلحوا بخداعهم … برح الخفاء ولات حين مراء

العرب قد رصوا الصفوف واجمعوا … وتفطنوا لمكايد الدخلاء

وتيقنوا ان السلاح شفاء من … لعبت بعقله سكرة الاهواء

لا يذكرون اللاجئين وخطبهم … الا اكتووا بالغيظ والبرحاء

ايشردون وتستريح بارضهم … زمر من الشذاذ والغرباء ؟

كلا وايم الله ليس بصالح … ما شجبته بدائه العقلاء

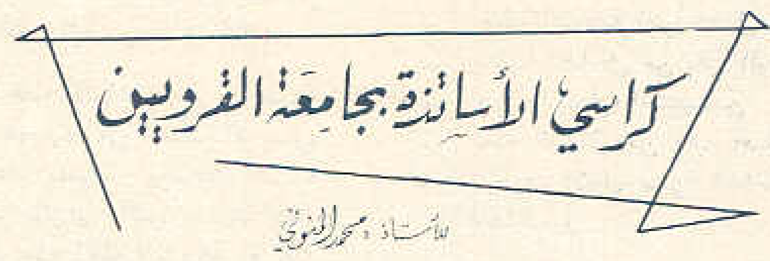
اللاجئون سيرجعون الى الحمى … بحرا يموج بماحق الأرزاء

الويل منهم للبغاة اذا رأوا … صرف الردى من سائر الارجاء

جاءت نهايتهم ، وجاءت امة … تمحوا خرافتهم من الغبراء

الرباط : المدني الحمراوي

دراسات مغربية :



للأستاذ : محمد المنوني

مقدمـــة :

وهذه ظاهرة اخرى من مظاهر جامعة القرويين فى العصرين : الوسيط والحديث ، وتتمثل فى وفرة عدد هذه الكراسي المخصصة بجامع القرويين وفروعه لكبار الاساتذة ، والموقوفة لتدريس امهات المصنفات فى مختلف العلوم

وهو تقليد علمي وجد فى الشرق ايضا ، ومن هذا ما يحدث به ابن بطوطة (2) عن (المدرسة المستنصرية) ببغداد حيث يقول :

« .... وبها المذاهب الاربعة ، لكل مذهب ايوان فيه المسجد وموضع التدريس ، وجلوس المدرس فى قبة من خشب صغيرة على كرسي عليه البسط » .

ونذكر - اولا - ان ولاية كرسي التدريس بالقرويين تعتبر منصبا ساميا ، ولهذا كانت لا تصدر الا عن السلطان او ولي عهده خاصة ، كما سنرى هذا فى العصر السعدي واكثر العصر العلوي .

كما كان لهذه الكراسي اوقاف خاصة صادرة عن السلاطين او الافراد ، وتوجد فى حوالات القرويين عدة لوائح فيها اوقاف كراسي التدريس بجامع القرويين وغيره ، وهذه واحدة منها تخص جامع القرويين ، وقد وردت تراجمها هكذا :

اوقاف كراسي جامع القرويين :

- كرسي بالبلاط الثاني عن يمين الداخل من باب الكتبيين ، النحو
- كرسي التدريس قرب مصرية المفتي
- آخر بظهر الصومعة
- كرسي التدريس بظهر خصة العين
- كرسي التفسير
- كرسي التدريس بمستودع باب الحفاة
- كرسي الرسالة بمستودع باب الحفاة ايام الشتاء
- كرسي بمستودع ابن عباد
- كرسي البخاري للتدريس باعلا باب الرواح بالقرويين اسفل الاسبوع الاعلا (3)

ومن الكراسي الاخرى التى لها اوقاف : كرسي صحيح البخاري بشرحه فتح الباري (وهو غير المتقدم فى اللائحة) ، وسنتحدث عن هذا ووقفه بعد ، وجاء فى (فهرسة) ابي العباس المنجور (4) لدى ترجمة عبد الرحمن سقين :

(وكان يلازم اقراء العمدة والموطا عند باب مصرية الخطيب بالجامع المذكور : « جامع الاندلس » ، وهما من اوقاف الشيخ الخطيب الصالح ابي فارس عبد العزيز الورياغلي خطيب القرويين (5) ، وحبس - ايضا - مثل ذلك بالقروين) .

---

1) هذا المقال تابع لموضوع (مدخل الى تاريخ القرويين الفكري) المنشور ضمن (الكتاب الذهبي لجامعة القرويين) سنة 1379 ه / 1960 م ص 182 / 187

2) « تحفة النظار ، فى غرائب الامصار ، وعجائب الاسفار » ط مكتبة الحاج مصطفى محمد بمصر عام 1377 ه ج 1 ص 141

3) « الحوالة السليمانية » خ.ع. ورقم 23 ص 244 / 249 (فيلم) .

4) نسخة خاصة

5) ترجمته فى « سلوة الانفاس » ج 2 ص 80 / 81 ، وساكتفى استقبالا بهذا المصدر فى التراجم الاتية ، حيث انه فى الغالب بديل الترجمة باسماء المراجع الاخرى

وفي « تنبيه الصغير من الولدان » (6) لما ذكر درس استاذه ابي العباس احمد بن علي الزموري في التفسير قال : (وكانت قراءته للتفسير المذكور بتفسير الامام الفخر « الرازي » ،لكون الحبس عليه كذلك)

وقد تساوق وجود هذه الكراسي مع جامعية القرويين ، حيث يبتديء ظهورها فى العصر المريني الذي اكتملت به جامعية هذا المعهد ، ويلاحظ اننا لانظفر فى هذا العصر بالوفرة التى صارت لهذه الكراسي بعد ، ولعل مرد هذه القلة الى زهد بعض علماء العصر المريني فى مثل هذه المظاهر ، وقد جاء في (المدخل) (7) لابن الحاج ضمن احد فصول آداب الدرس : (وما رايت احدا من علماء المغرب وفضلائهم يقعدون على حائل دون جلسائهم) ، وفي (المعيار) (8) للونشريشي يذكر ان اتخاذ الكراسي واحداثها في المساجد للاقراء من اعظم البدع .

ويظهر ان من ترخص من العلماء فى الجلوس على هذه الكراسي راعى رغبة المحبسين عليها ، وراى ان هذه البدعة لاتصل الى حد التحريم ، مع ما فى ذلك من المعونة على اداء الدرس للطالبين والمستفيدين ، وقد تغلب هذا الموقف مع مر الزمن ، فكثرت كراسي التدريس ، وتوافرت احباسها ، وهذا ما سنلاحظه ابتداء من العصر الوطاسي .

وكما راينا فى لائحة حوالة القرويين فقد كانت هذه الكراسي تضاف للفن او الكتاب المعني بالامر ، كما يلقب بعضها بكرسي التدريس ، وهذه ـ فيما يظهر ـ لم تخصص لتدريس فن او كتاب معين ؛ وهناك كراسي تنسب لافراد من مشاهير العلماء : مثل ما سيذكر من كرسي ابن غازي ؛ وكرسي الونشريشي ، وكرسي العبسي .

وكان للكراسي مواضع قارة بالمعاهد التى تنسب اليها ، فمثلا فى جامع القرويين ـ اثناء العصر السعدي ـ كان توزيع الكراسي حسب الاماكن التالية:

- مستودع باب الحفاة يمنة الداخل من هذا الباب .
- خلف الناحية التى تحمل اسم (ظهر الصومعة)
- يسرة الداخل من باب الموثقين
- قرب باب الكتبيين
- يمنة الداخل من باب عقبة السبطريين
- بالصف الاول يسرة الداخل من باب مسجد الجنائز
- يسرة الداخل من الباب المقابل لدرب ابن حيون بانحراف يسير
- الناحية المعروفة بـ « ظهر الخصة »
- مستودع ابن عباد (9)

وبعد هذا فان الدروس الوقفية بما فيها ذات الكراسي ، كانت مدة القراءة فيها هي زمن الشتاء واول الربيع ، قال فى « مرآة المحاسن » (10) اثناء كلام : (وكانت القراءة على العادة فى المغرب الاقصى فى فصل الشتاء واول فصل الربيع ، وقد حلل هذه العادة الامام محمد بن يوسف السنوسي (11) هكذا :

(وجرت عوائد الشيوخ قديما وحديثا ان يجتهدوا فى فصل الشتاء بسرد القليل من المسائل ، وافراغ الوسع فى نقل ما للعلماء فيها ، وتحقيق ما يخصها من مباحث وانظار ، ولا يسمحون لانفسهم فى هذا الفصل بشيء من البطالة ، فاذا انصرم هذا الفصل اجموا انفسهم بعض الاجمام ، ثم شرعوا فى اقراء الطلبة والمبالغة فى نصيحتهم بقدر الامكان ، لا سيما طلبة المدرسة التي تضاف اليهم .

وعادتهم فى سائر فصول السنة غير فصل الشتاء ان تسرد عليهم كثرة المسائل ، ويقتصرون على بيان صورة كل مسالة ، مع نقل ما لابد منه عليها من المباحث والاقوال ، وحل ما يعرض فى ذلك من نظر واشكال) .

---

6) سيرد التعريف بهذا المصدر فى التعليق رقم 28
7) المطبعة الوطنية بالاسكندرية عام 1293 هـ ج 1 ص 164
8) ج 2 ص 380
9) هذا ماخوذ من رسالة « تنبيه الصغير من الولدان » التى سيرد التعريف بها فى التعليق رقم 28
10) ص 235
11) « المعيار » للونشريسي ج 7 ص 238

والآن ـ بعد هذه المقدمــــة ـ ها هـــي كراسي التدريس بجامعــــة القرويين نستعرضها ابتــداء من العصـــر المرينـــي .

في عصـــر بنـــي مريـــن :

اذا استثنينا اواخـــر هذا العصـــر ، واعتمدنا المصادر القليلة جدا في هذا الموضوع ـ فاننا لانعثر في هذه الفترة الا على ثلاثة كراسي للتدريس ، وهي :

1) كـرسي الونشريسي :

وهو ابو الربيع سليمان الونشريسي ثم الفاسي المتوفى بها عام 705 هـ (12) / 1306 / 1305 م (13)؛ وكان ـ حسب جذوة الاقتباس (14) ـ يقريء بجامع الاندلس ، ويقوم على التفريع والمدونة .

2) كرسي ابي الحسن الصغير :

كان يدرس فيه « تهذيب البراذعي » في اختصار المدونة بجامع الازدع (15) الذي يعـرف الان الحـــي الواقع فيه بفندق اليهودي

اما استاذ الكرسي فهو ابو الحسن علي بن محمد ابن عبد الحق الزرويلي ثم الفاسي ، المعـروف بابـي الحسن الصغير ، المتوفى بفـاس عـام 719 هـ (16) 1319 / 1320 م

3) كرسي التهذيب بالمدرسة العنانية :

انشأه ابو عنان المريني بهذه المدرسة بفاس ورشح للتدريس به ابا الحسن عليا الصرصري (17)

وهذا آخر الكراسي المرينية الثلاث التي لايعرف عنها تفصيلات اكثر ، وهناك كرسيان انشئا اواخر هذا العصر ؛ وصارا ينسبان لابن غازي وعبد الواحد الونشريشي ، وسيذكران في العصر التالي .

في عصر بني وطـاس .

ان فهرسة المنجور هي المرجع الاول لهذا العصر، حيث اورد فيها مؤلفها عددا من الكراسي التي كـان يدرس عليها اساتذته بفاس ، وهي التالية :

4) كرسي ابن غـازي :

وهو ـ فيما يظهـر ـ من اوقـــاف ابي فارس الورباغلي السالفة الذكر بجامع القرويين ، وقد تداول الـدراسـة بــه :

ا ـ ابـو عبد الله محمـد بن احمد بن محمـد بن غازي العثماني المختاري المكناسي نزيل فاس والمتوفى بها عشية الاربعاء 9 جمادى الاولى عام 919 هـ (18) / 1513 م .

ب ـ محمد بن عبد الواحد الغـــزال تلميـــذ ابن غـــازي (19)

ج ـ احمد بن محمد بن محمد المعروف بابن جيدة المديوني الوهراني نزيل فاس ، والمتوفى بها في رجـب عـام 951 هـ (20) / 1547 م ، وقد كان يدرس بـه العمدة في الحديث والرسالة القيروانية

---

12) ترجمته مع ذكر الكرسي في « جذوة الاقتباس » ص 320 / 321 ، و « نيل الابتهاج » مطبعة المعاهد بمصر سنة 1351 هـ ص 119 / 120 ؛ وسلوة الانفاس ج 3 ص 316 / 317

13) هذه الموافقة مع الموافقات التالية مأخـوذة مـن :
Tables de concordance des ères chrétienne ethégirienne - Troisième édition - Editions techniques nord-africaines - 22, zankat Zakonne - Rabat, 1961.

14) ص 320

15) « الديباج المذهب » مطبعة المعاهد بمصر سنة 1351 هـ ص 212 ، « جذوة الاقتباس » ص 299

16) ترجمته في « سلوة الانفاس » ج 3 ص 147 / 149

17) « ازهار الرياض » ج 3 ص 27) وقد ابهم في هذا المصدر اسم الصرصري وتعيينه ماخـــوذ مـن فهرسة انسراج نسخة المكتبة التطوانية بسلا

18) ترجمته في « سلوة الانفاس » ج 2 ص 73 / 77

19) لم اقف على ترجمته ، وانما ورد ذكره في فهرسة المنجور لدى الحديث عن هذا الكرسي اثناء ترجمة ابي جيدة الوهراني حيث سمي بابي عبد الله الغزال، وجاء ذكره ـ ايضا ـ عند ابن غازي في الاجازة التـي كتبها بخطه له ولغيره اول فهرسته المكتوبة بخطه ايضا والمحفوظة في المكتبة الزيدانية بمكناس وقـد سمـي فيها بمحمد بن عبد الواحد انظر « اتحـاف اعـلام الناس » ج 4 ص 11

20) ترجمتــه في « سلـوة الانفـــاس » ج 3 ص 249 / 250

5) كرسي البخاري بشرحه فتح الباري :

انشاه السلطان ابو العباس احمد بن محمد بن الشيخ الوطاسي ، ليدرس به « الجامع الصحيح » للبخاري بشرحه « فتح الباري » لابن حجر العسقلاني، وقد حبس عليه لهذه الغاية نسخة من الشرح المذكور عام 847 هـ / 1443 – 1444 م ، وهي مكتوبة بخط الحافظ محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي ومنقولة من خط ابن حجر نفسه .

اما موضع هذا الكرسي فقد كان عن يسار الطالع من الباب الذي بشرقي جامع القرويين والموالي للفندق الاكبر هناك على حد تعبير وثيقة التحبيس المكتوبة على أجزاء نسخة فتح الباري الآنفة الذكر ، والتي لاتزال محفوظة بخزانة القرويين بفاس تحت رقم 100 (21)

وقد كان يدرس فى هذا الكرسي الامام الشهيد عبد الواحد بن احمد بن يحيى الونشريسي ثم الفاسي المتوفى ليلة الاثنين 27 حجة عام 955 هـ (22) / 1549 م ، قال المنجور فى « فهرسته » اثناء ترجمة استاذه هذا :

(وحضرت عنده ليالي كثيرة فى مجلس البخاري بين المغرب والعشاء بالقرويين ، ينقل عليه كلام فتح الباري ويستوفيه ، لانه شرط المحبس)

ومن فوق هذا الكرسي قبض على الونشريسي ثم اخرج من القرويين من باب الكتبيين حيث قتل ايام قيام السعديين ، وقد جاء فى تاريخ الدولة السعدية لمؤلف مجهول (23) : ان موضع هذا الكرسي كان فى ناحية باب الكتبيين

6) كرسي الونشريسي :

وهو كرسي آخر كان يدرس فيه – ايضا – ابو محمد عبد الواحد الونشريسي بالغداة فى القرويين، ويقرأ عليه تفسير القرآن الكريم ومختصر ابن الحاجب الفقهي ، وقد ذكره المنجور فى فهرسته دون ان يحدد موقعه ، وتحدث عنه فى ترجمة الونشريسي هكذا :

(وقد حضرت على شيخنا ابي محمد هذا دولا من فرعي ابن الحاجب : واحدة من باب القضاء الى آخره بكرسي الغداة بالقرويين)

ثم ذكر فى ترجمة ابي عمر عثمان اللمطي : انه كان ملازما لكرسي التفسير وابن الحاجب للونشريسي

وقد يكون هذا هو الذي صار يسمى كرسي الونشريسي بعد ، وكان يدرس فيه الفقيه محمد بن احمد الوهراني نزيل فاس والمتوفى بها عام 1013 هـ (24) / 1604 م

7) كرسي التهذيب بالمدرسة المصباحية :

واستاذه – ايضا – هو الامام عبد الواحد الونشريسي الذي صار يدرس فيه هذا الكتاب بعد وفاة والده ابو العباس احمد بن يحيى صاحب المعيار ، والظاهر ان هذا الكرسي صار بعد للقاضي عبد الواحد الحميدي آتي الذكر ، والذي كان يقرىء بهذه المدرسة تهذيب البراذعي قبيل صلاة الظهر (25)

8/9) كرسيان للرسالة القيروانية :

واستاذهما – معا – هو ابو محمد عبد الرحمن ابن محمد ابن ابراهيم الدكالي المشنزائي الفاسي المتوفى اول عام 962 هـ (26) / 1554 م ، جاء فى ترجمته من فهرسة المنجور :

(حضرت عند هذا الشيخ دولا من رسالة الشيخ ابي محمد – وكان له المزية فيها على سائر اهل عصره – مدة طويلة بكرسيه بين المغرب والعشاء بجامع القرويين .... وبكرسي الخميس والجمعة بعد صلاة الصبح به ايضا)

---

21) « الخزانة العلمية بالمغرب للاستاذ الكبير محمد العابد الفاسي » ص 36

22) ترجمته في « سلوة الانفاس » ج 2 ص 146 / 148

23) ص 13

24) انظر رسالة « تنبيه الصغير من الولدان » النسخة الاتية الذكر ص 21 ، وعن ترجمة الوهراني ارجع الى « ابتهاج القلوب » (نسخة خاصة) ، و (نشر المثاني) ج : 1 ص 89

25) تدريس الحميدي للتهذيب بهذه المدرسة وارد فى « تنبيه الصغير من الولدان » النسخة الاتية الذكر، ص 18

26) ترجمته في « سلوة الانفاس » ج 2 ص 130 / 131

10) كرسي العبسي بجامع الاندلس :

وهو محمد بن احمد بن عبد الله العبسي الفاسي المتوفى عام 965 (27) / 1557 / 1558 م ، قال المنجور في الفهرسة :

(حضرت عنده مجالس يعرب فيها القرآن ، ويقرىء الالفية بنقل المرادي ، ومختصر خليل ، وشيئا من التفسير ، ومن الدرر اللوامع : بكرسيه بجامع الانـدلس)

العصـر السعـدي :

وسيكون مصدرنا الاساسي في هذا العهد هو الفصلة الدفينة داخل رسالة (تنبيـه الصغيـر من الولـدان .... (28) : حيث تحـدث فيهـا مؤلف الرسالة ابو سالم ابراهيم الكيلالي عن طائفـة مـن الكراسي التى كانت بفاس وقت دراسته بها ابـان المنصور السعدي ، وهو ـ في هذا الصدد ـ يدقـق اكثر من المنجور ، ويقدم لائحة اطول ، وسيقع تقديم هذه الكراسي مرتبة حسب وضعها في جامع القرويين، ثم يذكر الموجود منها بمعاهد فاس الاخرى :

في جامـع القروييـن

11) كرسي مستودع باب الحفاة :

موقعه يمنة الصاعد للمستودع الواقع عن يمين الداخل للقرويين من باب الحفاة ؛ وقد تولى التدريس فيـه :

ا ـ ابو العباس احمد بن علي بن عبـد الرحمـن المنجور الفاسي المتوفى ليلة الاثنيـن 16 قعـدة عام 995 هـ (29) / 1587 م ، وكان يقرىء فيه التوحيـد بقصيدة ابن زكري التلمسـاني : (محصل المقاصـد) صبيحة يومي الخميس والجمعة

ب ـ ابو القاسم بن محمد بن ابي النعيم الغساني الفرناطي ثم الفاسي المتوفى خامس قعدة عام 1032 هـ (30) / 1623 م ، بتولية من المنصور السعدي بعـد وفاة المنجور ، وكـان يدرس فيـه ـ بين المغـرب والعشاء ـ صغـرى السنوسي وبعـض الرسالـة القيروانية ، وبعد صلاة صبح يومي الخميس والجمعة قصيدة ابن زكري الآنفـة الذكـر

12) كـرسـي السيـر :

موضعه خلف ظهر الصومعة ، واستاذه هو ابـو العباس احمد بن علي الزموري ثم الفاسي المتوفى ليلة السبت اول يـوم من رجب عـام 1001 هـ (31) / 1593 م ، ثم تنازل عنه لتلميـذه ابي الحسن علي بن عبد الرحمن بن احمد بن عمران السلاسي ثم الفاسي المتوفى في شهر ربيع الثاني عام 1018 هـ (32) 1609 م

13) كـرسـي التفسيـر :

وكان موضعه يسار الداخل للقرويين من باب الموثقين، ولم يحدد مرجع هذا الموضوع وقت الدراسة به ، وقد تـداول القـراءة عليـه :

ا ـ ابو العباس احمد المنجـور الآنف الذكـر

ب ـ ابو زكرياء يحيى بن محمد السراج الحميري النفزي الفاسي المتوفى في 18 جمادى الاولـى عـام 1007 هـ (33) / 1598 م ، بتوليه من محمد الشيـخ ولي عهد احمد المنصور السعدي ونائبه بفاس بعد وفاة المنجـور

---

27) ترجمته في « جـذوة الاقتباس » ص 153 و « درة الحجال » رقم 636

28) اسمها الكامل : « تنبيه الصغير من الولدان ، على ما وقع في مسالة البارب مع الهاربة من الهـذيان لمدعي استحقاق الفتوى آجليان » ومؤلفها هـو ابـوسالم ابراهيم بن عبد الرحمـن بن عيسى الشهيـر بالكلالـي المزياتي الاصل الورياكلي النشاة نزيل فاس ودفينها سنة 1047 هـ / 1637 م . توجد من هـذه الرسالة نسخة واحدة بالخزانة العامـة بالرباط اول مجموع يحمل رقم ك 571 من ص 1 الى ص 30 ؛ اما الفصلة المعنية بالامر فهي تشغل من هذه الرسالة من ص 15 الى ص 22 .

توجد ترجمة هذا المؤلف ومراجعها في « سلـوة الانفاس » ج 3 ص 256

29) ترجمته في سلوة الانفاس ج 3 ص 60 / 62

30) ترجمته في سلـوة الانفـاس ج 2 ص 104 / 105

31) ترجمتـه في سلـوة الانفـاس ج 1 ص 270 / 271

32) ترجمتـه في سلـوة الانفـاس ج 3 ص 312

33) ترجمتـه في سلـوة الانفـاس ج 2 ص 57 / 58

ج ـ محمد بن قاسم بن محمد بن علي القصار القيسي الاندلسي الغرناطي ثم الفاسي المتوفى في رمضان عام 1012 هـ (34) / 1604 م ؛ بتوليه من المنصور السعدي بعد وفاة السراج

14) كرسي صحيح مسلم :

كان قرب باب الكتبيين ، وكان يقريء فيه :

أ ـ ابو العباس المنجور بين المغرب والعشاء ، وقد وصف طريقته في تدريس هذا الكتاب ابن ابي محلى في الاصليت (35) في القولة التالية :

(.... واما علم الحديث : فقد وقفت ليلة واحدة بجامع القرويين ، والامام المنجور ـ رحمه الله ـ يومئذ على كرسيه بين المغرب والعشاء في الشتاء ، يقرر في سند من اسانيد متونه ، ويعرف برجاله ، اما في مسلم « وهو الواقع » او البخاري ، لصغر سني وقلة علمي ساعتئذ ، فما وعيت منه الا صفة الاقراء ، وكيفية ترتيب المقال ، والبحث في احوال السند بمعرفة رجاله علما ودينا وحفظا وبلدا وزمانا وغير ذلك مما يتعلق بالسند ؛ حتى تتحقق براءته من قوادح الريبة ، ثم يخوض بعدها فيما يخص المتن لفظا اولا ، ومعنى ثانيا ، وما فيه من الروايات ، ومن يوافقه او يخالفه في اهل الصحاح على ذلك عموما او خصوصا ، ثم ياتي بما يعين على فهمه من غيرها كالحسان وما قاربها من الاحاديث ، لتقييد اوتعميم او جمع بين متعارضين او ترجيح او تزييف او تبيين او نسخ ، مما يشهد لمذهب من المذاهب بارجحية او ضدها ، الى غير ذلك من فوائد الفن بعد الاعراب واللغة واستنباط الاحكام)

ب ـ القاضي عبد الواحد بن احمد الحميدي الفاسي المتوفى يوم السبت 18 ربيع الثاني عام 1003 هـ (36) / 1594 م ، وقد صار اليه بعد وفاة المنجور بتولية من طرف ولي العهد محمد الشيخ بن المنصور السعدي

15) كرسي ثاني للتفسير :

موضعه يمنة الداخل للقرويين من باب عقبة البطريين وهوباب الصفر « الواقع في فسحة الكتبيين سابقا » واستاذه هو ابو زكرياء يحيى السراج ثم تنازل عنه لابي القاسم بن ابي النعيم ، وقد مر ذكرهما معا ، وكانت الدراسة في الصباح

16) كرسي اسفل الاسبوع الاعلا (37) :

وهو الواقع بالصف الاول يسرة الخارج من باب مسجد الجنائز ، وقد تداول الدراسة فيه :

أ ـ ابو العباس المنجور سابق الذكر والذي كان يقريء فيه بعد صلاة الظهر درسا لم يعينه مصدر هذا الموضوع

ب ـ ابو القاسم بن ابي محمد قاسم بن محمد ابن سودة المري الغرناطي ثم الفاسي المتوفى يوم الجمعة 25 شوال عام 1004 هـ (38) / 1596 م ؛ صار اليه بعد وفاة المنجور بتولية من المنصور السعدي؛ وقد كان يقريء فيه ـ بعد صلاة الظهر ـ مختصر ابن الحاجب (39) وصغرى السنوسي

ج ـ ولما تولى هذا قضاء مراكش نفذه المنصور السعدي لولده ابي عبد الله محمد المتوفى عام 1015 هـ (40) / 1606 / 1607 م ؛ قال في « الروضة المقصودة » (41) : ووقفت على ظهير السلطان ابي العباس المنصور ، نفذ ما بيد والده من الاحباس؛ كراسي وغيرها ؛ لما ولي والده قضاء مراكش في آخر عمره سنة ثلاث والف)

---

(34) ترجمته في « الاعلام بما حل بمراكش واغمات من الاعلام » ج 4 ص 227 / 233 ، وقد خلت من تاريخ وفاته وهي مذكورة في عدد من المراجع الواردة بهذا المصدر

(35) نسخة المكتبة الملكية بالرباط رقم 100

(36) ترجمته في سلوة الانفاس ج 2 ص 60 / 61

(37) يقصد بالاسبوع الاعلا ما صار بعد يسمى : (مصرية المفتي)

(38) ترجمته في سلوة الانفاس ج 2 ص 61 / 62

(39) لم يوضح مصدر هذا الموضوع هل هو الاصلي او الفرعي

(40) ترجمته في سلوة الانفاس ج 3 ص 80 / 81

(41) نسخة المكتبة الاحمدية

د ـ وبعد وفاة هذا صار الكرسي لولده القاضي العدل ابي عبد الله محمد المتوفى ضحوة الاحد 25 قعدة عام 1076 هـ (42) / 1666 م ، قال في « الروضة المقصودة » ايضا : (وكان عالما متبحرا يدرس على كرسي والده وجده بمسجد القرويين في المعقول والمنقول والتفسير والحديث والفقه وفروع الاحكام ونوازل الفتوى والتصوف)

هذا كلام « الروضة المقصودة » الذي يفيد ان هذا الكرسي لم يكن ـ آنذاك ـ مخصصا بفن معين ؛ ويظهر انه خصص بعد بالحديث ، حيث تسميه الحوالة السليمانية (43) : « كرسي البخاري » ، وسنعود للحديث عن هذا الكرسي في العصر العلوي بحول الله سبحانه

17) الكرسي الشتوي للتفسير :

وكان موقعه بيسرة الداخل للقرويين من الباب المقابل لدرب ابن حيون بانحراف يسير ؛ واستاذه هو القاضي عبد الواحد الحميدي سابق الذكر ؛ الذي كان يقرىء عليه التفسير في فصل الشتاء

18) كرسي ظهر الخصة :

وهي الناحية التي تحمل هذا الاسم شرقي صحن القرويين ، واستاذ هذا الكرسي هو ابو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن علي الشريف الحسني المري الاندلسي ثم التلمساني ثم الفاسي المتوفى عام 1018 هـ (44) / 1609 / 1610 م ، وقد كان يدرس فيه الرسالة القيروانية بعد صلاة الصبح كل يوم

19) كرسي المدونة :

وهو يقابل وجه الداخل لقبة هذه المدرسة ، وكانت القراءة به في فصل الشتاء ، واستاذاه هما :

أ ـ ابو زكرياء يحيى السراج المتقدم
ب ـ محمد بن القاسم القصار السالف الذكر

20) كرسي المرادي على الخلاصة :

ولا ندري هل هو نفس الكرسي السابق او هو كرسي آخر وكانت الدراسة فيه بعد صلاة العصر ، واستاذاه هما :

أ ـ ابو العباس احمد بن علي الزموري السابق الذكر

ب ـ محمد بن قاسم القصار الذي تخلى عنه بعد هذا لغيره

21) كرسي التفسير بجامع الاندلس :

وكان حسب « تنبيه الصغير من الولدان » (45) مسندا الى الحائط الواقع يمين الداخل لجامع الاندلس من الباب المقابل لمدرسة الوادي ، وعن يسار الداخل من الباب المقابل للمدرسة الصغرى ، واستاذاه هما :

أ ـ ابو العباس الزموري المتكرر الذكر ، وكانت قراءته بتفسير الفخر الرازي وقوفا مع رغبة المحبس؛ وقد اطال المصدر الانف الذكر في وصف درس هذا الاستاذ ، وذكر يوم ختمه للتفسير
ب ـ محمد بن قاسم القصار ، ثم تنازل عنه لغيره

ـ يتبع ـ

الرباط ـ محمد المنوني

---

(42) ترجمته في « سلوة الانفاس » ج 3 ص 76 / 77
(43) انظر ص 2 من هذا المقال
(44) ترجمته في « سلوة الانفاس » ج 3 ص 286
(45) ص 17 من النسخة السالفة الذكر مع نشر المثاني ج 1 ص 20 حيث ورد فيها نقل هذه الفقرة ببعض زيادة على النسخة المشار لها

الموحدون والحضارة

للأستاذ : عبد الله العمراني

- 2 -

احطنا في العدد الماضي بظروف نشأة الدولة الموحدية، وبمجهود بعض خلفائها في سبيل تشجيع الادب وتذوقه ، كما الممنا ببعض اقوال العلماء والمؤرخين في هذه الدولة ، وكلها تنوه بها وتقدر فضلها حق قدره ، فلم يبق هناك مجال للتنقيص منها او رميها ــ زورا وبهتانا بانها اعملت يد التدمير والخراب في معالم الحضارة العربية ، وفتكت بالعلماء ... و... كما ادعى ذلك داود كرم في احدى حلقات سلسلة « الجراحة عبر القرون » التي نشرها بمجلة « العالم » الصادرة ببيروت عدد سبتمبر 1965 .

ويهمنا الان ان نزيد القول افصاحا والفكرة ايضاحا ، بان نعرج على شهادة شهود ءاخرين ، وندلي بحججنا في الموضوع كي يرعوي كل من يداخله اقل ريب ، فيرتدع ويرجع الى الصواب وان الرجوع الى الحق خير من التمادي في الباطل .

لقد اراد الكاتب ان يقول شيئا فخانه مقوله ، او لعله حسب ان الامر هزل لا جد ، او ان قوله سيمر مر الكرام لا مر اللئام ، فلا يلتفت اليه احد، او يلتفت اليه بعض من لا دراية لهم بالموضوع، فيعتنقون فكرته ، ويتجهمون ــ مثله ــ في وجه الموحدين ، ويسلكونهم في قائمة المتوحشين المخربين حقا ، وبعد ذلك ليكن ما يكون ، ليغضب التاريخ او ليرضى، ثم بعد ذلك ليحمد الموتورون اسلوب الكاتب ، وليمجدوا مجهوده في البحث ، لانه استطاع ان يدلهم على حقيقة كانت مجهولة لديهم ، ولانه جلاها لهم خير تجلية ، فطوبى له من مخترع مختلق مكتشف جبار .

لعل داود كرم اراد ان يقول مثل ما قاله مؤرخ مفضال ، ولكن خانه ضميره او لسانه او قلمه ، وغره علمه وفهمه ، فرمى بها شعبا عربيا بكامله ، ولكن الرمية اخطأت مرماها ، فلم تصم الضربة الا كاتبها ، قال المؤرخ المفضال ونعني به روم لاندو في كتابه القيم : « الاسلام والعرب » ما يلي :

« .. حتى اذا كان القرن الثالث عشر ، وغزت جحافل المغول الامبراطورية العربية ، بلغ ازدهار الثقافة العربية نهايته ، وليس معنى ذلك انه لم يبق لها وجود بالكلية ، ولكن معناه ان اصالتها وسلطانها نقصا منذ ذلك الحين ، نقصانا كبيرا ، ثم كان الانتصار العثماني ، وبه تلقت روح العرب المبدعة ، ما بدا وكأنه ضربة نهائية قاضية » «1» .

يكاد كلام صاحبنا يتفق مع كلام هذا المؤرخ الخبير المنصف : وغزت جحافل المغول الامبراطورية العربية ــ الثقافة العربية ــ القرن الثالث عشر . انها نفس الالفاظ في مقال صاحبنا ، لكن حتى لا يتهم بالسرقة ــ حرف بعض الشيء ، ولعل التحريف انتج التخريف الذي احل الموحدين محل العثمانيين ، وهكذا لا يستطيع احد ان يقول انه اقتبس او سطا على كلام روم لاندو .

ومهما يكن من امر ، فليس هذا موطن الشاهد ، انه في فقرة اخرى من كلام هذا الجامعي الذي يزن الكلام قبل ان يتكلم ، فلنستمع اليه يقول : « .. حتى اذا جنحت شمس العلم الاسلامي في الشرق الادنى للافول ، عند منبلج القرن الحادي عشر ، كان عصره

1» الاسلام والعرب : ترجمة منير البعلبكي ص 237

الذهبي قد ءاذن بالاشراق في المغرب ، اي في مراكش واسبانية ، وفي المغرب ايضا كان الطبيب المظيم كثيرا ما يحتل منصب الوزارة او منصب المستشار الشخصي للامير الحاكم » «2» .

ان هذا الكلام مناقض تمام المناقضة لما جاء في مقال « الجراحة عبر القرون » ، ولا ندري ما الدوافع التي حدت بكاتبه الى تنكب الجادة ، واقحام قلمه في هذا المضمار ، وتكلفه معرفة ما لا يعرف ، ان هذا الجزء الغربي من الامبراطورية ــ حسب تعبيره ــ قد اسدى خدمة جليلة للطب باكتشافه لفكرة المرضى بالعدوى على يد طبيبين مغربيين هما : لسان الدين بن الخطيب مؤلف كتاب « في الطاعون » وكتاب «امل من طب لمن حب» الذي اهداه الى احد ملوك بني مرين ، والثاني هو ابن خاتمة « 1323 ــ 1369 » الذي كانت رسالته في الطاعون اعظم شانا من رسالة صاحبه ، جاء في رسالته تلك قوله : « ان ثمرة اختباري الطويل هي انه حين يحتك شخص بمريض يصاب في الحال بذلك المرض ، وتبدو عليه اعراضه نفسها .. ثم ان المريض الثاني ينقل الداء بدوره الى غيره» قد يبدو هذا الكلام بسيطا الان ، لكنه في ذلك الوقت كان اكتشافا خطيرا لان الناس كانوا يعتقدون ان الطاعون عمل من اعمال الله لا شان له بالبراغيث التي تحملها الفئران ، ولا شان له بالعدوى .

ان داود كرم لم يتجن على الموحدين كدولة ، او على المغاربة كمجتمع عاش افراده في فترة ما من فترات التاريخ ، وانما اساء الى الشعب المغربي كشعب حي متطور عبر التاريخ ، ومنتج للحضارة خلاق ، واراني مضطرا ان اشير في هذا المجال الى فكرة العالم الروسي نيكولاي دانيلفسكي حول تصنيف الشعوب من حيث الحضارات الى ثلاثة اصناف :

1 ــ صنف يضم الشعوب التي تشكل قوى ايجابية خلاقة منتجة للحضارة .

ب ــ وصنف يشمل الشعوب التي تلعب دورا سلبيا هداما مثل المغول والهون والترك .

ج ــ ثم صنف يضم الشعوب التي لم تبلغ مستوى الحضارات ، فهي لا تلعب دورا هداما للحضارة ، ولا تصنع تاريخا حضاريا، بل تستخدمها القوى التاريخية الايجابية او السلبية كمادة سلبية لنشاطها وعملها «3»

فلو اخذنا بهذه الفكرة ، وساءلنا الكاتب : اين يضع المغرب او الموحدين بين الاصناف الثلاثة ، لاجاب ــ وقد اجاب بالفعل وبالباطل ــ بانه يضعه في الصنف الثاني جنبا الى جنب مع الهون والمغول والترك القدامى ولضرب عرض الحائط ــ وقد فعل ــ بكل حقائق التاريخ الناصعة ، وحججه الدامغة التي توجد امام ناظريه في كل مكان .

يقول احد الثقات من المؤرخين : « على الرغم من ان اسبانية ومراكش « المغرب » كانتا الولايتين الواقعتين في اقصى الغرب من الامبراطورية العربية فقد شكلتا معا الجسر الرئيسي الذي تسربت الحضارة والثقافة الاسلاميتان عبره الى اوربا » «4» .

ثم يقول هذا المؤلف المنصف : « وفي فنون وصناعات الخزف والفولاذ والجلد ، من العسير على المرء ان يقرر حتى يومنا هذا اي الاثار اسباني خالص؟ وايها مراكشي خالص ؟ وهكذا نجد ان اسبانيا واوربا برمتها ايضا مدينتان اعظم الدين لعبقرية المسلمين سواء في اللغة والادب ، او الفن والعمارة ، او الحرف والصناعة ، او العلم والفلسفة » «5» .

افبعد هذا البيان بيان ؟ ابعد الاتيان بهذه الحجج ــ ولو اردنا لاكثرنا ــ يصح ان نرمي شعب المغرب العربي ، او دولة الموحدين في المغرب والاندلس بانها كانت وبالا على الحضارة العربية ؟ من يجرؤ على مثل هذا القول ، غير المغالطين المكابرين ؟ « كبرت كلمة تخرج من افواههم ، ان يقولون الا كذبا » .

وتركيزا للبحث ، وتاكيدا للدور الهام الذي لعبه المغرب في فرع بسيط لكنه مهم من فروع الحضارة ، يجدر بنا ان نتصفح وجوه بعض الاطباء الذين رفعوا راس المغرب عاليا ، واسهموا في ميدان الحضارة والثقافة العربية والعالمية بنصيب لا ينكره الا الجاحدون . الاطباء كثر ، وكثير منهم ــ للاسف ــ

2» المصدر السابق ص 264ــ265 ــ و267 .
3» مستقبل الحضارة . تاليف دي بويس ، وترجمة لمي المطيعي ص 29 ــ 32
4» روم لاندو : العرب والاسلام ص 170
5» المصدر السابق ص 181 .

لم يحتفظ لنا التاريخ باثارهم ، ومن ثم لم يمكنا الاطلاع عليها او رؤيتها راي العين ، غير ان بعضا منهم — وهدفنا التمثيل لا الاستقصاء — قد تمكن العالم من معرفتهم بما اسهموا به في ميدان العلم والفلسفة والطب والتاليف وما اشبه ذلك ، ولذا يستحقون منا كل اهتمام واعتبار ، ومن هؤلاء من اضفوا على الدولة المغربية بريقا خلابا من نور العلم ، وعلى القرون الثاني عشر الميلادي وجزء من الذي يليه ، عظمة وازدهارا ، وذلك هو عصر الموحدين المفترى عليهم .

عائلة بني زهر

ولنبدا بهذه الاسرة التي اسدت خدمات طبية جليلة ، وتتالف من عدة اطباء تعاقبوا على الدهر ، فاحدثوا فيه :

1 — آثارا خالدة **واولهم** : يعرف باسم محمد ابن مروان بن زهر ، و لانعرف شيئا عن مجهوداته الطبية ، غير اننا نعرف انه كان فقيها من فقهاء تلابيرة Talavera القريبة من مدينة طليطلة ، وفقيها توفي سنة 1035م

2 — وثانيهم هوابنه ابومروان عبدالملك بن محمد ابن مروان بن زهر ، وقد قضى حياته في القيران وفي بغداد والقاهرة وفي دانية بالاندلس حيث كان طبيبا خاصا لملك دانية محمد العامري وفي الاندلس كتب وحرر بعض كتبه الصغيرة ، التي دعا فيها الى عدم استعمال الحمام لاعتقاده انه يعفن الجسم ويفسد تركيب الامزجة .

3 — وثالثهم : ابنه ابو العلا زهر بن ابي مروان ابن زهر من مواليد اشبيلية حيث كان ابوه قد ذهب لمزاولة مهنته الطبية عندما مات ملك دانية من ملوك الطوائف

وفي اشبيلية صار طبيبا خاصا لملك اشبيلية المعتضد بالله ابن عباد الذي منحه مدفنا له ولسلالته بجوار باب النصر باشبيلية ، ويظهر ان هذا اول طبيب اندلسي ورد على المغرب سنة 1092 م بعد استيلاء المرابطين على الاندلس ، فصار طبيبا خاصا لعاهل المرابطين يوسف بن تاشفين ، وفي اغمات تولى علاج الرميكية زوجة ملكه السابق المعتمد ابن عباد الذي كان اسيرا بالمغرب .

كان ابو العلا يثق بنفسه لدرجة انه كان يابى قبول اي علم اجنبي ، ويقال في هذا الصدد انه رفض ان يقرا « قانون » ابن سينا الذي دخل الاندلس في عهده ، ويظهر ان هذا الطبيب كان ممتازا في دراسة النبض وحركة القلب ، وفي تحليل البول ايضا ، وقد ترك لنا عدة كتب تحتفظ مكتبة الاسكوريال بواحد منها يدعى « المجربات » وهو عبارة عن ملاحظاته الطبية سجلها في اوراق خاصة ، امر بجمعها — بعد وفاتها — امير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين ، ويحمل في فهرس الاسكوريال عدد 844 وكان يحمل من قبل 839، وله ملاحظات اخرى سجلها لولده هي كتاب «التذكرة» الذي ترجمه وطبعه كولان عام 1911 بباريس بعد ان ترجم الى اللاتينية عدة مرات ابتداء من سنة 1282 م وقد قدمه بمقدمة موجهة الى ولده ينصحه فيها ويعرفه بالامراض السائدة في مراكش ، وبالادوية المناسبة لها ، وقد ترجمت التذكرة الى العبرية واللاتينية ، وله رسالة في امراض الكلى كتبها لعلي بن يوسف ، وقد ترجمت الى اللاتينية ، اما في مكتبة باريس فيوجد كتاب له عن « الخواص » و « شرح » لرسالة يعقوب الكندي حول تركيب الادوية ، وله بخزانة الرباط كتاب «جامع اسرار الطب » هذا ويذكر غ.غ. غابنت ان الكتاب الذي امر بجمعه امير المرابطين هو كتاب « التذكرة » لا كتاب «المجربات» وقد توفي هذا العالم سنة 1130 م .

4 — ومنهم ابو مروان عبد الملك بن ابي العلا وهو الذي يعرفه الغربيون باسم Avenzoar او Abén Zohr هو من مواليد اشبيلية تعلم الطب على والده ، وقد استطاع مزاولة الطب وهو ابن سبع عشرة سنة ، يعده البعض اشهر اطباء اسبانيا المسلمة ، ومن اشهر اطباء الاسلام ، بل يعتبره ارفع منزلة من ابن سينا ، وذلك للصفة العملية التي تتصف بها كتبه ، وهو اكثر عمقا في الطب من اي طبيب عربي ءاخر ، ذلك لانه تخصص في مهنة الطب فلم يتصف — كسابقيه او معاصريه من الاطباء — بالصفة الموسوعية التي كانوا يتصفون بها ، فهو اول طبيب قح مختص سجلت اسمه القرون الوسطى لانه لم يشتغل الا بالطب «6» .

لقي حظوة لدى المرابطين والموحدين معا ، فقد كان طبيبا خاصا لامير المومنين عبد المومن بن علي الذي قلده وظائف عالية ، ومنحه شرف « محضر الترياق »

(6 Fidel Fernandez: La Medicina Arabe en Espana, p.p. 79-80.

وتحضير الترياق كان عملا مقصورا على الطبيب المفضل من اطباء البلاط المغربي ، وقد الف للامير كتاب « الترياق السبعيني » .

ومن تاليفه الهامة كتاب « التيسير فى المداواة والتدبير » الذي الفه لتلميذه ابن رشد الذي كان يعلمه ويدلله ويلاطفه ملاطفة ابنه الروحي ، وقد شحن هذا التاليف بافكار شخصية ذات فائدة تاريخية عظيمة وقد ترجم الى اللاتينية والعبرية ومن تاليفه كتاب « الاقتصاد » يوجد مخطوطا بمكتبة باريس يحمل عدد 2959 ويتالف من 140 ورقة ، الفه بناء على طلب الامير ابراهيم اخي امير المسلمين علي بن يوسف ابن تاشفين ، وله فى نفس المكتبة كتاب الاغذية والادوية الذي اهداه الى عبد المومن ، وله كتب اخرى . وهكذا نجد هذا الطبيب من المخضرمين الذين عاصروا دولتي المرابطين والموحدين ، وعاشروا ملوك هذه وتلك وقد توفى سنة 1162 م

5 — ومنهم ابو بكر محمد بن عبد الملك ابن زهر ولد فى اشبيلية سنة 1113 م وامتاز بنبوغه وذكائه وقوة ملاحظته ، ولم يتخصص فى الطب كابيه ، بل اشتغل الى جانب الطب بالادب والفقه والفلسفة ، قد برع فى نظم الشعر كما قال ازجالا وموشحات بلغت من الكمال مبلغا جعل الناس يروونها كنماذج لهذين الفنين .

وكان كاسلافه يتمتع بالحظوة لدى الموحدين فكان طبيبا خاصا لابي يوسف يعقوب المنصور ، يصفه المراكشي بالوزير الاجل بن الوزير وبالامام المقدم فى صناعة الموشح «7» غير ان الوزير ابا سعيد الذي كان من احذق العلماء ، كان يتضايق من هذا العالم ، وربما غار من حظوته لدى الامبراطور ، فدس له السم فى طبق بيض كما يقال ومات سنة 1199 م «596» بمدينة مراكش «8» وقبل ان يتوفاه الله اوصى ان يكتب على قبره قوله «9» :

تامل بحقك يا واقفا ولاحظ مكانا وقعنا اليه
تراب الضريح على وجنتي كاني لم امش يوما عليه
اداوي الانام حذار المنون ، وها انا قد صرت رهنا لديه

6 — ومنهم ابو محمد عبد الله بن ابي بكر ابن زهر ، كان الحلقة السادسة فى سلسلة اطباء هذه العائلة الشهيرة ، ورث عن والده مهارته الطبية ، كما ورث عنه الحظوة التي كان يتمتع بها لدى خلفاء الموحدين واكاد اقول انه ورث عنه حتى الكيفية التي مات بها ، فقد كان مثل والده ضحية عملية تسميم ، فاختفى من عالم الوجود فى اشبيلية سنة 1205 م الف فى «امراض العيون » .

7—8 — ابو العلا وابو مروان عبد الملك ، ابنا عبد الله السابق الذكر ، وهما الاسمان الاخيران من مجموع الاطباء الذكور الذين ينتسبون الى عائلة بني زهر التي شغلت ما يقرب من قرنين من الزمان فى تاريخ الطب بالمغرب ، وتوجد طبيبتان من هذه العائلة سنشير اليهما فى آخر هذا البحث .

ابو بكر بن محمد ابن طفيل

ولد فى « وادي آش » «10» بالاندلس قبل سنة 503 هـ « 1110 م» وتوفى سنة 581 هـ «1185م» والعلماء متفقون على تاريخ وفاته ، ولكنهم مختلفون فى تاريخ ميلاده فالعالم فيدل فرنانديت يجعل ولادته حوالى سنة 1116م ، ولكنه لا يلبث ان يقول عنه انه تخلى لابن رشد عن وظيفة طبيب القصر سنة 1182 عندما كان عمره زهاء السبعين «11» وهذا القول لا يستقيم مع قوله الاول ، لذا ارى ان هناك خطا ربما كان مطبعيا اذ ان الصفر قريب من رقم 6 ، فى حين ان انخيل كنثالينثيا «12» يجعل ميلاده قبل 506هـ 1110م وقلده فى ذلك الاستاذ احمدامين «13»

7» المصدر السابق ثم هذا Guillermo G. Gallent: Sintesis de Historia de Marruecos, p. 85.
8» المعجب ص 50—52
9» تاريخ الفكر الاندلسي : ترجمة حسين مؤنس ص 129
10» Guadix مدينةمن اعمال غرناطة . ووهم الاستاذ ابو ريدة فترجمها بقادس « «تاريخ الفلسفة فى الاسلام ص 249 »
11» La Medicina Arabe, p.p. 87-88.
12» تاريخ الفكر الاندلسي : ص 384
13» حي بن يقظان : ص 9

ولكن الخطأ في المقابلة ، اذ ان سنة 1110م يقابلها من التاريخ الهجري سنة 503 لا سنة 506 .

اشتهر ابن طفيل في ميدان الفلسفة بسبب قصته الفلسفية « حي بن يقظان » التي اشتهرت في الغرب بسبب ترجمتها الى اللاتينية على يد « بوكوك » باسم الفيلسوف المعلم نفسه وقد نشرت هذه الترجمة سنة 1671م كما ترجمت بعد ذلك الى الفرنسية سنة 1900 وسنة 1937 ثم الى الاسبانية ، سنة 1910 وسنة 1934 . وقد استوحى فكرة هذه القصة الاديب دانيال دي فو عندما كتب قصته المشهورة « روبنسون كروزو » .

ويبدو ان ابن طفيل الف في الفلسفة كثيرا فقد قال العلامة المراكشي : ورايت لابي بكر هذا هذا تصانيف في انواع الفلسفة من الطبيعيات والالهيات وغير ذلك » «14» وبعد ان ذكر رسالة حي بن يقظان التي عدها من الطبيعيات ، قال : «ومن تصانيفه الالهيات رسالة في النفس رايتها بخطه رحمه الله » «15» لكن هذه الرسالة كسائر كتبه الاخرى تعد ضائعة .

ومن الطبيعي اننا نورد اسمه هنا لا على هذا الاساس الفلسفي ، ولكن على اساس انه طبيب ، ومعلوم ان اطباءنا الاقدمين ، كانوا يتمسون بصفة الموسوعية ، وقد سبق ان اشرنا الى هذا . اجل ، اننا نورد هنا هذا العالم لاسباب ودواع :

ا — خبرته الواسعة في ميدان الطب ، فله عدة كتب ضاعت كلها للاسف ، ولم يبق لنا من تراثه العلمي غير قصته الخالدة ، لقد كان ابن طفيل — كعلماء عصره — يعرف اكثر من لغة ، ولذا اتيح له الاطلاع على كتب الاقدمين في الطب وغيرها ، كما اتيحت له مناقشتها الى جانب تآليفه هو في الموضوع . ومن تآليفه الطبية كتابان نعرفهما من خلال تنويه ابن رشد بهما : احدهما في الادوية المفردة :
De medicamentos simples
والاخر سماه : محاورات بين ابن رشد وابن طفيل .
Discusiones entre Aberroés y A. Ben Tofail

وليس هذا فحسب ، بل انه اخترع نظاما فلكيا خالف نظام بطليموس تمام المخالفة .

ب — مزاولته للطب : فقد كانت وظيفة الطبيب الاول من جملة الوظائف العليا التي اسندها اليه امبراطور الموحدين عبد المومن بن علي ، فقد ولاه اولا سكرتيرا خاصا لابنه الامير ابي سعيد عثمان ثم قلده منصب قاضي ، فطبيب للبلاط فوزير للدولة.

ولما بلغ من الكبر عتيا — وكان قد تفضل على ابن رشد الفيلسوف والطبيب ، فعرفه بسلطان الموحدين — تخلى لهذا الاخير عن وظيفة الطبيب الخاص بالبلاط ، واكتفى هو بمزاولة مهامه كوزير ، وتفرغ للتاليف في الالهيات .

ج — ان الموحدين هم الذين اظهروا ابن طفيل ، واكسبوه الشهرة التي يتمتع بها ، ذلك انه كان بالاندلس مع امير وادي آش الذي اعلن استقلال مقاطعته سنة 1145م واستولى على بياسة ، وحكم المنطقة مدة الى ان تغلب عليه المرابطون ، وقضوا على عرشه وحريته ، واستاقوه اسيرا الى المغرب ، وجاء معه ابن طفيل .

ولفتت مواهب هذا الرجل وحكمته انظار المغاربة ، ونظر امير الموحدين عبد المومن خاصة ، فعينه سنة 1154م سكرتيرا خاصا لابنه ابي سعيد عثمان حاكم سبتة وطنجة والجزيرة الخضراء ، وقد رافق صاحبنا هذا الامير سنة 1154م عندما غزا المرية التي كان الاسبان قد استولوا عليها ، كما غزا معه وادي آش « مسقط راسه » ثم غرناطة التي كان قد تحصن بها حاكمها ابو عبد الله محمد بن سعد.

ولما توفي عبد المومن ، وخلفه ابنه ابو يعقوب يوسف نال صاحبنا لديه حظوة كبيرة يدلنا عليها المؤرخ المعاصر عبد الواحد المراكشي الذي قال : « وكان امير المومنين ابو يعقوب شديد الشغف به والحب له ، بلغني انه كان يقيم في القصر عنده اياما ، ليلا ونهارا لا يظهر ، وكان ابو بكر هذا احد حسنات الدهر في ذاته وادواته » «16» .

وعندما توفي الامير ابو يعقوب يوسف ، حضر ابن طفيل جنازته ، كما حضر حفلة تتويج خلفه ابنه ابو يوسف يعقوب رابع ملوك الموحدين الذين منحوه ثقتهم دون تحفظ ، غير ان صاحبنا لم يلبث ان توفاه الله سنة 1185 م فشيع امبراطور الموحدين جنازته ، وذلك شرف لم يكن يمنحه الخليفة لاي كان «17» .

تطوان — عبد الله العمراني

«14» المعجب : ص 145 .
«15» La Medicina Arabe, p. 87.
«16» المعجب ص 145
«17» الطب العربي ص 88 .

الحياة الاجتماعية والاقتصادية

في عهد بني مرين

للأستاذ : ابراهيم حركات

استقرت عناصر سكان المغرب في هذه الفترة ، على ما كانت عليه في عهد الموحدين ، وبدأ اثر العنصر العربي يشتد في توجيه الحياة السياسية شيئا فشيئا، ولكنه لم يكن العامل الوحيد ولا الاساسي في ضعف الدولة او سقوطها كما توهم « طيراس » . فقد اعتمد بنو مرين على عناصر اجنبية في قيادة الجيش وبعض وحداته ، خصوصا بعد ابي عنان ، كما استخدموا عددا من اليهود غير المخلصين ، وشغلتهم تدخلات بني الاحمر وحروب بني عبد الواد ، الى غير ذلك من العوامل ، فمن الظلم والحالة هذه ، ان تنسب الى البدو العرب ، اسقاط دولة بني مرين ، ولكن ، لا ريب ان استقرارهم في السهول الاطلسية التي هي من اخصب مناطق المغرب ، جعل البربر فئتين ، فئة ساكنتهم وانصهرت فيهم ، وفئة انحازت الى جبال الاطلس حيث يتضاءل النفوذ العربي ، ولكننا لا نعرف مع ذلك ، حربا قامت بين العرب والبربر من اجل هذا الاستقرار الذي لم يشجعه ويرحب به مقدما ، سوى ملوك البربر انفسهم ، وبالرغم من قلة خبرة البدو العرب في الزراعة والغراسة بالنسبة الى البربر ، فان ضعف موارد الدولة ايام انحطاطها انما نشأ من عجزها عن تنسيق وتدبير ميزانيتها ، وعدم الضرب بشدة على ايدي الثوار من بدو العرب الذين لم يتطاولوا على الدولة الا بعد انهيار جهازها ، وعلى كل ، فلا نجد في تاريخ بني مرين اثرا يستحق الذكر مما يدل على وجود حركة عنصرية عربية ضد العنصر البربري او بالعكس ، وقد تمكن هؤلاء البدو فيما بعد ، ان يكرسوا انفسهم للجهاد ضد التدخل المسيحي الاوروبي ، فدافعوا باستماتة عن شواطئ المغرب ، شأن اخوانهم من البربر ومهاجري الاندلس ، وان كان هذا لا يمنع من تسجيل اثرهم السيء في الاقتصاد المغربي والحياة الاجتماعية في بعض مظاهرها .

ومما لا يمكن انكاره ، ان البدو قد كونوا مجموعة خاصة بسبب اختلاف اللغة وبعض العادات ، غير ان هذه المجموعة ، سرعان ما بدأت تنحل مع الزمن ، وانما كانت وحدتها اجتماعية ولم تكن قط سياسية .

وفيما يتعلق بحياة المدن ، فقد سجل ابن الخطيب في « معيار الاختيار » وصفا دقيقا لانماط الحياة بعدد من مدن المغرب المشهورة ، فوصف اهل سبتة بالتكلف في الولائم وشدة الاقتصاد ، حتى انهم « يجملون الخبز في الولائم بعدد الجماجم » وانهم يفاخرون بمدنيتهم غاية المفاخرة .

وقال عن سلا انها جامعة بين البداوة والحضارة، واثبت ان اهل ازمور بربريو اللسان « اي في عهده ، وهو يقصد ازمور الساحلية » .

ووصف اهل فاس الجديدة « المدينة البيضاء » بانهم يرون لانفسهم مزية الفضل ، يلقى الرجل ابا مثواه فلا يدعوه لبيته ، ولا يسمح له ببقله ولا بزيته ، فلا يطرق الضيف حماهم . .

ووصف اهل سجلماسة بعمش العيون ، ومدينتهم بكثرة الحصى والغبار .

كما سجل مسافر برتغالي بعض مشاهداته عن الحياة الاجتماعية بنواحي القصر في الشمال فذكر ان اكثر سكان هذه الجهات فقراء رثوا اللباس ، واغلب ثروتهم من الماشية ، وهم شجعان ذوو حيل ، وليس لديهم عدل، شديدو الطمع والخداع ، ومساكنهم مبنية بالتبن والقش ، وبقرهم وثيرانهم صغيرة ، لكنها قوية تدر لبنا غزيرا ، وتأكل كثيرا ، وهي هادئة ، لانها

تنام عادة في منازل السكان ، وهؤلاء يستكثرون من السمن في طعامهم ، اذ ليس لديهم زيت لشدة غلائها ، ولانها تأتي من بعيد ، وسمكهم قليل ، ولكن فواكههم كثيرة لذيذة ، واكثرهم يشربون الخمر بدون تحفظ « ذكر ذلك ليون الافريقي ايضا » ، وهم اقل الامم خوفا من الموت .

على ان ما سجله هذا المسافر المدقق ، يشمل بعض مظاهر الحياة في النواحي الشمالية في عصر الانحطاط المريني .

ومما ذكر عن آثار التخريب والنكسة الاجتماعية التي حصلت في بعض مناطق المغرب نتيجة تدخل البدو العرب ، ما جاء على لسان صاحب نفح الطيب اذ يقول:

« دخلت مكناسة هذه مرارا عديدة ، وقد ابلى الدهر محاسنها التي كانت في زمان لسان الدين بن الخطيب جديدة ، واستولى عليها الخراب ، وتكدر منها بالفتن الشراب ، وعاث في ظاهرها الاعراب »

ومع ان المقري عاصر السعديين ولم يشهد عصر المرينيين ، فانه يضيف الى كلامه السابق عن ناحية مكناس قوله :

« على ان ضواحيها كانت في زمان لسان الدين مأوى للمحاربين واللصوص ، ومثوى للاعراب الذين اعضل داؤهم باقطار المغرب » .

وقد انصهرت عناصر بربرية في بوتقة العروبة كما وقع العكس ، حيث نجد ناحية دكالة ، بل ومختلف نواحي المحيط حتى الصويرة ، قد تعربت كلها ، كما اكتسبت عناصر عربية بسوس وغيرها تقاليد البدو لهجة السكان الاصليين .

وحتى اسرة بني مرين التي ارتبطت بالمصاهرة مع قبائل العرب ضمانا لولائها ، تحضرت مع مر الاجيال ، واصبحت عربية في كل تقاليدها وفي لهجتها، اذ قطنت المدن الرئيسية بالمغرب .

وفيما يخص الزي ، فقد كان لباس عامة البربر كساء من صوف ومطرفة من ارجوان وجلموسا غليظا على الراس ، كما كانوا يتقلدون سرافا ، وهو سكين كبيرة .

وكا لباس الفقهاء كسوة تشتمل على برنوس وبرد كلاهما ابيض من صوف ، ثم احرام للتردية ومنديل يتعمم به ودراعتين وقبطية سداسية .

اما اتخاذ البياض في اللباس فمقتبس عن اهل الاندلس ، منذ ان اقترح استعماله زرياب المغني على بني امية ، ولو ان الاندلسيين لم يلتزموا به دئما .

وكان لمشايخ وقادة الجيش عربا او زناتيين يلبسون زيا متشابها ، وهو عمامة طويلة خفيفة يغطيها لثام ينزل الى الكتف ، وكانوا يحملوا سيفا ويتمنطقون باحزمة للزينة ، وكان الكتاب يتعممون بعمامة خضراء ولا يحملون سيفا .

وكانت الاحتفالات بالاعياد تكتسي طابعا رسميا وشعبيا ، وهكذا فقد كان ابو الحسن المريني يقدم عطايا لقواد العسكر والقضاة والائمة والخطباء والحاشية ، في كل من عيد الفطر والاضحى والمولد ؛ فيعطي هؤلاء ليلة عيد الاضحى مائة من الغنم لكل واحد، وراسا للنفر من الجند ، وفي ليلة المولد يوزع مائة الف دينار على الفقهاء والاشراف والطلبة والحفاظ ومن يحضر المولد من العلماء والقضاة وغيرهم ممن يقوم بمهمة في ليلة عيد المولد ، فياخذ كل منهم من عشرة الى مائة دينار .

وقد صار الاحتفال رسميا بعيد المولد منذ عهد يوسف بن يعقوب سنة 691هـ ، مع العلم ان بني العزفي سبقوهم الى ذلك بسبتة .

وكانت هناك العاب خاصة تجري بقصر الملك ، فقد روي ان ابا عنان اشرف ذات يوم من احد الابراج على مصارعة بين ثور واسد ، فوصف ابن جزي ذلك حيث قال :

لله يوم بدار الملك مر به
من العجائب ما لم يجر في خلدي
لاح الخليفة في برج العلا قمرا
يشاهد الحرب بين الثور والاسد

وتجدر الاشارة بهذا الصدد ، الى ان الاسود كانت توجد بكثرة في غابات المغرب في هذا الوقت وبعده بكثير .

وكانت توجد بسبتة اماكن متعددة للرماية والسباق ، حسبما جاء في « اختصار الاخبار » ، اذ كانت هناك مرام خاصة بكل مجموعة من السكان تربطهم رابطة معينة ، فكانت هناك مثلا ، مرام خاصة بالقاضي وكبار الفقهاء وغيرهم « اذ الرمي طبع لاهل

سبتة ، طبعوا عليه ، فلا تلقى شريفـا ولا مشروفا ولا كبيرا ولا صغيـرا الا وله بصر بالرمي » .

ويعتبر هذا العصر عهد انتشار الموشحـات الاندلسية بالمغرب ، كما انتشر الزجل كغناء شعبي ، وبما ان الموشحات لها وضع موسيقي خاص مـع سمو لغتها بالنسبة الى الزجل ، فقد عني بها علـى الخصوص ، الطبقات البورجوازية والاوساط الثقافية

والازجال كما هو معلوم ، من وضع اندلسي هـو ابو بكر بن قزمـان الذي عاصر المرابطيـن ، ولو ان المحاولات بدات قبله ، ولكنها اتخذت طابعها المتميـز في عهده ، وفي عصر بني مرين ، اشتهر فيها كثيرون ، بينهم كبار الكتاب . ومن المجيدين لسان الدين بـن الخطيب وابو عبد الله الالوسي ، وعلي بن المؤذن وابـن شجاع وهو من تازا ، والكفيف من اهل زرهـون .

ومن الطبيعي ان تنتقل الازجال الاندلسية الـى المغرب ، ما دام الاتصال بين العدوتين مستمرا . ولم تكـن لغة الازجال نفسـها بعيدة من الفصحى كما يدل على ذلـك قول ابـن شجاع :

تعب من تبع قلبو ملاح ذا الزمـان
اهمل يا فلان لا يلعب الحسن فيـك
ما منهم مليـح عاهد الا وخـان
قليل من عليه تحبس ويحبس عليك

ومن اجود ما قيـل من الازجال قصيدة الكفيف في تعزية بني مرين عن انهزامهم في افريقيـة ايام ابـي الحسـن ، ومن ابياتهـا :

لو كان مـا بيـن تونس الغربا
وبـلاد الغرب سـد السكنـدر
مبنـي مـن شرقهـا الـى غربـا
طبقـا بحديـدا وثانيـا بصفـر
لابـد الطيـر ان تجيـب نبـا
او ياتـي الريح عنهم بـفرد خبـر

وقد احدث الفاسيون كـما يذكره ابن خلدون ، في نهاية « المقدمة » عـدة انـواع مـن الزجـل كالمزدوج ، والكـاري ، والملعبـة ، ضمنـه نظامـه ومغنوه ، مختلف المعانـي والابـواب كـما حـدث في الموشحات ، فجاء بذلك ، تعبيرا حقيقيا عن ميـول طبقات الشعب وتفكيرها وانماط حياتها .

ونظرا لطول ملك الدولة ، فقد اختلفت الاوضاع الاقتصادية باختلاف عهد الملوك الذين تعاقبوا عليهـا ، غير ان فترة التقدم السياسي صاحبها ازدهـار ملموس في الحياة الاقتصادية ، فقد قيل ان السنـة التي بويع فيها يعقوب المنصور ، بيع فيها القمـح بستـة دراهـم للصحفة ، والكبش بخمسة دراهـم والشابل وحدة بقيراط . ولا شك ان اسعـار المـواد الغذائية الاساسية ، تشكـل المقياس الحقيقي لسائر اثمـان المعيشـة وعلى الاقل ، فالرخـاء يومئـذ ، كان معناه كثرة العرض بسبب وفرة الانتاج ، ولكـن في عهد السلطان يوسف ، انخفضت قيمة العملـة بالنسبة للماضي ، حيث بيعت صحفة القمح بعشرين درهمـا .

ومن اهم المراكز الاقتصادية بالمغرب في العهـد المريني ، اصيلا التـي كانت مركزا للتجار الاجانب ، وكان يباع بها الملف والتوابل ، فضلا عن مصيدهـا الغزير السـمك ، وفي نواحـي سلا كان يزرع القطـن والكتـان ، اما آنفا فكانت تتوفر على الفواكه والحبوب الوافرة ، وامتازت مراكش بغزارة زيوتها المستخرجـة من المعاصر ، امـا سجلماسة ، فقد كانت مصـدرا عظيمـا للذهب المستورد من السودان .

وقد اصبحت ناحية مكناس منذ العهد المريني كلها جنات مغروسة ، وكانت المداشر تحيط بها من مختلف الجهات ، حتى عد ابن غازي منها اثني عشر الـف مدشـر ، وهو عدد في منتهى المبالغة ، ولكنه يدل على مدى عمران هذه الناحيـة يومئذ .

وفي عهد يعقوب ، استمر الرخاء خمس عشـرة سنـة متوالية ، حتى اصبحت القطانى لا يوجـد مـن يشتريهـا .

ونشطت تجارة المغرب مع الخارج ، حيث كـان ميناء سبتة يجتذب سفن البندقية ومونتبليون وجنوة ومرسيليا وغيرها فتصـدر الـى المغرب الملـف والمنسوجات والسلاح والخمر والخردوات والثوب والكتـان ، وتشحن منه الصوف والقطـن والزرابـي والخيل والجلود والغنـم والشمـع .

ابراهيـم حركـات

أبو القاسم السبتي

في شرح مقصورة حازم

للأستاذ : محمد بن عبد العزيز الدباغ

تضم الخزانة المغربية كتبا ادبية عامة الفت فى حقب مختلفة وهي بحق تعتبر صورة ناطقة لما قام به المغاربة من جهود فى احياء اللغة العربية ومرءاة وضاءة صقيلة تبدي مشاركة هاته البلاد فى تنمية الثقافة وتعهدها .

واذا كانت جل هاته الكتب ما زالت مخطوطة فان ما طبع منها ليدلنا على انها كتب تستحق العناية والتقدير ، وتستوجب من النقاد دراستها وتفهمها والعمل على ابراز محاسنها واخراج مكنونها

وان هاته الكتب لتساعدنا على تتبع مراكز الحضارة والثقافة فى بلادنا وعلى معرفة الحقب التي ازدهر فيها العلم والادب وترسم لنا مواقفنا فى تاريخ العروبة والاسلام وتهدينا الى معرفة العلاقات الثقافية العامة التي كانت بيننا وبين الشرق من جهة وبيننا وبين الاندلس والمغرب العربي من جهة اخرى .

ان هاته الروابط الثقافية التي كانت بين المغرب وغيره من الامصار الاسلامية والعربية لدليل على ما في الطبع المغربي من تجاوب مع روح الثقافة العربية الاسلامية التي كان يتذوقها العرب والمسلمون فى كل مكان .

ولم يكن موقف المغرب سلبيا فى تاريخه الثقافي بل عمد اول الامر الى استيعاب الثقافة الشرقية فتلقاها بشغف ثم امتزج بها وتذوقها ثم ابرزها بعد ذلك فى صورة ملائمة لاحواله مواتية لمشاكله منسجمة مع طبيعته وذاتيته منصهرة فى نظمه العامة التي كانت تتلون بتلون الفلسفات المختلفة التي كان يهدف الى تحقيقها كثير من القادة والمفكرين .

ظهر هذا التلون فى العلم وظهر فى الادب فقد اصبح للادب العربي مكانة ملحوظة فى نفوس المغاربة فقلدوه اول الامر ثم ظهرت بعض الجوانب الاقليمية فيه فكان ادبا رائعا تختلف اغراضه باختلاف الاحوال والاعصر والاتجاهات الفكرية السياسية التي كانت تتحكم فى المغرب من حين لآخر .

ولقد ازدهر الفكر والادب فى عصر المرابطين والموحدين لعوامل مختلفة من اهمها الامتزاج الذي وقع بين الاندلس والمغرب ثم العناية الكبرى التي كان يوليها الملوك للعلم وللادب والتشجيعات المتواصلة التي كانت تطلق السنة الشعراء وتسيل مداد المؤلفين فى شتى العلوم وتلهم عددا كبيرا من النبغاء .

ومن الطبيعي ان العناية اذا اولاها الحاكمون الى العلم دفعت الجمهور الى تقدير العلماء ورغبتهم فى طلبه ودراسته .

ثم انتقلت العناية بالعلم الى الدولة المرينية التي كان ملوكها يمهدون له السبل ويشيدون له المدارس ويغدقون العطايا على من تولى تدريسه او رغب فيه من الطلبة فانهم قد فكروا فى تأسيس احياء جامعية وكليات مختلفة واكثروا من بناء مراكز العلم واستقبلوا الوافدين على المغرب من العلماء بكل حفاوة وتقدير .

ولقد وجد هؤلاء الملوك رغبة فى الشعب المغربي الذي كان يحس بالمسؤولية التي يجب ان يتحملها، هذه المسؤولية التي تجعله وارث ثقافة سابقيه دون ان يحرفها عن توجيهها او ان يخنقها فتتلاشى او تموت .

ان المغاربة فى هذه الحقبة وجهوا عنايتهم الى الثقافة الاسلامية واهتموا بآداب اللغة العربية لانهم كانوا يرون ان الاعتناء باللغة ضرورة من ضرورات تذوق القرآن وفهم ابعاده التي يهدف اليها لذا نجدهم درسوا هاته اللغة دراسة وافية وعملوا على الاهتمام

باصولها وقوانينها اللفظية والمعنوية وتعمقوا في دراسة الادب وتحليله وكتبوا في البلاغة وسجلوا نظرياتهم في البديع وشرحوا انواعه .

وكان التنافس في ذلك قويا بين علماء المغرب والاندلس بل كان هذا التنافس محتدما بين بعض المدن المغربية ايضا خصوصا قبل ان تستولي الدولة المرينية على سبتة سنة 729هـ .

ذلك ان مدينة سبتة كانت مركزا علميا خطيرا في بلاد المغرب ولقد استولى عليها العزفيون «1» حينما احسوا بضعف الدولة الموحدية وظلت في حكمهم ما يقرب من ثمانين سنة الى ان استولى عليها المرينيون .

كانت مدينة سبتة في ايام العزفيين مركزا علميا ومقرا للدراسات الاسلامية والعربية وكانت هذه الاسرة تحاول ان تجعل من هذه المدينة وما حولها نقطة تسرب الى حكم المغرب وحكم الاندلس فاعتنت بالعلم وشجعت الاحتفاء بمظاهر الدين واقامت حفلات رسمية في ذكرى ميلاد الرسول هذه الذكرى التي جعلتها عيدا تقدم فيه التهاني للحاكم وتنشد فيه الاشعار على ملا من الناس وتقام فيه الحفلات الزاهرة ويستعد له كما يستعد لباقي الاعياد الاسلامية .

ولقد كان للعلم فيها سوق نافقة رغم الاضطرابات التي كانت تقع من حين لاخر بسبب التنافس السياسي الحاصل بين دولة النصريين بالاندلس ودولة المرينيين . فان كلا من الدولتين كانتا حريصتين على القضاء على طموح حكام سبتة الذين اضطروا اخيرا الى الالتجاء الى حكم بني مرين .

قال القلقشندي عند حديثه عن سبتة «2» :
«وقام بامرها ابو القاسم العزفي من مشيختها فبقيت بيده وبد بنيه الى ان ملكها منهم بنو مرين سنة تسع وعشرين وسبعمائة في ايام السلطان ابي الحسن فصارت تابعة لفاس دار ملك بني مرين جارية في يد ملوكها وهي باقية بايديهم الى زماننا بعد العشر والثمانمائة » .

ومن اشهر اعلام العلم والادب في سبتة ايام العزفيين ابو القاسم الشريف الحسني «3» الذي اولع بالدراسات اللغوية والادبية والفقهية فكانت كتبه رائدا للادباء والفقهاء ، وانتقل من سبتة الى غرناطة فاتصل بملوكها النصريين فقربوه اليهم وولوه القضاء واشتغل بتلقين العلم والادب ولمع اسمه في غرناطة حتى صار يطلق عليه الشريف الغرناطي .

لقد كان الشريف مهتما بدراسة الشعر ميالا الى النقد مندفعا الى شرح الغامض وتأويل المبهم مطبوعا على حسن التبليغ لذا نجده قد شرح كثيرا من القصائد والمتون فهو شارح الخزرجية في العروض وشارح تسهيل مالك وشارح مقصورة حازم التي جعلها سبيل الانطلاق الى دراسة بلاغية قيمة .

ومما يمتاز به ابو القاسم ظهور شخصيته في التحليل والتعليل فهو يؤيد ويعارض معتمدا على القواعد حينا وعلى الذوق احيانا يربط بين النصوص الادبية من الجانب الفني والجانب المعنوي يستدل بشعره من حين لاخر فانت عند قراءة كتبه تشعر بمتعة ناشئة عن قوته النقدية وكفاءته العلمية وملاحظاته الدقيقة وسعة اطلاعه على الثقافة العربية في المشرق والمغرب . ومن الواضح ان الكتب التي تبرز فيها شخصية مؤلفيها تمتاز بالحيوية والجاذبية والقوة .

ومن اهم الكتب التي نلمس فيها قدرة ابي القاسم على التحليل والاستدلال ودقة الملاحظة شرحه لمقصورة حازم المعروف **بكشف الحجب المستورة عن محاسن المقصورة** .

والمقصورة هاته من نظم ابي الحسن حازم بن محمد القرطاجني نسبة الى قرطاجنة الاندلس رحل الى تونس واتصل باميرها ابي زكرياء ثم بولده المستنصر فمدحه بهاته القصيدة التي اشتهرت في الشعر العربي بالعناية بوسائل البديع واستخدام مظاهر التزيين اللفظي والمعنوي بحيث يمكن ان نجعلها مثالا تطبيقيا للاهتمام باللفظ وصورة للصناعة الادبية التي تحكمت يوما ما في القالب الادبي قبل النهضة الحديثة

1» بيت العزفيين بسبتة مشهور وكانت لهم الرياسة بها مدة، واول من تأمر منهم ابو القاسم محمد بن القاضي المحدث ابي العباس احمد . . وكان قيامه بسبتة ليلة سابع وعشرين من رمضان من عام 647 هـ في دولة المرتضى الخليفة بمراكش . عن ازهار الرياض الجزء الثاني صفحة 374 .

2» صبح الاعشى الجزء الخامس من صفحة 160 .

3) ولد بسبتة سنة 697 هـ وتوفي قاضيا بغرناطة سنة 670هـ

وقد مهد حازم لهذه القصيدة بمقدمة قال فيها : «الحمد لله الذي انطقنا بافصح الالسن ووفقنا الى التمييز بين ما يقبح من الكلام ويحسن وصلى الله على سيدنا محمد رسوله افضل من سمعت به الاذان ونظرت اليه الاعين ، ما تعاقبت الدهور وتتابعت الازمن وحيا الله بنفحات رضوانه الطيبة وسقيا رحمته الصيبة جميع صحابته واسرته وعصابته الكريمة وعترته واختص باعبق تلك الريا واغدق تلك السقيا طائفة اختصاصه وفئة استخلاصه نجوم الامامة الوقادة وبدور الخلافة المتنقلة في بروج السعادة وءاثر الله بالكمال الدائم والسعد الملازم قمرها الازهر وسراجها الانور امام الهدى وغمام الندى وحسام الله المسلول على العدا سيدنا الخليفة المستنصر«1» .» ثم ذكر بعض صفاته السامية التي دفعت الشاعر الى نظم هاته القصيدة التي قال عنها : « انها عقيلة من بنات الافكار تزهى على العقائل الابكار قد تحلت بعقود من كل لفظ بالقلوب معقود وتجلت في سموط من كل معنى بالنفوس منوط .. فالاذان باقراطها حالية والاذهان من اسماطها غير خالية فهي من تناسب الفاظها وتناسق اغراضها قلادة ذات اتساق ومن تبسم زهرها وتنسم نشرها حديقة مبهجة للنفوس والاسماع والاحداق » ثم استمر في وصفها وتقريظها والتمهيد لها حتى جعلها ام القصائد ووسطى القلائد .

ولقد لقيت هاته القصيدة حقا اهتماما من طرف الادباء والشعراء فتداولتها السنتهم واقلامهم لما تشتمل عليه من محاسن ولما تتضمنه من اخبار ولكن الذي جلى محاسنها وابان فضلها وكشف عن اسرارها ليس الا ابا القاسم الشريف لقد قال : « اني لما تأملت مقصورة الامام الاوحد ابي الحسن حازم ابن محمد بن حسن بن حازم الانصاري القرطاجني الفيتها تجمع ضروبا من الاحسان وتشتمل على افانين من البيان وتتضمن فوائد جمة من علم اللسان وتشهد لمنشئها بما انتظمته من غرائب الانواع واتسمت به من عجائب الابداع فانه سابق الميدان وحائز خصل الرهان لا جرم انها بما اورد من الفوائد وقيد من الاوابد ووصف من المعاهد وضرب من المثل الشارد واوما اليه من الوقائع والمشاهد وانتحاه من المنازع البيانية والمقاصد ديوان من دواوين العرب اودعه كثيرا من تواريخها وجمع فيه من المعارف ما يعترف لقدمه برسوخها » ثم قال « وقد رايت ان اضع عليها كتابا اضمنه شرح غريبها والكلام على بديع اسلوبها منبها على ما اخترع من انواع الاغراض وضروبها ثم امد عنان القول فيما اشار اليه من ايام الاوائل وحروبها فيكون جامعا لكثير من الفنون محتويا على الابكار من غرائب الكلم والعون مطلعا على اخبار الامم الخالية والقرون » .

ولقد حاول لما امكنه ان يفي بالتزامه فخلد المقصورة بشرحه واخرجها من المديح العابر الى كتاب نقد قيم يجمع بين فنون الاداب وقواعد اللغة ويوضح مناهج الاساليب البيانية التي تربط بين القديم والجديد .

فهو في شرح الغريب وتبيان قواعد اللغة يعتمد على اهم علمائها فمن ذكر الكسائي والفراء وسيبويه الى ذكر الخليل بن احمد والاصمعي وابي عمرو بن العلاء ومن هؤلاء الى ذكر ابن جني وابن فارس وابي علي القالي وغيرهم ممن اشتهروا بالدراسات اللغوية يستند اليهم احيانا وينقد آراءهم احيانا بحيث يجد القارىء متعة في تتبع طريقة شرحه واستنتاجاته .

واحسن ما في كتابه خطراته النقدية التي تعتمد على الذوق من جهة وعلى القواعد من جهة اخرى .

فمن آرائه ان التناسق في التعبير والمشاكلة بين الاجزاء تعد من المحسنات التعبيرية اذا لم تكن متكلفة ولا متعمدة .

ومن آرائه ان الاطالة في المعنى يجب ان تكون هادفة لغاية والا فهي عبث قال بعد ما شرح هاته الابيات من المقصورة :

فاعمم باوصاف العلى كما له
واستثن في وصف سواه بسوى
لا تجر نعت من عداه مطلقا
في المجد بل مقيدا بما عدا
فمن يقرظ من عداه فليكن
مستثنيا بما عدا وما خلا

« المعنى في البيت الاول وتاليه واحد وهو ان لمادح هذا الامير ان يصفه بجميع اوصاف المعالي من غير استثناء وليس له ذلك في غيره الا بتقييد وما افاد في واحد من هذه الابيات زيادة على ما افاده في الاخرين سوى ترداد العبارة والاطالة من غير طائل وقد يستحسن تنويع العبارة اذا جيء بالمعنى في عبارات تفيد كل واحد منها ما تفيده الاخرى كقول ابن الرومي :

«1» هو من اعظم ملوك الدولة الحفصية ولي سنة 647هـ وتوفي سنة 675 هـ .

هي الاعين النجل التي كنت تشتكي
مواقعها في القلب والراس اسود
فما لك تاسى الان لما رايتها
وقد جعلت مرمى سواك تعمد
تشكى اذا ما اقصدتك سهامها
وتاسى اذا نكبن عنك وتكمد
كذلك تلك النبل من صرفت له
ومن صرفت عنه من الناس مقصد
اذا عدلت عنا وجدنا عدولها
كموقعها في القلب بل هو اجهد
تنكب عنا مرة فكانما
منكبها عنا الينا مسدد

فقد تسلسل في المعنى وتصرف فيه وابرزه في عبارات شتى ومال به الى جهات من المقاصد بخلاف ابيات الناظم فانه لم يفد في واحد غير ما افاده في الاخر فهي في باب الاقبح ادخل » «1» .

ان هذه الملاحظات هي التي دفعتنا الى ان نذكر ما قلناه عن الشريف السبتي من انه دقيق الملاحظة قوي النظر ثابت الشخصية حاضر البديهة جعل شرحه للمقصورة ديوانا ادبيا جامعا لاجمل ما فاضت به قريحة شعراء العرب وجادت به السنة الكتاب والخطباء وسجلا لاهم الاحداث التاريخية والسياسية والادبية التي ارتبطت بتاريخ الادب العربي في المشرق والمغرب وموسوعة لغوية تجمع بين المتانة والجمال والحقيقة والمجاز والشرح والدراسة ومدرسة نقدية تهديك الى مواطن الجمال وتمرن عضلاتك الفكرية على القول المتزن وتروض مخيلتك على ان ايجاد التاليف بين المعاني المتنافرة والصور المختلفة وتصقل ملكتك الفنية فتصير خلاقة مبدعة .

كان ابو القاسم شاعرا اديبا ذواقة للادب وكان يرجو ان يجد من قرائه من يتتبع مقاصده فيخاطبهم وكانهم محدثوه ويود ان يشاركوه في احساساته وان يشعروا بما شعر به فهو مثلا حينما كان يتحدث عن الادباء الذين يستطيعون ان يؤلفوا بين اغراض مختلفة ومذاهب متباينة قال : « الا ترى الى قول ابي نواس «2» .

واذا جلست الى المدام وشربها
فاجعل حديثك كله في الكاس
واذا نزعت عن الغواية فليكن
لله ذاك النزع لا للناس
واذا اردت مديح قوم لم تمن
في مدحهم فامدح بني العباس

فانظر كيف جمع في هذه الابيات بين ثلاثة مذاهب متباعدة الاغراض وهي المجون والزهد ومدح الخليفة حتى صيرها في نسق النظام وحسن العبارة كانها فن واحد » .

ولقد عرف معاصروه فضله وعلمه وادبه فاسفوا يوم موته وخلدوا محاسنه في قصائد كثيرة منها مرثية ابن رمرك الشهيرة التي يقول فيها :

اغرى سراة الحي بالاطراق
نبا اصم مسامع الافاق
امسى به ليل الحوادث داجيا
والصبح اصبح كاسف الاشراق
فجع الجميع بواحد جمعت له
شتى العلا ومكارم الاخلاق
يا حسرتي للعلم اقفر ربعه
والعدل جرد اجمل الاطواق
كم من غوامض قد صدعت بفهمها
خفيت مداركها على الحذاق

حقيقة انه جلى الغامض وحل المبهم واحيا الذوق الادبي في نفوس قرائه وخلد صفحات ادبية رائعة ما اجدرنا ان نتعمق في دراستها ونسترشد بها .

فاس ـ محمد بن عبد العزيز الدباغ

«1» شرح المقصورة الجزء الاول صفحة 69
«2» شرح المقصورة الجزء الثاني صفحة 182 .

الأدب النسوي في الأندلس

للأستاذ: محمد المنتصر الريسوني

-5-

الادب الاندلسي في ميزان الحقيقة :

شط بعض البحاث في زعمهم عندما رموا الادب الاندلسي بالتقليد المحض ، وانه ليس ادبا ذا قيمة ووزن ، وانه عالة على الادب المشرقي ونسخة منه ، وقف حياته على المحاكاة ، وسار على درب غيره فلا ابتكار ولا تجديد يعطيه صورته الاستقلالية والتحررية ، ولا يحفل بنفحات فنية مبدعة .

هذا الزعم قال به غير واحد من البحاث ، ولست ادري ما السبب في ذلك ياترى ؟ هل هو التعصب لكل شرقي خالص او السبب هو شيء آخر غير التعصب الشرقي .

وسواء كان هذا الحافز الى الاجحاف التعصب او غيره فان مثل اولئك ـ مع تقديري ـ مثل من يريد ان يشم بعينيه ، ويرى باذنيه ، ويتذوق بانفه

فالادب الاندلسي في تكوينه الاول كان امتدادا لصدى الادب الشرقي ما في ذلك شك ، ولا يستطيع احدنا ان يرفع سبابته فينكر تأثير المتنبي وابي تمام وابي نواس واضرابهم من سدنة الشعر العربي في شعر شعراء الاندلس ، ولكن بعد ان ترفت الحياة في الاندلس ، ورقت انفاسها بين جنباتها واخذت شكلها الحضاري الرائع بدانا نرى ظهور خصائص تميز هذا الادب عن صنوه المشرقي ويحيد شيئا فشيئا عن طريقته .

ويمكن القول بعد هذا ان الاندلسيين في منهجهم المحافظ لم يدفعهم الى ذلك الاحتذاء وحب التقليد بل ان هناك مبررا يبرر هذه القضية هو أن ظروفهم في تلك الفترات استدعت الى حد بعيد موضوعات تقليدية كالفخر والحماسة والمدح ، ذلك لان البيئة الاندلسية اتسمت بطابع عربي بحت فلم يكن بد لهم من ان يخضعوا لمقتضيات واقعهم وحتمية بيئتهم .
وعلاوة على هذا فان العرب اينما انتقلوا الا وانتقل في اذهانهم عالم مثالي : عالم آبائهم الذين عاشوا في الصحراء بكل ما فيها من نوق وكثبان وهضاب واطلال، فلم يتخلصوا من موروثاتهم بسهولة ويسر ، وقد شابه هذا ما قام به الاوروبيون في العصر الكلاسيكي عندما استوحوا عالمهم المثالي اليوناني والروماني فنهجوا مسلك قدمائهم ، رغم تنوع الحياة ، وشابه هذا ايضا ما كان من ادباء امريكا اللاتينية حين اصبحوا ينحتون ادبهم من متحف الادب الاسباني التقليدي وذلك باعتباره ادب عالمهم الاسطوري ، وانه لو انتزع ما اخذه ادباء امريكا من الادب الاسباني لما بقي شيء يذكر من الادب الاسباني الامريكي .

والتقليد يقصد به هؤلاء ان الاندلسيين قد نهجوا في شعرهم طريقة اخوانهم المشارقة في العمود الشعري الذي هو الوزن والروي . ونحن اذا قلبنا بين ايدينا دواوين الشعراء منذ ان انفتحت بالضاد لهاة شاعر عربي لالفينا تشابها في الوزن والروي .

والحقيقة ان الشعر ليس معياره الوزن والروي فان ذلك ملك الجميع من غير استثناء ، وان القيمة الحقيقية تعطى اول ما تعطى للمضامين وما حفلت به من قوة الشعور ، وفوران الاحساس ، ومدى صدق الشاعر في العمل الادبي .

وحسب الاندلسيين انهم ابتكروا اوزانا شعرية جديدة هي الموشحات والازجال .

اما فيما يخص المعاني ، معاني السابقين فان الاندلسيين اتوا بما يعتبر ابتكارا وخلقا ، وفي هذا

الصدد يتعرض الاستاذ الكبير مصطفى صادق الرافعي للادب الاندلسي فيقول : « يمتاز بتجسيم الخيال النحيف واحاطته بالمعاني المبتكرة التي توحي بها الحضارة ، والتصرف في ارق فنون القول ، واختيار الالفاظ التي تكون مادة لتصوير الطبيعة وابداعها في جمل وعبارات تخرج بطبيعتها كأنها التوقيع الموسيقي، بل هي تحمل على التلحين بما فيها من الرقة والرنين، ولا يشاركهم في ذلك الا من ينزع هذا المنزع ويتكلف ذلك الاسلوب ، لان جزالة اللفظ في شعرهم انما هي روعة موقعة ، وحلاوة ارتباطه بسائر اجزاء الجملة ، وتلك فلسفة الجزالة ، ومن اجل ذلك احكموا التشبيه وبرعوا في الوصف ؛ لانهما عنصران لازمان في تركيب هذه الفلسفة الروحية التي هي الشعر الطبيعي (1) »

ويلح الانصاف ونحن في معرض الدفاع عن الادب الاندلسي أن نقف هنيهة من الزمن لنناقش الدكتور احسان عباس مناقشة طفيفة فيما ذهب اليه في كتابه « تاريخ الادب الاندلسي – عصر سيادة قرطبة » ص 101 من أن « ربقة التقليد خانقة تحول القابليات عن طريق الابتكار ، ولو أن الاندلسيين نظروا من خلال انفسهم مثلا الى شعر الطبيعة لاستغنوا عن مناظرات ابن الرومي وتشبيهات ابن المعتز الجامدة ولاستوحوا بيئتهم لا اشعار ابي نواس في الخمر وهكذا » .

الدكتور احسان عباس – مع احترامي له – جمح به القلم عن جادة الصواب ؛ ذلك لان الاندلسيين لم يأتوا أمرا ادا اذا استعانوا بتشبيهات ابن المعتز وغيره ، وادى ذلك الى خلق جميل ، وليس غريبا ان تداولت المعاني بين الشعراء والادباء وبخاصة اذا نقحت وافرغت في قالب جديد ، وكذلك كان شان الاندلسيين – لا في كل اعمالهم الادبية – يعرضون المعنى في ثوب قشيب كما لو كان عملا جديدا .

ولنستمع الى المستشرق الانجليزي نكلسون يحدثنا عن الشعر الاندلسي فيقول :

« لعل امتع مميزات الشعر الاسباني ذلك الوجدان العاطفي الرقيق الذي يندر وجود مثله في النسيب والذي ظهر كثيرا في اغانيهم عن الحب وهو وجدان لايقتصر على تصوير فروسية القرون الوسطى بل يتخطى ذلك الى حد تحسبه احساسا جديدا بمحاسن الطبيعة التي جملته (2) »

واني لاعجب من ان يصدر هذا الحكم الجائر من طرف انسان كالدكتور احسان عباس ، فالاندلسيون قد استوحوا بيئتهم وعبروا عن حضارتهم تعبيرا رقيقا ، ومثلوا العصر خير تمثيل ، ونظروا من خلال انفسهم ، وابرزوا شعورهم نحو الحياة وسابقا اوردت نصا للرافعي يعزز ما نذهب اليه ، والسيد الدكتور لو تمهل قليلا واستقصى الشعر الاندلسي لصح عنده ان الشاعر الاندلسي استغنى غير ما مرة عن تعابير غيره وطرح ما كان يجتره من صور الجزيرة العربية ، ونبذ نبذ نواة ماعلق بذهنه من المحفوظات القديمة ، ولا ادل على هذا من شعر شعراء الطبيعة الاندلسية ، تلك الطبيعة التي سلبت لب الاندلسي فهام في رحابها يتملى روعتها في شبه دوار لذيذ فرسم اللوحة اثر اللوحة موزعا الالوان في ابداع مدهش ، ومن اجل ذلك اتى بمعجز الخيال الرقراق رائع المعنى ، فابن خفاجة وابن حمديس وابن زيدون شحارير الفردوس المفقود شاهد عدل ناطق على ذلك ، ولولا خوفنا من الاطناب لاتينا بنماذج عديدة تفند زعم السيد الدكتور

وفيما سبق تحدثنا عن خصائص الشعر الاندلسي ، وذلك فيه غناء واي غناء فلا نحتاج الى تكراره هنا .

انطلاق النهضة النسوية في الاندلس :

لامناص من الاعتراف بان انطلاقة النهضة النسوية في شبه الجزيرة الاندلسية بدأت منذ ان استدف الامر للامويين ؛ بيد ان هذه النهضة ازدادت انتشارا وذيوعا في عصر ملوك الطوائف بعد أن ازدهرت الحياة الادبية ، وتفتحت ازهارها وتضوع عبيرها بما حفلت به من روائع القول وجياد المعاني وعبقري الخيال ؛ وآية ذلك ان المراة الاندلسية اخذت تساهم في انواع الثقافات وتشارك خصوصا في بناء صرح الادب من شعر وانشاء ومناظرات ومساجلات ، وقد يعود ذلك اول ما يعود الى البيئة الاندلسية التي اصبح اهلها يعيشون على رفرف من العيش زاه ، ويميسون في مطارف النعيم ، وابراد الترف مما يثير في النفس الشاعرة حوافز تدفع الى قول الشعر وضفر الكلمات ياسمينا وقرنفلا .

1) تاريخ آداب العرب ج 3 ص 311 .
2) نظرات في تاريخ الادب الاندلسي ص 340

ويروي بعض المؤرخين انـه وجد في الانـدلس ستون الفا من الشاعرات (1) وكان اغلبهن في غرناطة وكن يدعون بالعربيات بدلا من الغرناطيات لانهن نهجن نهـج العرب في القريض والتزام الفصاحة في المعنى .

وفي ميدان العلوم اشتهرت كثيرات منهن حتى ان نساء الخلفاء كن في غير حاجة الى الاطباء ما دامت هناك طبيبات ، وفي غير حاجة الى معلمين ما دامت هناك معلمات ، ومن اشهر الطبيبات اخت الحفيد ابن زهر وابنتها اللتان كانتا لهما الخبرة الجيدة في مداواة النساء ، ومن الاستاذات مريـم بنت ابي يعقـوب الانصاري التي تخرجت على يدها طائفة من شهيرات النساء ، والشاعرة العروضية البلنسية التي اخذ عنها العالم يوسف بن نجاح علم العروض .

وفي ميدان الشؤون الدينية كحافظات القـرآن فان عددهن لايكاد يحصى . وقـد روي انـه كان في الاندلس ستون الفا من حافظات القرآن اللواتي ترفع كل واحدة منهن على باب منزلها قنديلا ليلا علامة على ان هنـاك حافظـة .

ومن المناسب ان نذكر هنا ان الحركة النسوية هذه قامت على اكتاف الجرائر بعكس ما نجد في أيام دولة بني العباس في الشرق ، اما الاماء فقد استقللن بالموسيقى وقطعن فيها اشواطـا ، وآيـة ذلك ان الاندلسيين كان من رايهم ان الموسيقى لاتتلاءم ومستوى الجرائر ، ولهذا فان التاريخ الاندلسي لايعرف سيدة الا ولادة بنت المستكفي برعت في الموسيقى وقد كانت في نظرهم من المتطرفات في هذا الامر .

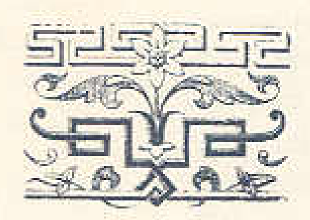
وبهذا ينتهي التمهيد الذي كان غرضنا منه هـو القاء اضواء خاطفة عن مشاركة المراة العربية في كـل الميادين وخاصة الميدان الشعري ، ثم افضى بنا الحديث ــ وذلك طبعي لا محيص عنه ــ الى الادب الاندلسـي عموما ، واعتقد ان جوهر البحث، دوما يتطلب تقديما او تمهيدا يكون بمثابة مشاعل على الطريق تضيء دجنة السـاري .

وبعد هذه الجولة وان طالت فقد كشفت عـن جوانب ايجابية بالنسبة للبحث ؛ وسنديـر الحـديث عن عصر الامارة وهو اول خيط نمسكه في موضوعنـا المـراد دراسـتـه

تطوان ــ محمد المنتصر الريسوني

---

1) اعتقد ان هذا العدد الضخم من الشاعرات مبالغ فيه ، لان التمديد العددي لايخلو احيانا من اخطاء .



سكان المغرب العربي :

دراسة ديمغرافية

بقلم الأستاذ : المهدي المنبهي

اولا ـ المعطيات الديمغرافية

1 ـ تزايد عدد السكان

يظهر من خلال اهم المعطيات الديمغرافية لبلاد المغرب العربي ان عدد السكان في تزايد مستمر منذ عدة سنوات وهذه الثروة البشرية يجب ان تقدرها اليوم ونبحث عن اسرارها حتى تعرف كيف نسخرها للنمو الاقتصادي لهذه البلدان او حتى لا تكون عائقا من عوائق نموها وازدهارها فنبحث عن التوازن بين المعطيات والحاجيات . فاذا القينا نظرة على جدول تطور عدد السكان في بلاد المغرب العربي فيما بين سنوات 1936 الى 1956 كما هو مبين بعده

	1936	1948 — 1946	1956 — 1953
ليبيا	—	—	1 170 000
تونس	2 608 000	3 231 000	3 783 000
الجزائر	7 235 000	8 520 000	9 707 000
المغرب	7 297 000	9 400 000	9 310 000
المجموع	—	—	23 970 000

فاننا نلاحظ ان عدد هؤلاء السكان كان يبلغ سنة 1956 : 23 970 000 بينما صار يناهز سنة 1960 — 1961 اي بعد خمس سنوات 27 870 000 نسمة كما هو مفصل بعده :

ليبيا « تقدير »	1 400 000
تونس « تقدير »	4 200 000
الجزائر « تقدير »	10 644 000
المغرب « احصاء »	11 626 000
المجموع :	27 870 000

فالتزايد يتضخم اذن مع مر السنين بينما كان لا يتعدى 400 000 نسمة في السنة حوالي 1956 يوجد من بينها 200 000 جزائري و 150 000 مغربي فانه ارتفع سنة 1960 الى 840 000 نسمة يوجد فيها 330 000 مغربي و330 000 جزائري والسكان في ليبيا كان يزداد عددهم بنسبة الثلث خلال عشر سنوات :

سنة 1955 : 1 125 000 — سنة 1964 : 1 559 000 بينما ارتفع عدد سكان الجزائر من 2 328 000 «تقدير» سنة 1856 الى 8 490 000 سنة 1956 اي انه تضاعف ثلاث مرات

واهم ظاهرة اخرى في بلاد المغرب العربي وليس هذا بسر على احد ان 98٪ من السكان من المسلمين ، وبهذا افردنا القسم الاوفر من هذه الدراسة لهؤلاء

فكيف اذن يمكننا ان نفسر هذا التزايد ؟

لاشك انه نتيجة الفرق بين المواليد والوفيات او بعبارة اخرى نتيجة الحركة الطبيعية للسكان

لذا يجب ان نوجه العناية اولا الى المواليد ثم الى الوفيات .

1)) المواليـد :

تقدر نسبة المواليد فى بلاد المغرب العربي بما يتراوح بين 44 الى 46ر4 فى الالف وهي نسبة وسطى جد مرتفعة ويرجع ذلك دون شك الى العناية والمحافظة على الصحة وتعميم الادوية مما جعل بعض الامراض الفتاكة والاوبئة تنقرض تقريبا نهائيا ثم الى عدم تحديد النسل واخذ التدابير الوقائية للحد من الولادة كما هو شائع فى بلاد اوربا الغربية .

2)) الوفيات :

يلاحظ ان نسبة الوفيات فى تقهقر نسبي نظرا للعناية المستمرة بالصحة وتقديم العلاج المجاني ولاسيما فى المغرب فنسبة الوفيات انخفضت فى الجزائر من 29ر1 فى الالف « سنة 1947 » الى 17ر5 فى الالف « سنة 1951 » بينما لا تتعدى حاليا فى المغرب 15 فى الالف او على الاكثر 20 فى الالف فى بعض الاقاليم .

وهكذا تكون نسبة التزايد العام للسكان فى بلاد المغرب العربي – وعلى سبيل القياس اذ لا نتوفر على المعلومات الكافية ولا على الارقام بالنسبة لجميع هذه البلاد – تناهز 3٪ . فاذا بقيت الظروف الحالية كما هي عليه فى الوقت الراهن سيتضاعف عدد السكان الحالي بعد مضي 25 او 30 سنة . وهذه الحالة سيكون لها دون شك تأثير فى مجال تخطيط السياسة الاقتصادية والاجتماعية التي يجب ان تنهجها هذه البلاد فى المستقبل ، فتصميم المستقبل يجب ان يمتد على خمس وعشرين سنة على الاقل وبالنسبة لخمسة وخمسين مليونا من السكان .

ب – بنية السكان

ونعني بالبنية هنا توزيع السكان اولا من حيث اعمارهم ثم توزيعهم من حيث السكان العاملون والسكان غير العاملين .

1)) هرم الاعمار

يتميز هذا الهرم بكونه له قاعدة جد واسعة اذ اكثر من 50 ٪ من السكان يتكونون ممن تقل اعمارهم عن 20 سنة ويختص هذا الهرم بالنسبة للمغرب ان 54 فى المائة من السكان تقل اعمارهم عن 20 سنة . و32 فى المائة من السكان تقل اعمارهم عن 10 سنوات وهذا يرجع الى حركة الولادة القوية بينما لا تتعدى نسبة الشيوخ اي من تتعدى اعمارهم 70 سنة 2 فى المائة فقط .

اما بالنسبة للجزائر فان 53 فى المائة من السكان يتكونون من الشباب اي الذين تقل اعمارهم 20 سنة .

– و42 فى المائة من الكهول
– و5 فى المائة من الشيوخ

وملخص القول ان اغلبية السكان فى المغرب العربي يتالفون من الشبان ولهذه الوضعية ايضا اثرها فى ميدان التصميم والتكوين .

ب)) السكان العاملون

يقدر عدد السكان العاملين بنحو 25 فى المائة من مجموع السكان ، واكثر هؤلاء السكان يعملون فى الزراعة فعدد السكان الذين يعيشون من الزراعة فى الجزائر كان يبلغ سنة 1960 : 6 ملايين بينما عدد السكان الذكور الذين بلغوا سن العمل كان لا يتجاوز 000 600 1 ومعنى هذا ان الزراعة تستوعب

8 من الذكور على 10

و9ر5 من النساء على 10

من مجموع السكان العاملين . اما باقي السكان العاملين فيشتغل 25 فى المائة منهم فى الحرف اليدوية والباقي يعمل كعامل او مستكتب او فى اطار ثانوي ؛ ومن الملاحظ ان 84 فى المائة من السكان المسلمين يقومون بالاعمال اليدوية المتعبة . فيكون توزيع السكان العاملين حسب القطاعات الاقتصادية الثلاث الكبرى كما يلي:

القطاع البدائي	
«الفلاحة والصيد والمناجم والغابات»	79 ٪
القطاع الثانوي	
«الصناعة»	8 ٪
القطاع الثلاثي	
«التجارة والخدمات»	13 ٪
	100٪

وهذا معناه ان اغلبية السكان المسلمين العاملين يشتغلون بالزراعة .

وقد تصح هذه الملاحظة بالنسبة لباقي دول المغرب العربي ففي المغرب مثلا فان ثلثي السكان العاملين يشتغلون فى الزراعة و5 فى المائة فقط فى

الصناعة ؛ اما نسبة السكان العاملين فهي تبلغ 28 في المائة بينما لا يشتغل من بينهم فعلا سوى 23 في المائة ؛ « وعلى سبيل المقارنة فان نسبة السكان العاملين تبلغ 45٪ في المانيا و55في المائة في الاتحاد السوفياتي »

ويرجع هذا الى عدة عوامل اهمها : ضعف نسبة الكهول كما سبق ان بينا ذلك من خلال هرم الاعمار وضعف نسبة النساء العاملات في المدن وفي الاخير تزايد عدد الاشخاص الذين يعملون بكيفية مؤقتة او لا يجدون عملا بالمرة .

ثانيا ــ التوزيع الجغرافي وآثره

ا ــ التوزيع الترابي : الكثافة

اذا استثنينا المناطق الصحراوية فان المناطق المسكونة قد تبلغ مساحتها 000 050 1 كلم2 ؛ وبما ان عدد سكان المغرب العربي لسنة 1961 هو 000 870 27 نسمة فان كثافة هؤلاء السكان ستكون بالتالي 5ر26 في الكم2 . وهذه الكثافة تظهر قوية بالنسبة للقارة الافريقية غير انها لا تكتسي اية قيمة اذا ما قارناها بمعدل الكثافات بمختلف بلاد المغرب العربي من جهة ثم بمختلف الكثافات داخل اقاليم هذه البلدان من جهة اخرى .

فالنسبة لبلاد المغرب العربي نجد ان معدل الكثافة هو كما يلي :

ــ ليبيا : 16 في الكلم2 «باستثناء المناطق الصحراوية » و85ر0 في الكلم 2 « باعتبار المساحة الاجمالية » .

ــ تونس : 3ر33 في الكلم2

ــ الجزائر : 41 في الكم2 « باستثناء الصحراء»

ــ المغرب : 28 في الكم2

ويخضع توزيع السكان ايضا لاختلاف كبير حسب توزيع الاقطار من جهة ثم حسب المناطق الطبيعية من جهة اخرى .

فمناطق التل والسهول الساحلية المغربية تبلغ كثافتها من 30 الى 40 في الكم2 بينما لا تتجاوز هذه الكثافة 5 او 20 في المناطق الجافة « الشيب » وتقل عن 1 في الكم في المناطق الصحراوية . وفي الصحراء ذاتها نجد اغلبية السكان يتجمعون في الواحات .

ويؤثر في هذا التوزيع ايضا طبيعة التربة وعوامل تاريخية وبشرية صرف . فمعدل الكثافة يتغير اذن من اقليم لاخر ويتاثر بجميع العوامل الطبيعية والبشرية التي ذكرناها . فاذا اخذنا بلاد المغرب العربي واحدا واحدا نجد ان ليبيا تضم على طول الشريط الساحلي الضيق 90 في المائة من سكانها على مساحة لا تتعدى 000 446 كلم2 او ما يعادل 3 في المائة من مساحة البلاد واعظم المناطق اكتظاظا بالسكان هي التي تتلقى اكبر نصيب من الامطار فمنطقة طرابلس وحدها تضم اكثر من 000 800 نسمة مما يجعل معدل كثافتها يفوق 3 في الكم2 وتمتد الصحراء في الجنوب على مساحة تناهز 8 مليون كلم2 فيكون معدل الكثافة فيها نسمة واحدة للكلومترين المربعين ؛ اما في برقة فلا يتعدى هذا المعدل نسمة واحدة لثلاثة كلومترات. بينما نجد في واحة الجريد 200 1 نسمة في الكم2 فكل حياة تتعلق بوجود الماء .

اما اذا نظرنا الى تونس فاننا نلاحظ انه بالاضافة الى العوامل الطبيعية من امطار وتربة يجب مراعاة العوامل التاريخية ففي سهل التل نجد معدلا للكثافة يفوق35 في الكم في المناطق التي تتلقى اكثر من 400 ملم من الامطار بينما لا نجد سوى 5 او 10 في الكم2 في المناطق التي تتلقى اقل من 200 ملم . ونجد كثافات ضخمة في مناطق زراعة الخضروات كالمجردة السفلى حيث يتراوح معدلها بين 60 و100 في الكم2 .

ويلاحظ الفرق في الكثافات في السكنى نفسها ففي الساحل نجد القرى المكدسة التي تختلف تمام الاختلاف عن القرى الصغيرة المفككة التي تظهر في الداخل ففي المنطقة الاولى تبلغ 100 نسمة في الكم2 بينما لا تتعدى 30 او 50 في الداخل . بينما نجد كثافة تفوق 108 في الكم2 في جزيرة جربة لانها تعد ملجا لطريقة دينية فاطمية او 200 في قاعدة بنزرت

ويظهر ان للظروف الطبيعية دورا كبيرا في اقامة مناطق للكثافات محددة الجوانب في الجزائر . فشمال البلاد يضم 92 في المائة من السكان والتل اي السهل الساحلي الذي يحتل 46 في المائة من المساحة يضم اكثر من 81 في المائة من السكان ويزداد عدد السكان في الشرق اكثر منها في الغرب نظرا لتهاطل امطار وافرة في الجهة الغربية وهكذا يتجاوز معدل الكثافة في القبائل 100 في الكم2 و246 في الكم2 في جبال الجرجودة حيث يتكدس السكان في قرى نائية معلقة على حافة جبال صخرية . واذا ما اتجهنا نحو الجنوب اي نحو السهول العليا فان معدل الكثافة يتراوح بين 5 و10 في الناحية الغربية واكثر سكان هذا الاقليم يتعاطون حياة الترحال التي تعتمد على تربية الغنم بينما في الاقليم الشرقي فان السكان يشتغلون بزراعة الحبوب . ويبلغ معدل الكثافة

هنا من 10 الى 25 في الكم2 . فكثافة السكان تقل هنا كلما اتجهنا من الشمال نحو الجنوب من جهة ثم من الشرق نحو الغرب من جهة اخرى .

اما في المغرب فان لسلاسل جبال الاطلس تاثيرا كبيرا في توزيع الكثافات اذ ان هذه الجبال تفصل منطقتين هامتين في مجال كثافة السكان فالمغرب ينقسم بالفعل بسبب هذا الوضع الى منطقتين متباينتين : منطقة شمالية غربية ومنطقة جنوبية شرقية حسب خط منحرف يبتدىء جنوب وجدة وينتهي في سهل سوس ، فالمنطقة الاولى تضم 9 اعشار السكان كما توجد فيها تقريبا جميع المدن كبيرها وصغيرها . بينما نجد العشر من السكان فقط في المنطقة الجنوبية الشرقية ويبلغ معدل الكثافة في الحالة الاولى 50 نسمة في الكم2 بينما لا يتعدى هذا المعدل 5 في الكم2 في الحالة الثانية ولكي نزيد في فهم هذه الوضعية البشرية يجب ان ندرس على حدة توزيع السكان القرويين ثم السكان الحضريين .

ب ـ السكان القرويون والسكان الحضريون

تتميز بلاد المغرب العربي بميزة تلاحظ لاول وهلة وهي ان اقتصاد هذه البلاد يعتمد على الزراعة وهو اقتصاد يكتفي بايجاد القوت للسكان ومعنى هذا ان اغلب السكان يشتغلون في البوادي اما بالزراعة بالمعنى الضيق للكلمة او بتربية الماشية وقد كانت حياة الترحال والتنقل مع الماشية سائدة حتى اوائل القرن العشرين غير ان نمط هذه الحياة اخذ يتقهقر ثم اخذ السكان يستقرون لظهور ظروف جديدة للحياة ولا سيما في المغرب وليبيا بل ان التنقلات صارت اكثر انتظاما تحت تاثير تنظيم اداري محكم فانضافت الى حياة التنقل والترحال بالماشية حياة جديدة تعتمد على الزراعة المستقرة . فحياة اهل الريف في بلاد المغرب العربي اذن تجمع بين نشاطين هامين : الزراعة ثم تربية الماشية من غنم وماعز وبقر وجمال حسب الظروف المناخية والتربة . غير ان حالة الاحصائيات حاليا لا تتيح لنا معرفة نسبة هؤلاء السكان بدقة اللهم الا من بعض التقديرات ذات قيمة متفاوتة ويظهر ذلك من خلال الجدول الاتي :

البلد	السنة	نسبة السكان البدويين	نسبة السكان الحضريين
ليبيا	1960	٪95	٪5
تونس	1956	٪68	٪32
الجزائر	1960	٪73،2	٪26،8
المغرب	1960	٪71	٪29

ويلاحظ ان نسبة السكان الحضريين في تزايد مستمر منذ بضع سنوات وهكذا فان عدد سكان المدن انتقل :

في ليبيا من 000 220 «سنة 1945» الى 000 400 « سنة 1964 » .

وفي الجزائر من 000 789 «سنة 1906» الى 000 145 2 « سنة 1954 » .

وفي المغرب من 000 471 « سنة 1926 » الى 000 171 2 « سنة 1952 » ثم الى 000 300 3 «سنة 1960» .

وتشتمل بلاد المغرب العربي حاليا على اكثر من 14 مدينة يفوق عددها 000 100 نسمة :

ليبيا : طرابلس .... 000 142 «1960»
تونس : تونس .... 000 140 «1956»
الجزائر : الجزائر «المدينة» ... 000 361 «1954»
«المدينة والاحواز» .... 000 525 »
وهران .... 000 299 »
قسنطينة .... 000 150 »
عنابة .... 000 114 »
المغرب : الدار البيضاء .... 000 965 «1960»
الرباط وسلا .... 000 303 »
فاس .... 000 216 »
مراكش ..... 000 243 »
مكناس .... 000 175 »
طنجة .... 000 141 »
وجدة .... 000 128 »
تطوان .... 000 101 »

وما زال عدد سكان المدن في تصاعد مستمر حيث يقدر هذا التزايد بالنسبة للجزائر بنحو 000 410 نسمة من سنة 1936 الى سنة 1948 و000 270 نسمة من سنة 1948 الى سنة 1951

وبالنسبة الى المغرب بنحو 000 600 نسمة فيما بين سنوات 1927 و 1952 .

وهذه الحركة عمت جميع بلاد المغرب العربي تقريبا فاخذت الاحياء الجديدة في المدن تتسع وتتكاثر وظهرت الى جانب ناطحات السحب احياء مدن القصدير . ولم تكن هذه الحركة نتيجة تزايد طبيعي اي نتيجة الفرق بين المواليد والوفيات فحسب بل ايضا واكثر نتيجة هجرة سكان البوادي نحو المدن .

الرباط : المهدي المنبهي

قصة العدد

طريق قوس قزح

للأستاذ: عبد المجيد بن جلون

قال محدثـــي :

« ذات مساء مشئوم لسعنـــي عقرب نفث في دمـي السموم ، وكانت لسعته قاسية ومباغتة ووجيعة، سرعان ما طوحت بي الى عالم حم فيه خيالي ، وتصبب عرقي ، وانطلقت اعدو في سراديب ملتويـــة ، وتعـرت باتنـي ذهبت ضحية غدر قاتل ، لان المرء لا يلتقي مع العقارب على ميعاد ... كما لا احتاج ان اقول

ولا زلت ارى في الحمى عارضا يصيـــب الانبياء يستقبلون الوحي ... ورواد الفكـر يغوصـون في اثر لا لىء الحقيقة ... والحالمين يرسمون طريق المستقبل ... والبناة يستجلبون الا جـر والخرســان المسلـح والفولاذ من عالم الخيال ...

والتصق وجهي الملتهب بالوسادة المبتلة ، ولم اكن يوحى الي ، ولـــم اكن من الغائصيـــن ولا الحالمين ولا البناة ، ولكن حواسي التي سرى فيها سم الغضب كانـت مستيقظة الى درجة التوهج ... عيناي المغلقتان تريان كل شيء كما لو كان كل شيء قد اضاء في اعماقـــي واسمع ضجيجا هائلا من الاصوات كما لو كانت الاصوات التي ترددت في العالم منذ الازل سجينة في غرفتي ... تصدح وتبكي وتصرخ وتئن وتتوسل وتضحك ، وتختنع وتستهتر وتتعبد ، كانها تبحث عن منقذ تنطلق فيـــه من اغلالهـــــا .

ولم يكن ما بي اغماء ولا نوما ، فقد كنت في تمام اليقظة حينما الفيتنـي اقود سيارتـــي في طريــق الدار البيضاء في ساعة متاخرة من ذلـــك المســـاء النوفمبري التعس ، وكان النسيم البارد يداعب وجهي بالرغم من ان زجاج النوافذ كان محكم الاغلاق ، ولم تعترضني اية سيارة مقبلة ، ولم تتجاوزني اية سيارة قادمة ، لا بنـور خافت ولا وهاج ، وانما كنت اشق الطريق الخالي في سرعة ناعمة ، وكانت الصوى تجري عن يميني جري من تقمصته حياة مجنونة ، وكان تراقص الصوى على ضوء السيارة في سكون الليل الدليل الوحيد على السرعة التي كنت اسير بها في الطريق الخالي الساكن البهيم .

وعند ما كنت اترقب مفترق الطرق لانحرف يمينا الى الدار البيضاء بدلا من طريق مراكش كما اعتدت ان افعل ، بدا لي انني ارى امامي نورا يتوهج ، وخففت السرعة حتى اذا ما اقتربت اليه رايت فتاة يافعة اشرقت ابتسامتها الساحرة في فحمة ذلك الليل الدامس الكليل ، وكانت السيارة تتوقف من تلقاء نفسها في سهولة ويسر ، حتى اذا ما جمدت الى جانبها سمعت ارتطاما هائلا ، تلاه انهيار ، ثم صعدت نفخات من دخان ، ثم ساد صمت مطبق عجيب ، كان لم يحدث شيء ...

وفي الصمت الشامل اخذ الهدوء يعود الى نفسي وانا استعيد ما حدث : امر طبيعي ، حادث من حوادث السيارات التي يلقى فيها الحتف اغلب السائقين وكثير من الركاب او بعضهم في كل دقيقة على مدار الساعة ... لقد توفاني الله الى ما لا ادري من رحمة او عذاب ... ولا داعي للقلق ، فسينجلي الامر عما قليل ... وقـــد كانت البداية حسنة على كل حال ، فما خطر ببالي ان لقاء الموت يكون بهذا اليسر وهذه السهولة ... ورب بداية تكون طليعة نهاية ...

اية نهاية ! ان السيرة لا تزال تنهب الطريق ، والطريق لا تزال ممتدة الى ما لا نهاية وان تكن مجهولة ... هذه قوس قزح تحولت الى طريق ... الوان مضيئة مختلفة لا عهد للعين بها من قبل ، ضاربة في السماء ، والالحان الناعمة الهادئة تهمس من كل اتجاه ، كلا ، ان السيارة لا تنهب الطريق ، وانما هي تهفت في الطريق ، سريعة نعم ، ولكن خفيفة متجردة كما لو لم يعد لها وزن ... وعلى اليمين ضوى خضراء باهتة ، وعلى الشمال ضوى اخرى حمراء مشتعلة ... ويبدو الطريق غريبا ... يسحب السيارات او ينسحب من تحت السيارات ... سيان ... فالهدف هناك ، خلف طريق قوس قزح ... عند تلك الاضواء الضاربة في السماء كانها اضواء معرض من معارض الدار الآخرة ...

وعاودني الهدوء النسبي من جديد ، ليحدث ما شاء ان يحدث ما دام الامر لا يتعلق بارادتي ، وسواء كانت السيارة مندفعة من تلقاء نفسها ، او كانت الطريق تسحب تحتها او تسحبها فالنتيجة واحدة ، ان القضاء والقدر هنا يتمثلان باروع ما فيهما من عناء ، وعدم مسؤولية ...

وذهبت اتمتع بالانوار والالحان والالوان ، وما راعني حينما التفت متاملا الا ان وجدت الى يميني من جديد فتاة نورانية ، ومن تكون غير تلك التي اعترضتني عند مفترق الطرق بين الدار البيضاء ومراكش ، في ذلك المساء المشئوم ... تلك الفتاة اليافعة التي صحب ظهورها الارتطام والانهيار ونفخات الدخان ... ثم طريق قوس قزح ... والتخفف من الثقل ، ثم الالوان والالحان ، واخيرا ها هي ذي الى جانبي ...

فهمست في شبه صراخ :

— انت ! من تكونين ؟

وهنا لاحظت في توجس ان ما يزين راسها الصغير هالة لا اكليل ، هالة باهتة لا تكاد تدركها الابصار الا بعد تامل ، ولما همست في شبه صراخ لم تزد على ان غضت من طرفها في خفر ، وقد **توهجت فوق خديها** وردتان شفافتان ... وكانت الفتاة السحرية غريبة ، ولكن انسا عميقا يتمثل في وجودها بالقرب مني هنا الى يميني مباشرة ، كانني اعرفها منذ ما قبل العهد بالميلاد ..

وسالتها هامسا من جديد في اندهاش صادق :

— اما بك خفر ، او لا تحسنين الكلام ؟

فارتفع الوطف ذو الظلال ، ومن خلف العينين الصافيتين اطلت نظرة فيها عتاب مبتسم ، فنسيت للتو لسعة العقرب وسمومها ، ودغدغت روحي رعشة نشوى ، وسالت في ابتهاج :

— مفاجاة لقياك في الطريق وما عقب ذلك ، اتلف من ادراكي القليل ، ولست اعرف بالدقة ما وجهة السيارة ... ولكن هل تقضين الى جانبي بقية الطريق ؟ ان قربك يؤنسني

فبرقت عيناها من جديد وعادت الابتسامة الوديعة تطل منهما في انشراح ، وقالت وبلسانها لثغ محبب :

— بقية الطريق نعم ... وعند نهاية الطريق نفترق ، الم تستطع ان تتبين الى الان مقصدنا ، يا لك من حميم مجهول ، اننا في الطريق الى الدار الآخرة ..

— معا في الطريق الى الآخرة ... يا للسعادة الابدية ... السرر ... والجنات التي تجري من تحتها الانهار ...

— معا في الطريق

— والآخرة

— سانتظرك هناك الى ان تتوب .

— لما ذا ؟ هل علي ان اصطدم من جديد واموت مرة اخرى في طريق قوس قزح ... وتطيرين وحدك الى الجنة ... وابقى هنا روحا هامدة ... الى يوم القيامة ...

فتضاحكت بطرفها الذي بدات اتعوده وازداد به هياما ، ولما لم اكن احس لي باي تاثير لتاولي مقود السيارة تركته واقبلت عليها وقصصت عليها الحديث ، وداعبتها واخذت راحتها بين راحتي ، ولكنني عند ما هممت بان التم شفتيها اختفت ، كما لو كانت فوقعة مضاءة اطفاتها انفاس قبلة ...

وتضاعفت الدهشة حينما توقفت السيارة في نفس الوقت عند بوابة بناية ضخمة تشبه محكمة هائلة تعترض قلب الطريق ، وقد كتب عليها بحروف ناصعة

كبيرة : « الدار الاخرة » والى اليمين سهم ضخم ابيض كتب عليه بحروف من نور : « الى الجنة » والى الشمال سهم ابيض اخر كتب عليه بحروف من نار : « الى جهنم » .

وتقدم الى مستفسرا فارس عظيم يشبه ما يركبه مطهما مجنحا او مجنحا مطهما ، وكان يتوقع دون ريب ان استرشده الطريق ، ولكنني سالته :

— هل تستطيع ان تدلني ايها الفارس على الطريق الذي انتهجته فتاة نورانية كانت منذ عهد قريب الى جانبي قبل ان اصل اليك بقليل ، ثم اختفت كما لو كان قد ابتلعها المجهول ...

فاستخرج الفارس من صدره قائمة جال فيها بنظره وتفرسني مليا ، ثم تساءل :

وما شانك انت وفتيات النور هنا في هذه العوالم البعيدة .. ومهما يكن من شيء فهذا سابق لاوانه ، لا تنس انك ما زلت من الاحياء ، ان الذين تلسعهم العقارب الحقيقية لا يموتون حتما ، فكيف تريد ان تموت وقد لسعتك عقرب وهمي لا يتجاوز مفعول لسعه رفع درجة الحمى ...

— ولكنني على ميعاد

— مع العقرب ؟

— لا ، مع الفتاة النورانية

— انهما معا لا يخلفان الميعاد .. فعد الى الدنيا واتمم نصيبك منها اولا ، وعند ما تعود تتحدث عن المواعيد .

— مع العقرب ؟

— لا ، مع فتاة النور .

— ومن يضمن لي صدقك في القول

— العقرب .. العقرب نفسه ..

* * *

وعند ما انتفضت الانتفاضة الاولى وجدتني انهب الطريق الصلب في سيارتي الحديدية الى الرباط ، اسوقها في سرعة جنونية كانني اسابق الهواجس والخطرات .

ولكنني عند ما انتفضت الانتفاضة الثانية كدت اتنفس الصعداء اذ الفيتني ما ازال في المكان الذي القيت فيه بنفسي كانني ما برحته ، وقد تحررت الاصوات الراسفة من اغلالها ، وهدات الاغاني وتلاشت الخيالات والاشباح ، ودارت مقلتاي في المكان والزمان للتاكد من انني لا ازال على قيد الحياة ... ما اجمل ان يوغل بك ملك الموت في الظلمات ، ثم فجاة تجد نفسك ما تزال على قيد الحياة ...

وذهبت اجتر ثمالة الحمى :

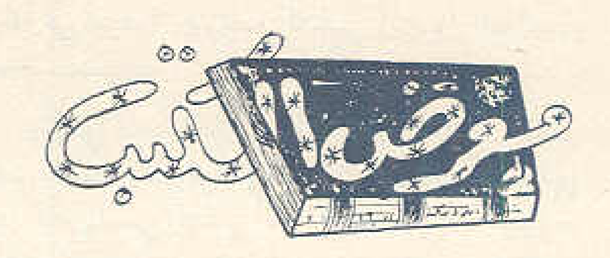
ما ذا يعني انك لا تزال على قيد الحياة ايها المغوار ؟ ابتهج انت بحياة تلسعك فيها عقارب لا تضرب لك الميعاد حتى لا تتل من لسانها ما تضطرم به من سموم ...

وفجاة تذكرت الحوار مع الفارس عند باب الدار الاخرة الى ان سالته من يضمن لي صدقه في القول ، واجاب : العقرب .

واذن فلا بد ان يلسعني العقرب من جديد لالقاها ، فهلم ايها العقرب المقدس واضرب لي ميعادا لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فقد برح بي الجوى الى الحروف الخضراء ، الى التي صخب ظهورها الارتطام ، الى التي حفت هالة النور براسها الصغير ... ذات الخدين الشفافين ... والعينين الصافيتين البراقتين ... والابتسامة الوديعة ... التي تنتظرني هناك في الجنة تحت حراسة ذالك الفارس العظيم الى ان اؤوب ... والتي اختفت حينما اطفاتها انفاس قبلة .. في نهاية طريق قوس قزح .. قبل الوصول مباشرة الى الدار الاخرة ... »

هكذا قال محدثي

الرباط : الاستاذ عبد المجيد بن جلون



التصوير الإسلامي ومدارسه

تأليف: الدكتور جمال محمد محرز

عرض الأستاذ أحمد ...

الدكتور جمال محمد محرز من اعمدة الثقافة العربية المهتمين بشؤون الفكر والفن .

وكتابه « التصوير الاسلامي ومدارسه » دراسة دقيقة مستفيضة ، على تصوير المخطوطات وجانب من الرسوم الجدارية - ملحقة بحديث شيق عن بعض صفات التصوير الاسلامي ومميزاته .

الكتاب يحتوي على ازيد من 122 صفحة ذات القطع المتوسط ، وقد جاء ضمن سلسلة « المكتبة الثقافية » التي تصدرها وزارة الثقافة والارشاد القومي القاهرية .

الاسلام والتصوير

في بداية هذا الفصل تحدث الدكتور محرز باسهاب عن موقف الاسلام من التصوير ، وحرص الرسول صلى الله عليه وسلم على تجنيب المسلمين مواقع الزلل ، وابعاد الشبهات عنهم صونا لهم من الشرك بالله .

وقد اختلف الفقهاء في تفسير موقف الاسلام من التصوير ، فمنهم من قال بتحريمه ، وءاخر بكراهيته ، وثالث باباحته . وان اختلاف الاحاديث في شان هذا الفن ، وسكوت القرءان يدعونا الى القول بكراهيته ومهما يكن من امر ، فان هذا الموقف له اثره في طبيعة التصوير الاسلامي . ويلاحظ ذلك في النقطتين الاتيتين :

1 - عدم استخدام التصوير لنشر التعاليم الدينية كالمسيحية مثلا ، وخلو المصاحف واثاث المسلمين من الصور والرسوم .

2 - اختفاء اللوحات والتماثيل من المؤلفات الادبية والعلمية والتاريخية .

نشأة التصوير الاسلامي

وانتقل محرز الى شرح كيف عرف العرب التصوير قبل ظهور الاسلام مستندا في ذلك على كتاب « فتوح مكة » وكيف استمر هذا الفن بعد الاسلام مستقصيا الاثار المصورة . هذا وان اقدم الرسوم الاسلامية المبكرة تدل على ان العرب اعتمدوا على الحضارات السابقة . فالتصوير العراقي والايراني مثلا شديد الصلة بالتصوير الساساني الذي كان موجودا الى جانب البيزنطي ابان الامبراطورية الاسلامية المبكرة . ومن هذين الفنين اخذ العرب والمسلمون بعض الاساليب التي اخضعوها فيما بعد الى توجيهات جديدة . ومن هنا نشا الفن الاسلامي . ومن العوامل التي ساعدت على هذه الانطلاقة : عوامل النقل والاقتباس . والرسوم الجدارية والمخطوطات تلعب دورا ايجابيا في هذا المضمار . وقد وصف لنا البحتري في قصيدة مشهورة الرسوم التي كانت تزين ايوان كسرى . كما ذكر لنا المسعودي انه راى مخطوطة مصورة بمدينة (اصطخر)

تمثل الاكاسرة عند وفاتهم . ولم يفت ابا اسحاق الفارسي الاصطخري ان يبدي اعجابه بالمخطوطة التي رءاها في احدى قلاع مدينة (شيز) شمال فارس . كما وصلت الينا رسوم اخرى ترجع الى العصر الساساني الذي دعا فيه موسس المذهب المانوي الى تزيين الكتب بالصور وتوضيحها بالرسوم . ويبدو ان تلاميذ (ماني) كانوا على درجة من التقدم والاتقان مكنتهم من استخدام الذهب والفضة في الرسوم . وان كثيرا من الخلفاء المسلمين ارسلوا بعوثا الى الولايات البيزنطية لجمع المخطوطات الاغريقية وترجمتها . ومن اشهر المترجمين: الحجاج بن مطر ، ومسلم صاحب بيت الحكمة ، وابن البطريق ، وابو عثمان الدمشقي . ورغم هذا فان اقدم المخطوطات العربية التي وصلت الينا ترجع الى اواخر القرن السادس الهجري ـ بيد ان الرسوم الجدارية الاسلامية كانت منذ القرن الثاني للهجرة .

المدرسة العربية

لقد ذاعت اساليب المدرسة العربية ، وانتشرت مراكزه في المنطقة العربية من العالم الاسلامي . واذا كانت الرسوم والصور التي وصلت الينا قد ساعدت على التعرف على ماهية هذه المدرسة ونشاتها وتطورها ، فاننا نجهل كثيرا عن تاريخها . ومن اهم المراكز الفنية لهذه المدرسة : بغداد ـ الموصل ـ دمشق ـ القاهرة ـ قرطبة ـ غرناطة . وانتاج هذه المدرسة لم يخضع في ايامه الاولى لاسلوب واحد . فالتصوير الطولوني والاخشيدي هو عبارة عن مجموعة من الرسوم على ورق بردي . والتصوير الفاطمي كان معتمدا على الالوان وحدها للحصول على التاثير المطلوب . واما التصوير العباسي فانه يعتبر ثورة تجديدية ، لانه يمتاز بالحياة والحركة والواقعية .

وقد اكتفى المؤلف في كتابه بالاشارة التاريخية الى اهم المخطوطات المعروفة .

المدرسة الايرانية

وبعد اشارة موجزة الى التصوير الاندلسي والتركي في المدرسة العربية حلل الدكتور جمال تاثر المدرسة الايرانية بالاساليب العربية ، وانفصالها في الاخير نحو ذاتيتها الخاصة ، شارحا التصوير المغولي الذي ساعد على ظهوره واكتسابه التصوير الصيني المعبر ، معرجا على التصوير التيموري الذي يعتبر استمرارا للمغولي نحو التهذيب والروعة والاتقان والكمال . اما الصفويون فيمتازون بالوحدة والرقة والجمال والابداع في مزج الالوان .

المدرسة الهندية والتركية

ان تاريخ هذه المدرسة وتطورها يرتبط بعهود الاباطرة ، وان كل عهد منه له صفاته الخاصة به . بيد انها كانت متاثرة في اول عهدها بالاساليب الايرانية، الا انها تغلبت عليها في النهاية .. في نهاية القرن السادس عشر الميلادي . وتمتاز الصور الهندية بالوانها الهادئة الداكنة ، ونشط الهنود في رسم الاشخاص والطير والحيوان والنبت . هذا بالاضافة الى المدرسة العثمانية التي ابتدات في مطالع القرن الرابع عشر الميلادي . وكانت تتميز بتصوير العمائر المنمنمة والمعارك الحربية . والوان هذا التصوير يكثر فيها الذهب والفضة .

اعداد المصور وادواته

من المعروف ان الفنون الاسلامية اقرب الى الحرف منها الى الفنون . ولقد اكتسبت هذه الصبغة بسبب طريقة اعداد الفنان بتعليمه كيفية تحضير الالوان ، وتجهيز الورق والتمرن على نقل نماذج معينة من رسوم الحاذقين . وهذه الطريقة جمدت التصوير الاسلامي لانها قتلت المواهب عند الناشئين ، وحافظت على تكوينات معينة استمرت من عصر الى عصر دون تجديد . ورغم هذا فلم يكن عمل المصور بالامر الهين بل كان عليه ان يحضر بنفسه ادواته كالفرشاة والالوان والاصباغ والورق المزخرف الخ ... والمسلمون فضلوا من الالوان : المعدنية ، لانها بطبيعتها معتمة غير شفافة . ولم يفت المؤلف ان دخل بنا الى المخبر حيث شرح لنا كيف يستحضر المصور الوانه . هذا وان المسلمين اتبعوا في اول الامر الطريقة البيزنطية . فالخطاط هو الذي كان يحدد المكان المراد تزيينه بالصور ، ويبين الموضوع المطلوب توضيحه الا ان هذه القاعدة خرج عليها « بهزاد » . والمصور المسلم انصرف عن اتباع قواعد

المنظور والضوء والظل مع علمه بها راجع الى احساس داخل ، دفعه الى معالجة هذه القواعد باسلوب علمي كزميله في الغرب .

الرسوم الشخصية

وخصص المؤلف هذا الفصل للحديث عن الرسوم الشخصية التي يقوم بها الفنان وعملها نقلا عن انموذج حي امامه ، ويكون صادق التعبير عن صفات نماذجه الخلقية والخلقية . واقدم الرسوم الشخصية الاسلامية التي وصلت الينا ترجع الى القرن الرابع عشر الميلادي وءاية ذلك ان هناك امثلة تقول بوجود صورة للنبي صلى الله عليه وسلم وهي التي راها سائح قرشي يدعى ابن وهب عند امبراطور الصين ضمن مجموعة صور تشمل الانبياء والرسل . وهناك اشارات ايضا تذكر ان صورة علي بن ابي طالب كانت منقوشة على السيوف . وقد ذكر المسعودي في مروج الذهب انه وجد صورة ليزيد بن الوليد بن عبد الملك . وذكر المقري ايضا بان عبد الرحمن الناصر نقش صورة الزهراء حبيبته على باب المدينة التي شيدها وسماها باسمها . ولم ينس الراوندي والمقريزي ان اوردا لنا كثيرا من الامثلة من هذا القبيل . هذا وان الصور الشخصية شهدت اوج عظمتها في المدارس الفنية الاسلامية .

البيضاء — احمد بنسنة

الجديد .. والقديم

وان كان عندي للجديد لذاذة
فلست بناس حرمة لقديم

محمد بن نصر الأوسي



للأستاذ : ادريس الكتاني
معهد العلوم الاجتماعية بجامعة محمد الخامس بالرباط

الرسالة الحضارية لمغرب اليوم :

اختارت «دعوة الحق» لافتتاحيتها الحديث عن الموضوع اعلاه لوجود مقالين هامين عنه التقيا صدفة فى نفس العدد ، وقد اثارت « دعوة الحق » اهتمام الكتاب والمفكرين لهذا الموضوع الذي يعتبر بالنسبة للمغرب مشكلته الاولى كدولة وشعب حديثي عهد بالاستقلال ، اذ بالرغم عن امتلاك المغرب لحضارة تاريخية عريقة جديرة بان تكون نواة تطوره وتقدمه بعد الاستقلال ، فانه لا يزال ـ بعد عشر سنوات من هذا الاستقلال ـ واقعا تحت تاثير الغزو اللغوي والثقافي .

وادزهاره الحضاري والفكري لا يمكن ان يتم الا فى اطار المحافظة على شخصيته وكيانه القومي ، وهو اطار العروبة والاسلام .

لاجل ذلك ، فان احساس « دعوة الحق » بالماساة التي يعيشها المغرب اليوم ، وسعيها للفت نظر الكتاب والمفكرين لمعالجة هذه المشكلة الخطيرة ، يدل على ان هذه المجلة تعيش فى مستوى الاحداث الوطنية ، بروح عربية اسلامية » وتشعر بمسؤولياتها نحو هذه الاحداث .

تفسير سورة : قل اعوذ برب الفلق :

جميل جدا ان تبدا المجلة فى باب الدراسات الاسلامية بالتفسير ، ولكن ينبغي ان يلاحظ المفسر الكريم انه لا يعظ بكلامه جمهورا من المومنين داخل مسجد ، وانما يخاطب قراء مجلة ذوي مستوى ثقافي معين ، عموم البلاد الاسلامية ، فالتفسير المناسب لهم ، ولمتطلبات عصرهم ، وحضارة القرن العشرين ، ينبغي ان لا يكون بنفس الاسلوب التقليدي القديم ، والا فقد الهدف المرجو منه ، وهو احياء الدعوة الاسلامية ، وتجديد الثقة برسالتها الخالدة .

وحدة التفكير القرآني :

كتابات صديقي الاستاذ حسن السائح مذهلة ، واعترف بانه ما من مرة حاولت ان اقرا له شيئا الا ورجعت بخيبة مريرة وتساءلت : كيف يكتب هذا الرجل ؟ . ونحن هنا امام نموذج من هذه الكتابات : مجموعة آراء واقوال وتلخيصات وعبارات خلطت وعجنت عجنا . ونشرت على الناس قبل ان تطبخ ، واول ما صدمني من هذا المقال عنوانه ، لو كان القرءان كلاما من كلام الناس لقلنا ان لصاحبه تفكيرا ، ولوصفنا هذا التفكير بالوحدة او التشتت ، ولكن القرآن هو كلام الله ، والاستاذ السائح يعلم انه ليس من صفات الله «المفكر» حتى نصف تفكيره القرآني او التوراتي او الانجيلي بالوحدة او التناقض لسبب بسيط هو انه اله ، والتفكير هو من صفات الانسان الجاهل ، الذي يحتاج الى التعلم والتجربة والعقل لكي يفكر ، اي يدرك او يتصور حقائق الاشياء ، وقد يكون هذا التفكير صحيحا او خطا ، موحدا او متناقضا . ولاجل هذا لا يجوز لمسلم ينفي عن الله الصفات البشرية استعمال هذا العنوان .

ولنبدا الآن بعرض الاخطاء اللغوية والنحوية ، فقد جاء فى المقال : « ولكنه عقل يستطيع ان يجنح نفسه بالخيالات ..» استعمل فعل جنح الثلاثي او

الرباعي بمعنى ملا او غمر وهو غير موجود . وجاء فيه : « .. ان اختلاف الزوايا .. وتطور العرض هو الذي .. » والصواب هما اللذان ، او هي التي على اعتبار ان اقل الجمع اثنان . وجاء فيه : « ولكن الحكم الاخير لاعماله « اي الانسان » مرده لله وحده» والصواب على اعماله . وجاء فيه : « ثم ان الانسان كمجموعة من جهة اخرى مسؤول امام الله » لا يصح ان يقال ان الانسان كمجموعة لانه عمليا فرد وان قصدنا نوعه ، اذ ينصرف على كل فرد لا بعينه ، فهو والحالة هذه يظل فردا فلا معنى لوصفه بانه مجموعة ، والصواب ان يقول : كالجماعة وتشبيهها بالانسان ينصرف الى حمل المسؤولية وهو مقصود الكاتب ، والتعبير الملائم للجملة السابقة واللاحقة هو « ثم ان الجماعة ـ كالانسان ـ مسؤولة» وجاءفيه : «والانسان .. والتاريخ .. يتطوران تطويرا مشهودا يخضع لترتيبات بعيدة عنا ان ندرك اسرارها » والصواب ان يقول تطورا لانه مصدر تطور واما التطوير فهو مصدر طور . وقوله بعيدة خطا فاحش والصواب بعيد بالتذكير والرفع على انهخبرمقدم للجملة المتاخرة، ولا يصح بأي حال ان يكون مؤنثا مجرورا على انه نعت لترتيبات كما لا يخفى . وجاء فيه « فقد اوضح الفيلسوف شوبنهور ان الانسان ليس الا ارادة فعالة ، ولكنه عند ما وضعه فى الكون لم يحرره من الارادة العليا » على من يعود الضمير فى « ولكنه » ؟ ليس هناك الا شوبنهور ، وعلى هذا يكون المعنى ان شوبنهور قبل ان يضع الانسان فى الكون قرر انه ارادة فعالة ولكنه بعد ان وضعه فى الكون لم يحرره من الارادة العليا ، فما معنى هذا الكلام ؟!

وننتقل الان الى ذكر نماذج من التعابير والجمل المعجونة من كلمات تشكو الى الله مما حل بها ، فقد جاء فى بداية المقال : « منذ اربعة عشر قرنا والفكر الانساني يركز تحليلا دقيقا فى القرآن الكريم .. فتعطي نتائج هذا الحاصل توجيهات جديدة ..» « .. وانما هو كتاب تسحر الانسان كلماته الخفية التي تسمو به الى ايحاءات تحليلية عميقة لذات الانسان » كلمات القرآن ليست خفية ، واذا قصدنا المعاني فهي غير الكلمات ، والسمو قد يكون لتلقي الوحي ولكن لا للايحاء ! « فهو ـ يعني الكتاب ـ وحي يفيض من ينابيع عميقة لا تتغير ولا تتبدل لانها ينابيع الانسان فى صورته الطبيعية ..» ! القرءان وحي يفيض من ينابيع الانسان !!! هل يعني هذا ان الانسان فى صورته الطبيعية فاضت ينابيعه بهذا الوحي ؟ معاذ الله ان يقصد الاخ السائح هذا ، وان كان هو ما يدل عليه كلامه بالحرف ، فبعد ان انتقد المحاولات التي قام بها كثير من المفكرين المعاصرين كالرافعي وسيد قطب وامين الخولي « فى تفسير القرآن » والتي « ينقصها وجود تركيز جديد مستمر من هذه المحاولات جميعها»! اراد ان يعطي هو للقرءان وصفا قائما على « وحدة الموضوع وشمولية الفكر»! يتضمن هذا«التركيزالجديد» الذي افتقده عند هؤلاء المفكرين ، فاختار الكلمات الطنانة كالسحر والسمو والايحاءات التحليلية العميقة ، والينابيع العميقة ، وخلطها مع الانسان فى صورته الطبيعية ، فخرج من هذا العجين « التركيز الجديد » الذي قلب اللغة العربية والقرآن رأسا على عقب ! .

وانظر الى هذه الفقرة المستقلة : « ان الانسان كمخلوق يستمد وجوده من خالقه ، تتوقف حياته على استمرار وجوده الروحي والجسدي المسوى من مادة نتجت من الطين ، ووهبه العقل الذي امتاز به عن سائر المخلوقات » لو قال : تتوقف حياته على استمرار هذا الامداد من ربه ، لكان هذا خبرا معنويا صحيحا للجملة السابقة ، لكنه عندما قال : تتوقف حياته على استمرار وجوده الروحي والجسدي ، ترك الجملة السابقة بدون جواب معنوي ، وجعل الجملة اللاحقة عديمة الفائدة لانها خبر من باب « السماء فوقنا » اما قوله : ووهبه العقل ، فهي جملة جديدة نزلت من السماء ، لا يمكن ان تجد جملة سابقة تعطفها عليها ، وضمير الفاعل فى وهبه لا يعود على مذكور فى الجملة اعتمادا على انه مفهوم !

وبعد فقرات اخرى من هذا النسق ، يدخل الكاتب الى الموضوع قائلا : ان كثيرا من المفكرين يرون اختلافا فى العرض والتفكير فى القرءان ، وان القرءان يتناقض فى عرضه ! ، والمثل الوحيد الذي يذكره لتبرير هذا الاختلاف هو مسالة الارادة والجبر التي اختلف فى فهمها ، وقتلت بحثا ـ كما يقولون ـ فى علم الكلام ، فيجعل التقارب فى القرآن نفسه اذ يقول : نرى آيات تراه ـ اي الانسان ـ مخلوقا محدود الارادة او لا ارادة له ، بل هو مسير فى الحياة ، ونرى آيات اخرى تمنحه الكثير من الاختيار ..» هذا كلام الاستاذ السائح الذي تبناه ولم ينسبه لاحد ، فما هي هذه الآيات ؟ وما هي وجوه التناقض فيها ؟ ومن هم المفكرون المسلمون الذين قالوا بوجود التناقض فى القرآن ؟ والله تعالى ينفيه بقوله : « افلا يتدبرون

القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا» ؛ هل يعني بهم اصحاب مذهب الجبرية الذين انقرضوا اواخر القرن الرابع للهجرة ولم يبق لهم اثر ؟ ام هم جبريون جدد ؟ مهما يكن فان الشيخ محمد عبده اكد بانه لا يوجد مسلم فى هذا الوقت من سني وشيعي وزيدي واسماعيلي ووهابي وخارجي يرى مذهب الجبر المحض ، ويعتقد سلب الاختيار عن نفسه بالمرة ، بل هم جميعا يعتقدون بان لهم جزءا اختياريا فى اعمالهم يسمى الكسب ، وهو مناط الثواب والعقاب عند جميعهم . كما اكد بان الاعتقاد بالقضاء والقدر ليس هو عين الجبر ، ولا من مقتضيات ذلك الاعتقاد كما ظنه الواهمون .

وبنفس السهولة التي قبل بها الاستاذ السائح التهم الموجهة للقرآن ، قبل الحل ايضا بالاعتماد على المنهج التالي : « فحين يكون الموضوع القرآني الحديث عن الله تجعل الآيات الانسان مجبورا غير مختار ، ويصبح عمله خيرا او شرا سواء «!!» ، اما حين يكون عن الانسان فان الآية دائما تترك له حرية الاختيار وتحمل مسؤوليته » ! تقسيم غريب لا يمكن ان يقول به انسان الا اذا قام بعملية استقراء وتصنيف لجميع آيات القرآن التي تتحدث عن الله وعن الانسان ، فهل قام الاخ السائح بهذه العملية ؟ ، ام العهدة على « مفكر اسلامي » نسي ان ينسب له هذا المنهج ؟ ، ومهما يكن صاحب هذا التقسيم الغامض فاننا نسأله : ما علاقة موضوع الآية بالعمل الانساني ؟! وهل نستطيع ان نميز اعمال الانسان الجبرية من اعماله الاختيارية بمقتضى هذا التقسيم ؟ ، وما رايه فى الآيات التي يكون موضوعها الحديث عن الله والانسان مجبورا ومختارا فى آن واحد ؟! . لا شك اننا فى حاجة الى ان يقوم الاخ السائح بالمزيد من « التحليلات العميقة » و « التركيز الجديد » مع « الاعتماد على منهج » جديد ، لكي ينفي عن آيات القرآن التناقض الذي زعم انها تشتمل عليه ! لكن الذي يبدو بعد طوافه حول شوبنهور وسبينوزا وفولتير ، انه ركز رايه فى حل جديد ختم به مقاله قائلا : « ان الارادة الانسانية غير مختارة ، ويحاول العقل ان يفسر اعمالها بطريق الاختيار ، وعلى هذا فلا تناقض فى الآيات القرآنية . »!! مرحى ! مرحى !

ثقافة القرآن والثقافات العالمية :

يتابع الاستاذ محمد الحمداوي سلسلة مقالاته فى الرد على الاستاذ التهامي الوزاني مبطلا دعواه فى ان « ثقافة القرآن ثقافة عالمية » وقد التزم الاستاذ الحمداوي فى رده اسلوب البحوث العلمية مشيرا الى المراجع والنصوص ، الشيء الذي دل على اطلاع واسع ، وقدرة على دحض الشبهات والاراء غير الناضجة ، وان متتبع هذا الرد القيم لا يسعه الا ان يقتنع بصحة وسلامة الحجج التي يقوم عليها .

مجال التخطيط للقضية الاسلامية فى العصر الحاضر

موضوع هام جدا احسن الاستاذ المهدي البرجالي فى اختياره له اولا ، وفى طريقة عرضه ثانيا ، اذ وضع يده على اخطر نقطة ضعف فى الحركات الاسلامية المعاصرة ، وهي فقدان تخطيط كامل ويمكن التطبيق لانبعاث اسلامي جديد ، وحتى اذا وجد جزء من هذا التخطيط فانه يعتمد على العموميات ، ولا يحظى بتأييد سائر الحركات الاسلامية له ، والسؤال الذي طرحه الاستاذ البرجالي : ما هي اهداف الحركة الاسلامية الحديثة ؟ فى غاية الاهمية ، اذ ليس هناك اتفاق على هذه الاهداف ، مع ان تحديدها شيء اساسي ، ليس فقط لاعداد الوسائل ، بل لتوضيح معالم التخطيط المرجو ، ولست بصدد الدخول فى صلب الموضوع ، ولكني اقترح على « دعوة الحق » ان تعتبره من بين موضوعاتها الرئيسية الدائمة ، ان لم تتمكن من تخصيص احد اعدادها المقبلة له .

نقد مقال : العوائق النفسانية للتخطيط :

فى المقال التاسع من هذه السلسلة القيمة ، يقوم الدكتور تقي الدين الهلالي بالرد على شبهات الملحدين وتزييف نظريات الماديين فى نظام الكون ، ويمتاز عرضه واسلوبه بالقوة والوضوح والدقة ، والذي ارجوه من الاستاذ الهلالي ان يعد هذه السلسلة فى شكل كتاب يقدمه لوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية لتنشره اذ لها ميزانية خاصة لنشر الكتب الاسلامية .

نظرة فى المنجد فى الاداب والعلوم :

كثيرا ما يعثر الباحثون الذين يراجعون هذا القاموس المدرسي الجميل المتداول بين طلاب المدارس فى العالم العربي على اخطاء عديدة متنوعة والسبب فى ذلك يرجع الى ان هذا المعجم الخاص باعلام الشرق والغرب قام به الاب فرديناند توتل اليسوعي وحده ، وكان يجب ان يراجع من طرف جماعة من المختصين قبل ان ينشر ملحقا بالمنجد فى اللغة ، وقد تطوع لهذه المهمة صديقي الاستاذ عبد الله كنون ، ومما يدل على

اهمية هذه المراجعة انها تسير بمعدل تصحيح واحد عن كل صفحة من صفحات المنجد ، ولا شك ان الاستاذ كنون قد فكر في ارسال هذه المراجعة لمؤلف الكتاب حتى يعمل على تصحيحه في طبعة مقبلة .

رسالة المغرب الحضارية : من الذي يضطلع بها ؟ وكيف ؟ :

موضوع هام وخطير يطرقه بغيرة وتلهف صديقي الدكتور شكري فيصل ، وفضلا عن اصالة الآراء والاقتراحات القيمة التي عرضها ، والتي لا يسمح الوقت الان بالتعليق عليها ، فان الاسئلة التي طرحها ستظل بدون جواب ما لم تتحرك اقلام المفكرين الغيورين في هذه البلاد ، وما لم تقم « دعوة الحق » بتلبية اقتراح الاخ الكريم بتخصيص احد اعدادها لدراسة هذا الموضوع ، وهو اقتراح لا يجد منا الا كل تأييد . انما احب هنا ان اضيف الى سؤاليه السابقين ، سؤالين اولين : حيث تصبح الاسئلة المطلوب دراسة اجوبتها بهذا الترتيب :

1» ما هي اسس وعناصر رسالة المغرب الحضارية ؟

2» هل يجب ان نحافظ عليها وتواصلها ؟

3» من الذي يضطلع بها ؟

4» وكيف ؟

اذ السؤالان 3 و4 يشعران بان هذه الرسالة متعطلة الان ، ولا جدال في ذلك ، ولكي نعرف اسباب هذا التعطل — وهذا اساسي — يجب ان نلقي السؤال الثاني لكي نتعرف على راي وحجج الذين لا يومنون اليوم بقيمة هذه الرسالة ، او يطعنون في صلاحيتها ، وهذا بدوره يضطرنا لالقاء السؤال الاول لتحديد اسس وعناصر هذه الرسالة ، حتى لا يصدر عليها حكم خاطىء ، نتيجة لتصور خاطىء ، واظن ان الدكتور فيصل سيتفق معي على هذه الاضافة .

في الحضارة المغربية :

في اطار الموضوع السابق نجد الاستاذ عبد المجيد ابن جلون يحاول — في نماذج صغيرة شيقة — ان يحلل مشكلة اصطدام الحضارة المغربية التقليدية بالحضارة الصناعية الغربية ، في ميدان الفنون الجميلة على الاقل ، وهو يشير — ولكن في سرعة — الى وجود خلاف بين المغاربة في الجواب على سؤالنا الثاني ، وسيكون من الممتع ان يعود الاستاذ ابن جلون لموضوعه فيعطيه من التحليل والامثلة ما يجعله فصلا هاما في العدد الخاص المقترح من « دعوة الحق » بحول الله .

اضواء على التاريخ العربي المعاصر :

شرح الاستاذ انور الجندي بغيرة صادقة بعض مظاهر الغزو الفكري والثقافي الاستعماري المتمثل في حملة التشكيك الموجهة للتاريخ العربي الاسلامي منذ مائة عام ، الشيء الذي ادى لضعف الايمان بقدرتنا على احتلال مكاننا السامي بين الامم المتقدمة ، وهاجم بعض الكتاب العرب الذين سايروا هذه الحملة ، كما ندد بالمستشرقين والمبشرين الذين شوهوا — عن عمد — تاريخ الاسلام واعلام العروبة، وخدعوا كثيرا من الكتاب والقراء العرب بتضليلهم وسمومهم .

دفاعا عن الكتب الصفراء :

في هذا المقال رد مفعم بالحجج ، وباسلوب ادبي متين ، على الاستاذ عبد الكريم غلاب الذي دعا للتخلص من الكتب الصفراء ، في معرض نقده لمقالات الاستاذ محمد الحمداوي حول ثقافة القرآن ، وقد اشرنا الى هذه السلسلة آنفا .

شرق وغرب :

حاول الاستاذ احمد الجندي في هذا البحث ان يثبت ان الشرق يختلف عن الغرب في جميع خصائصه، بما فيها اللغات والفنون والتفكير الادبي والفلسفي، وحتى طبيعة الارض ، وخرج من كل ذلك بنتيجة وهي عدم جواز تطعيم الشعر الشرقي بالغربي ، او الموسيقى الشرقية بالغربية — كما حاول بعض الفنانين ذلك ففشلوا — لان فيه جمعا بين النقيضين !، ولان خصائص فن لا يمكن نقلها لفن آخر ! . واعتقد ان اصدار مثل هذا الحكم شيء صعب ، ولا يمكن ان يرتجل بهذه السرعة ، فقد يكون صحيحا من بعض الوجوه او مبالغا فيه ، الا اننا لا نستطيع ان نجزم فيه بشيء ما لم يدرس دراسة تحليلية مفصلة . اما فشل بعض التجارب الشعرية او الموسيقية فليس

دليلا على استحالة هذا التطعيم ، واذكر على سبيل المثال النجاح الذي لقيته اغنية « سترجع يوما الى حينا » لفيروز بعد ان غنتها بنفس التلحين مغنية فرنسية شهيرة ، ولكن بلغة ونبرات موسيقية غربية. ولا ننسى النجاح الذي لقيته اغنية « يا مصطفى يا مصطفى » سنة 1959 فى كثير من البلاد الامريكية والاوربية والعالم العربي وهي ذات تشطير عربي فرنسي وكانت تذاع من محطات كندا عدة مرات فى اليوم . كما ان هناك عدة امثلة من الشعر العربي الحر تلتقي من الشعر الغربي فى اتجاهات ونواح متعددة . ان وجود طابع وخصائص مميزة لكل من فنون الشرق والغرب لا يعني حتما وجود تناقض بينها يستحيل معه الالتقاء بين هذه الفنون ، فالثقافة العالمية المعاصرة تلعب دورا كبيرا فى تقريب الاذواق والاحاسيس .

لغة الفرس بين الماضي والحاضر :

ننتقل بهذا البحث الى موضوع جديد يحدثنا فيه الدكتور عبد اللطيف السعداني عن نشاة وتطور وخصائص لغة اسلامية عزيزة هي اللغة الفارسية التي امتزجت وعاشت قرونا من تاريخها فى جوار اللغة العربية ، ولا شك ان الذين درسوا اللغة الفارسية من المغاربة هم قلة مع الاسف ، بسبب قلة الاتصالات بين الشعبين الاسلاميين ، وكنا نود لو حدثنا الاستاذ السعداني عن تاريخ علاقاتنا باللغة العربية ، ومدى تاثرها بها ، ومتى تبنت الحروف العربية ، وهل هذه الحروف تستوعب بكفاية جميع اصوات اللغة الفارسية ، وهل توجد بايران نزعة لاستبدالها بالحروف اللاتينية كما حدث بتركيا ؛ وهل هناك غزو لغوي انجليزي او فرنسي يجعل اللغة الفارسية محتقرة فى اعين الفارسيين ، الى آخر هذه الموضوعات التي تتناول حاضر اللغة الفارسية وهو ما لم يشر اليه الاستاذ السعداني .

معاملة الرسل والسفراء فى الاسلام :

اقتصر الدكتور محمد الروبفي فى موضوعه هذا على الاشارة الى حسن معاملة الرسول «ص» للسفراء ونقل بضعة نماذج وصفية شهيرة من كتب التاريخ لحفلات استقبال السفراء بقصور الخلفاء ببغداد وقرطبة ولم يكلف نفسه بأي شيء زائد على ذلك !

حافظ ابراهيم شاعر النيل الأثيل :

فى هذه الترجمة يمتعنا الدكتور جمال الدين الرمادي بصفحات شيقة عن حياة شاعر مصر الكبير الذي تغنى الشباب المغربي بشعره منذ فجر حركته الوطنية المرحوم حافظ ابراهيم ، وعن علاقته بالشاعر خليل مطران وامير الشعراء احمد شوقي ، مع عرض موجز لخصائص شعره ، وهو الشاعر الذي وضعه طه حسين مع شوقي فى الدرجة الثانية بعد المتنبي والمعري ، وفى هذه الترجمة بعض الوفاء لذكرى هذا الشاعر الكبير .

قضية الشعر :

يعنى بها الاستاذ عباس الجراري الخلاف بين الشعر القديم والجديد ، وقد القى بعض الاضواء على تاريخ هذا الصراع منذ بدا التجديد فى الشعر خلال العصر العباسي وفى الحضارة الاندلسية ، ثم تعرض لشرح التطورات التي دخلت فى مضمونه وشكله شيء طبيعي ، انما المقياس الصحيح فى نقد الشعر يجب ان يكون هو الاصالة الشعرية بقطع النظر عن ثيابه القديمة او الجديدة ، فالعيب لا ينصب على هذه الثياب بقدر ما هو كامن فى فقدان الاصالة ، ولعمري انه لرأي سديد وحكيم يختم به الاستاذ الجراري بحثه القيم .

منابع الشعر وحقيقة الشاعر :

يتابع الاستاذ محمد زنيبر فى هذا البحث المتسلسل شرحه للاصالة الشعرية وذلك بتحليله لمنابع الشعر الدافقة التي ينهل منها الشاعر الحق ، وتصوير الحقيقة الانسانية الكامنة فى الشاعر ، باسلوب جميل، وعرض شائق ، لم ينته بعد .

المذاهب الفلسفية والادبية واثرها فى الرواية الاوروبية :

اهتم الاستاذ محمد الامري فى تتمة بحثه هذا عن اثر بعض المذاهب الفلسفية والادبية وحتى النفسية والاجتماعية فى الرواية الغربية ، وخاصة فى تصوير شخصية البطل ، وهو وان كان قد جاء بنماذج وامثلة لشرح الأصول المذهبية لبعض الروايات ، الا انه كان يهدف من بحثه ـ كما قال ـ لاعطاء صورة عن تدفق المجاري الثقافية وحيويتها باروبا ، الشيء الذي اتاح للرواية الغربية الفرصة

لتشرب هذه الينابيع وامتصاص رحيقها فامتلات جدة وحيوية .

لم يكن القرآن بلغة قريشي فحسب :

بعد مقدمة طويلة ـ لم تكن بحاجة اليها ـ يخبرنا الاستاذ الراجي الهاشمي بانه قام بعملية احصاء وتصنيف لكلمات القرآن الواردة بغير لغة قريش من لهجات القبائل العربية الاخرى ، وقد عد 45 لهجة اهمها لهجة هذيل التي احصى لها 46 كلمة بلهجتها في القرآن ، ثم شرع في تجريد وترقيم هذه الكلمات مع الاشارة الى مكانها من السور والايات ، ويبدو ان الامر سيتطلب سلسلة من المقالات في الموضوع . ونظرا لكون هذا العمل في غاية الاهمية من الوجهة اللغوية ، وخاصة في دراسة اللهجات العربية ، ـ اذا لم يكن قد سبق اليه ـ فاني اقترح عليه تقديمه كاملا في شكل رسالة صغيرة لوزارة الاوقاف لطبعها مستقلة ـ ولا اعتقد ان الوزارة ترفض ذلك ـ وفي هذه الحالة اقترح على المؤلف ان يصنف المفردات في جداول حسب الطريقة العلمية ، ويجعل التعليق عليها مستقلا اسفل الصفحة حسب النموذج التالي :

جدول الكلمات الواردة بلهجة هذيل :

الرقم الترتيبي	الكلمة	معناها	مكانها
1	ظل	صار	سورة النحل الاية 85 «1»

هل ساند الشعر الدعوة الاسلامية ؟

موضوع طريف وهام جدا لعل احدا من الادباء او المؤرخين لم يهتم بدراسته من قبل دراسة مفصلة تحليلية ، وهو دور الشعر العربي في الدعوة الاسلامية ، ذلك الدور الرائع الضخم الذي لعبه في تدعيم الدعوة والتعريف بها ، ان عشرات الملايين من المسلمين ، خلال قرون من التاريخ ، لم يكن في الامكان ان يعرفوا شيئا عن الاسلام لو لم تتح لهم فرصة سماع وحفظ قصيدتي البردة والهمزية للبوصيري مثلا ، وان القاء نظرة صغيرة على المجموعة النبهانية ـ في 4 مجلدات ضخمة ـ ليجعلنا نتصور اهمية العمل الادبي الذي ينتظر الدراسة ، والذي ارجو من الاستاذ ابي طالب زيان ان يواصله، بعد ما بداه ببحث قيم يشكر عليه .

عمليات السبر :

مقال من سلسلة بحث هام عن الدور الذي يقوم به فن الاحصاء والسبر في القرن العشرين ، فنحن نعيش عصر الارقام ، والخريطة الحديثة للعالم هي خريطة الارقام ، هذه ـ في الواقع ـ هي حضارة العصر التي تتطابق تماما مع المثل المغربي الشعبي : « قدما عندك قد ما تسوى » ، ولكي توزن الشعوب والدول بميزان الارقام ، يقوم هذا الفن الجديد باحصاء كل ما يتعلق بها ، وهذا ما اهتم الاستاذ عبد اللطيف خالص بشرحه في هذا البحث القيم .

الملكة الفنية :

هذه تتمة مقال سابق ذات مقدمة مملة كانت جديرة ـ بجملها الصخرية التي ركب بعضها فوق بعض ـ بان توقفني حالا عن متابعة القراءة ، ولم احس بانني خرجت من الطريق الصخري الى الارض المستوية ، الا بعد ان دخل الاستاذ عبد العلي الوزاني الى الموضوع ، واخذ يتحدث عن وسائل تكوين الملكة الفنية ، ومع ذلك فلا نلبث ان تقف فجاة وقفة غير قصيرة ـ بطلب من الكاتب ـ ليشرح لنا كلمة « تكوين » « التي ربما كان وقعها على ءاذان بعض الناس غير جميل ، ومدخلها الى نفوسهم غير محمود الاثر» . ومع ان المقال يتوفر على عرض جميل لموضوعه الا ان الكاتب لم يستطع ان يجنب قارئه من عثرات السقوط تحت جمله الصخرية « ففي استغراقنا لمعطيات الحياة كثير من الدموع والاحزان . . » التي ليست على اية حال من وسائل تكوين « الملكة الفنية » .

المناهج التعليمية عند ابن خلدون :

من المواضيع الطريفة والجديرة بالدراسة عند ابن خلدون آراؤه الخاصة بمناهج التربية والتعليم، التي تكون اليوم مادة علم الاجتماع التربوي ، ومن البديهي ان مثل هذه الدراسة ـ ولابد ان تكون مقارنة ـ لا يمكن ان يفي بها مقال او مقالان ، ثم ان عبارات ابن خلدون يجب ان يشرح المقصود منها بلغة التربية الحديثة ، لنعرف كيف كانت تطبق طرق التعليم في عهد ابن خلدون او قبله ، فماذا يقصد بـ « تطويل

الجلسات ، واعطاء الدروس مفرقة » ؟ و« الشدة على المتعلمين » و « كثرة التاليف » ؟ فلكي نعرف نقد ابن خلدون ، يجب ان نعرف المدة التي كان يستغرقها الدرس ، وعدد الحصص الاسبوعية ، واعمار التلاميذ ونوع العقوبات المدرسية الخ ، ولا يكفي تكرار عبارات ابن خلدون ، كما فعل الاستاذ محمد الامين الدرقاوي

العدد الماضي في الميزان :

لا احب ان اضع في ميزاني ميزان صديقي الاستاذ عبد الهادي الشرايبي كما فعل في ميزان الاستاذ عبد الكريم غلاب ، والا فلن ننتهي ابدا ، هذا فضلا عن أن الحق في مراجعة هذا الميزان هو للموزونين ولست اعطي لنفسي حق التدخل .

دراسات مغربية :

احس بانني اطلت ، وعذري ان المجلة طافحة بالدراسات ، ومن العسير على كاتب اعطاء صورة نقدية عنها تلائم هذا « الميزان » باقل مما فعلت ومع ذلك فانا مرغم الان على المزيد من الايجاز فيما تبقى من الابواب .

وندخل باب الدراسات المغربية بمقال عن اصل البشرية في المغرب للاستاذ ايميل اينوشي ، وهو بحث انثروبولوجي « علم الانسان الحضاري » هام قام بتعريبه الاستاذ احمد الاخضر الذي يعجبني فيه انه لا يتردد في إبتكار المفردات والتركيبات المزجية العربية ، دون حاجة الى استشارة احد ، ولم يكلف نفسه بوضع تفسير لمصطلحاته آخر المقال ، فماذا يقصد بالاحاثة ورتبة الرئيسيات مثلا ؟

وهناك مقال للاستاذ عبد الله الجراري بعنوان: ظهير فريد في دولة مغراوة وهو عبارة عن صفحة «خام» من التاريخ المغربي الذي ينتظر من يغربله ويكتبه باسلوب وموضوعية البحث العلمي .

ويأتي بعده بحث قيم عن حضارة الموحدين قصد به الاستاذ عبد الله العمراني الرد على احد كتاب مجلة «العالم» التي تصدرها مصالح الاستعلامات الانجليزية في بيروت لتشويه تاريخ العرب ، وبث سمومها ضد الحضارة العربية الاسلامية ، في الوقت الذي تتظاهر فيه بتمجيد هذه الحضارة ، ومن هذه السموم تشبيه الموحدين بالمغول في تدمير الحضارة العربية التي انقذت اوربا ما يمكن انقاذه منها ! « كذا » كما يقول داود كرم .

وفي ضمن هذه البحوث نجد ترجمة قيمة لحياة ابن عبد الله المقري قاضي فاس وجد صاحب نفح الطيب ، وقد ادى الاستاذ عبد القادر زمامة بعض الواجب تجاه احد علماء المغرب المهملين .

كما نجد بداية سلسلة من المقالات عن اساتذة الهندسة في المغرب السعدي ، اهتم فيها الاستاذ محمد المنوني باستعراض بعض علماء الهندسة وكتبها في عصر الدولة السعدية .

ويتابع الاستاذ محمد المنتصر الريسوني سلسلة مقالاته عن الادب النسوي في الاندلس ، ولكن مقدمة هذا الموضوع قطعت حتى الان اربع مقالات في الحديث عن ادب المرأة في العصر الجاهلي والاسلامي ونشأة الشعر الاندلسي ، ولا ندري متى سيصل الى الموضوع ، ولا متى سيتعلم كتابنا طريقة الدخول الى الموضوعات بدون مقدمات !

ويطالعنا الاستاذ التهامي السكيتي ، بعد هذا ، بترجمة لحياة شاعر الحمراء محمد بن ابراهيم مع دفاع كريم عنه ضد ناقديه الذين خلطوا بين الشعر والشاعر ، ودعوة طيبة لانصاف هذا الشاعر ، وتدوين شعره الذي لم ينشر كله حتى الان ، ودراسته ونقده بروح مخلصة نزيهة ، خدمة للادب والشعر المغربي .

ويختم هذا الباب برد للاستاذ ابراهيم حركات على تعليق للاستاذ حسن السايح على كتابه « المغرب عبر التاريخ » وليس لي ان ادخل الان في هذا النقاش.

ديوان المجلة :

في بداية هذا الديوان نجد قصيدة « مع البحر» للشاعر حسن الطريبق الذي كان رقيقا ومجيدا في وصفه ، وتواجهنا بعده « دمعة الشاعر » وهي دمعة صافية رقراقة من لون الموشحات للاستاذ عبد المجيد ابن جلون . تليها قصيدة « الروض المهجور » يصف فيها الاستاذ عبد الكريم التواتي حديقة فاس الفناء التي عصف بها الاهمال بعد الاستقلال فاصبحت قاعا صفصفا » ولكن القصيدة تتخللها ابيات حشرت فيها الجمل والقوافي الناشزة حشرا ، وهذا ما يفسد الشعر ، ويجعله اقرب الى النظم ، ويختم هذا الديوان بـ « اسطورة انسان » للشاعر عبد الكريم الطبال وهي قطعة من الشعر الجميل الحي ، ذات معان فلسفية عن الانسان والحياة .

اما قصة العدد « المشلول » للاستاذ ياسين رفاعية التي جاءت في ختام المجلة ، فهي قصة صغيرة في طور النشأة ، لم تتوفر لها جميع عناصر القصة الكاملة ، ولكنها مع ذلك ، ذات موضوع وهدف انساني نبيل .

ادريس الكتاني

أنباء ثقافية

* صدر عن المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي ، المعجم الفقهي المالكي بالعربية والفرنسية من تدوين الامين العام للمكتب الاستاذ عبد العزيز ابن عبد الله . وقد استوفى فيه جميع المصطلحات المدونة في كتب الفقه المالكي قديما وحديثا .

* نظم القسم الثقافي التابع للسفارة البريطانية بالتعاون مع ادارة المتاحف التابعة لوزارة التربية الوطنية معرضا لفن الطباعة الحجرية البريطانية بمدرسة الفنون الجميلة في الدار البيضاء . وضم هذا المعرض مجموعة من الطباعة الحجرية لاثنين وعشرين من الرسامين .

* اصدر الاستاذ السيد عبد الخالق القباج مدير مكتب الحبوب بالرباط كتابا بعنوان « الخضر اليابسة والحبوب الزيتية والمطرية بالمغرب » وقد سبق للمؤلف ان اصدر منذ ثلاث سنوات كتابا بعنوان « اقتصاد الحبوب في المغرب » الذي كان له صدى بعيد في جميع الدوائر الاقتصادية ، وخاصة الدوائر المهتمة بمشاكل زراعة وتسويق الحبوب .

* ستصدر عن ادارة مسرح محمد الخامس مجلة خاصة بالمسرح .

* بعثت وزارة الشؤون الخارجية المغربية ، مذكرة الى جميع السفارات العربية والاسلامية بالمغرب تطلب من دولهم فيها التعاون مع المكتب الدائم للتعريب ، ورابطة القضاة ، واتحاد نقابات المحامين بالمغرب وذلك للاسهام في الموسم القضائي الذي قررت شعبة القضاء والقانون في اللجنة العليا للخبراء العرب تنظيمه من فاتح يناير الى منتصف يونيه من سنة 1966 . ومن المعلوم ان هذا الموسم يشتمل على محاضرات تقوم بالقائها نخبة من رجال القضاء والقانون في العالم العربي والاسلامي ، كما تشتمل على ندوات في فنون القضاء ومشاكله وعلى معرض للكتاب القانوني .

* بيعت اخيرا في نيويورك في مزاد علني لوحة لونستول تشرشل الذي سبق له ان رسمها في مدينة مراكش واطلق عليها « بوابة مراكش » وقد بيعت بـ 13 000 دولار .

* صدر للشاعر السوداني سعد دعبس ديوان بعنوان « الانسان والليل » .

* بدات تصدر مجلة « افريقيا المسلحة » باللغة العربية منذ شهر في دكار . ويشرف على اصدارها الاتحاد الوطني للجمعيات الثقافية الاسلامية في السنغال ، وتديرها مجموعة من المثقفين السينغاليين وغير السينغاليين .

* اصدر الملك فيصل امرا بايفاد عدد من علماء الدين الاسلامي الى القارة الافريقية ليقوموا بالدعوة الى الدين الاسلامي وتعليم مبادئه للمسلمين . وستنظم دورات دراسية للدعاة المسلمين لتعليمهم اللغتين الانجليزية والفرنسية كي يسهل عليهم القيام بالمهمة الموكولة اليهم .

* انشات حكومة السينغال ، بمعاونة اليونسكو، مركزا للتدريب الصحفي ، بدأ عمله في جامعة دكار في شهر نوفمبر الماضي ويحمل اسم مركز دراسات علوم الاعلام وتقنيناتها» ويزود طلابه بمنهج عال يؤهلهم الحصول على اجازة صحفية . وهذه الاجازة بالاضافة الى ثلاث اجازات اخرى تعطي الطالب الحق في الحصول على ليسانس الاداب في قسم الصحافة .

كما ينظم المعهد ايضا دراسات لتنمية الخبرة والدراية المهنية تستغرق المرحلة الاولى تسعة اسابيع ويشهدها المسولون عن الاعلام الاقليمي . وتبدا هذه المرحلة في شهر يناير من عام 1966 تتبعها مرحلة ثانية لاعضاء التحرير في الصحف .

* صدر عن سلسلة « اعلام المغرب العربي » بتونس التي يشرف على اصدارها الاستاذ ابو القاسم

محمد كرو الحلقة الاولى منها عن الشاعر المرحـــوم كرباكة عبد الرزاق .

* مجلة «الفكر» الشهرية التي تصدر فى تونس دخلت سنتها الحادية عشرة واصدت بهذه المناسبة عددا ممتازا حافلا بمنتخبات مما نشر فى المجلــة فى عقدها الاول .

* صدر عن منشورات فرانكلين بالقاهرة « دقات قلبي » وهو عنوان القصة التي تكتبها فرانســـوا ساغــان .

* ترجم الدكتور محمد يوسف نجم الى العربية كتاب « دراسة نقدية للادب » وهو من تأليف ديفيـد ديتشس .

* فرغ الدكتور عثمان شاهين من ترجمة كتاب «فى معرفة الخير والشر» وهو من تأليف فليب رايس.

* فازت الجمهورية العربيـة المتحدة بالجائـزة الاولى فى مهرجان مسـرح العرائس الدولي الذي اقيـم اخيـرا فى بوخاريست .

* ظهرت طبعة ثانية من كتاب « المساواة فـــي الاسلام » للدكتور عبد الواحد الوافــي

* اعلن فى القاهرة عن فوز خمسة كتاب بجائـزة الدولة التقديرية هم : الدكتور حسـن زكريا ، والدكتور حسن عثمان ، والدكتور ثروت انيس ، والشاعـــر محمود حسن اسماعيل ، وفاروق خرشيـد .

* عرضت للبيع فى القاهـرة اول موسوعـــة باللغة العربية ، وقد نشرت هذه الموسوعة دار النشـر الامريكية بالقاهرة ، وهي عبارة عن مؤلف يبلغ حجمه الفين صفحـة ، ويضم اكثر من 20 الف كلمة . وقـد سمح لواضعيه من اجل تأليفه بالاطلاع على موسوعة مكتب كولومبيا فيكنغ ، وقد وضع حوالي اربعيـن فى المائة من تعريفاته بالاعتماد على مواد جديدة قام بجمعها 120 عالما متضلعا من الجمهورية العربية ، وسوريـا ، ولبنان ، والاردن والعـراق ، والسـودان ؛ وقد ابتدات اعمال تحرير هذه الموسوعـة سنة 1959 ، وتحتـوي على 30 اسما و19 خريطـة و10 لوحات .

* صدرت الى الاسواق اخيرا اول موسوعـــة باللغة العربية . وتقع هذه الموسوعة فى مجلد ضخـم اكثر من 2000 صفحة وتشمل على اكثر من 21000 موضوع اكثر من 40 فى المائة منها جديد . وقد جمعها 120 استاذا من الجمهورية العربية المتحدة ، ولبنان ، وسوريـا ، والاردن ، والعـراق .

* « المنطق الصوري منذ ارسطو حتى عصورنـا الحاضرة » عنوان كتاب اصدره الدكتور علي سامي النشـار .

* من الدراسات الادبية التـي ظهرت فى الاونـة الاخيرة كتاب « فصول فى النقد الادبـي الحديث » لعبد الحي دياب ، و « فن القصة عند تيمور » لفتحي الابياري و « القصة القصيرة فى مصر منذ نشاتها حتى سنة 1930 » لعباس خضر ، و « الاطفال والمسرح » لمحمد شاهين الجوهري و « الاسلام والشعـر » ليحيـى الجبـوري .

* مجلس الفنون بالقاهرة قرر انشاء لجنة فرعية لاصدار ابحاث تعرض اثر الحضارة العربية فى اوربا فى كل مجالات النشاط النسائي .

* صدر للاستاذ لويس عوض كتاب يلخص 35 مسرحيـة عالميـة .

* صدر فى القاهرة لانور الجندي حلقة جديـدة من موسوعته العربية الاسلامية تحت عنوان « الشرق فى اليقظـة » .

* « شعر المتنبي فى مصر » كان موضوع رسالة الماجستير التي حصل عليهـا محمد صلاح الدين عيد رئيس قسم احيـاء التـراث العربـي فى دار الكتب بالقاهـرة .

* « كتاب ليالي الدار البيضاء » لاحمد عبـــد الرحمن عيسى ، نال جائزة مجلس الفنون بالقاهـرة فى مسابقـة الكتـاب الوصفـي .

* اصدر مجمع اللغة العربية فى طبعة محـدودة جزايـن يشتملان على مواد من حرف الهمزة وحده . وما زال هذا المعجم قيـد الاعداد .

* من البحوث المجمعية النفيسة التي ظهـــرت اخيرا « سوانح فى اللغة والمصطلحات » للعلامة الامير مصطفى الشهابي ، و الدخيل فى لغتنا المحكية ودلالته

لانيس المقدسي و « الادب في المغرب » للمستشرق الحاج عبد الكريم جرمانوس .

※ الدار المصرية للتاليف والترجمة ستقوم بنشر الموسوعة التاريخية التي وضعها المؤرخ بدر الدين العيني بعنوان « عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان » .

※ الدكتور عبد الرحمن بدوي اصدر كتابين هما « دراسات في الشعر الاوربي المعاصر » وقد تناول فيه بالدراسة الشعر الالماني ، والفرنسي ، والاسباني، ومظاهر التجديد فيه ، والجزء الثاني من « الطبيعة لارسطو » وقد حققه الدكتور بدوي على الترجمة التي قام بها اسحاق بن حنين مع شروح ابن عدي وابن السمح ، ومتى ابن يونس ، وابي الفرج ابن الطيب ، وقوبلت هذه الترجمة بالنص الاغريقي .

※ يقوم الدكتور جمال الدين الشيال بتحقيق قطعة مخطوطة من كتاب قديم الف في تاريخ تنيس «من المدن المصرية القديمة» عنوان الكتاب « انيس الجليس في تاريخ تنيس » .

※ الجزء الثاني من كتاب « تاريخ الادب الجغرافي عند العرب » تأليف المستشرق الروسي اغناطيوس كراتشكوفسكي ، سيصدر في القاهرة بترجمة الدكتور صلاح الدين هاشم .

※ اصدر الاستاذ يوسف يعقوب مسكوني رسالة يعقوب بن اسحق الكندي في حوادث الجو مع موجز عن حياة المؤلف .

※ اصدر الاستاذ احمد الشرباصي ثلاثة كتب جديدة هي : «الائمة الاربعة» « ولمحات عن ابي بكر » و « الدين وتنظيم الاسرة » .

※ سيصدر في القاهرة عن دار الطباعة ديوان « قصائد ثائرة » للشاعر محمد بسيم الذويب .

※ كتابان جديدان صدرا عن الاديب الراحل العقاد هما « عباس العقاد ، ناقدا » لعبد الحي دياب ، و«عباس محمود العقاد » نشرة بآثره الفكرية .

※ انتهى يوسف ادريس من كتابه رواية طويلة اختار لها عنوان «الاسراء» .

※ يعكف الاستاذ منير بعلبكي على اتمام المعجم الانجليزي العربي الذي يقع في اكثر من 1500 صفحة

※ هذه الدواوين ستصدر قريبا عن دار الاداب في بيروت : «الحياة والحب » لابراهيم محمد نجا ، و « حتى يعود شعبنا » لهارون هاشم رشيد ، و « الاشجار تموت واقفة » لمعين بسيسو .

※ صدر في منشورات مكتبة رأس بيروت كتاب « العروبة في شعر المهجر » لفريد جحا .

※ ينعقد ببيروت في شهر مارس القادم مؤتمران عالميان : مؤتمر المهندسين ، ومؤتمر العلوم التجريبية .

※ « غبار الايام » كتاب جديد لتوفيق يوسف عواد سيصدر قريبا في بيروت .

※ توفي في لبنان المطران بطرس ديب عن 84 سنة ، والفقيد الكبير عالم من خيرة العلماء يحمل الدكتوراه في الحق القانوني ، وكان استاذا للحق القانوني في جامعة ستراسبورغ حتى عام 1942 وله عدة مؤلفات بينها : « تاريخ الكنيسة المارونية » و « تاريخ لبنان » والكثير من الابحاث والمقالات في مجالات دينية اوروبية .

※ صدر في منشورات عويدات ببيروت : « في الدكتاتورية » لموريس دوفرجية .

※ « الشعر بين نقاد ثلاثة » كتاب جديد للدكتور منح خوري يصدر قريبا في بيروت .

※ مرت في الشهر الماضي 24 سنة على وفاة الانسة مي زيادة .

※ فاز بجوائز جمعية اصدقاء الكتاب في لبنان لعام 1965 : جائزة رئيس الجمهورية التقديرية منحت لامين نخلة ، جائزة لبنان في العالم منحت لجبران مسعود عن معجمه « الرائد » ، جائزة الكويت منحت لحسين خلف الشيخ خزعل عن كتابه « تاريخ الكويت السياسي » ، جائزة المملكة السعودية منحت للدكتور مهدي المخزومي عن كتابه « في النحو العربي » جائزة الترجمة منحت للدكتور ماجد فخري عن ترجمته لكتاب « سلسلة الوجود الكبرى » لمؤلفه آرثر لا فجوى . وقررت جمعية اصدقاء الكتاب حجب

جائزة الدراسات اللبنانية وجائزة مدينة بيـــروت وجائزة فلسطيـــن .

* « معبد الشوق » عنوان المجموعة الشعريـــة الجديدة التي ستصدر قريبا في بيروت للشاعر فـؤاد الخشـــن .

* اخرج الدكتور يوسفعز الدين كتابين كبيرين عن الشعر في العراق عنوان اولهما « الشعر العراقـي اهدافه وخصائصه في القرن 19 » وعنوان الاخـــر « الشعر العراقي الحديث .

* صدر الجـزء الثالث من « ديوان البحتري » الذي قام بتحقيقه الشاعر حسن كامل الصيـــرفي متبعا فيه منهاجا لم يسبقه غيره من المحققيـــــن لدواويـن الشعراء .

* «سفر الفقر والثورة » ديوان جديد صـــدر للشاعر المعروف عبد الوهاب البياتي .

* « قوميتنا » عنوان الكتاب الذي سبق للاستاذ عبد الرحمن البزاز تاليفه ، وقد اتم نقله الى اللغـــة الانجليزية الاستاذ ادور رزق مدير مكتب جامعـــة الدول العربيـــة في لنـــدن .

* سيصدر قريبا كتاب « قالت الايام » مـــن تاليف الاستاذ غالب عبد الرزاق . والكتاب يصـــور جوانب عديدة للعراق السياسي والاجتماعي والفكري باسلوب قصصي .

* اكتشفت بعثة من مديرية الاثار العامة بالعراق اجنحة جديدة في القسم الجنوبي من دار الامارة وهو اقدم اثر اسلامي في العراق . ويعتقد انها ترجع الى عهد الحاكم الاموي زيـاد ابن ابيـه .

* كتاب « البدء والتاريخ » للمطهر بن طاهـــر المقدسي ، قام الاستاذ المحقـــق عبد الله الجبـــوري بوضع فهـارسـه .

* صدر في العراق مؤخرا ديوان « مع النفس » للشاعر خاشع الراوي .

* عن دار التعارف بالعراق صدر كتاب « المدخل الى موسوعة العتبات المقدسة » كما صدر القســـم الاول من الموسوعة المذكورة بعنوان « قسم النجف » ساهم في كتابته الدكتور مصطفى جواد ، والدكتـــور حسيـــن علي محفوظ ، والاستـــاذ جعفـــر الخياط .

* « الادب وروح العصر » كتاب جديد سيصدر من تاليف الدكتور صالح جواد الطعمة .

* وجهت جمعية المؤلفين والكتاب العراقييـن نـداء الى اعضائها تدعوهم فيـه الى المساهمـــة في موسمها الثقافي القادم .

* دفع الاستاذ عبد الصاحب ياسين بديوانـه « المصهـــر » الى الطبـــع .

* الجزء الثالث والاخير من كتاب « حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر » لعبـد الرزاق البيطـار صدر بتحقيق محمد بهجت البيطـار .

* ناشد مؤتمر مجمع اللغة العربية في ختـــام اجتماعات الجامعة العربية تكوين لجنـة خاصـــة للاشراف على توحيد المصطلحات العسكريـة بيـــن الجيوش العربية بالتعـاون مـع بعـض اللغوييـن . واوصى المؤتمـر في جلسته الختامية كذلك برســم خطـة ثابتة للتضامـن بين المجمـع العلمي العراقي ومجمع اللغة العربية في القاهرة ، وتنسيق جهودهـا مع المجامع اللغوية الاخرى لاحياء التراث العربـي . وكان هذا المؤتمـر الذي حضره 35 عضوا من سبعة بلدان عربية قد افتتح في بغداد بدعوة من المجمـــع العراقي . واعلن الدكتور ابراهيم الامين العام لمجمع اللغة العربية ان المؤتمـر ناقش في اجتماعاتـــه 900 مصطلح من الفلسفة و 300 مصطلح في الطب تشكـل جزءا من معجم طبي عربـي يجري وضعـه حاليـا .

* فرغ الاستاذ ضياء الدين ابو الحب من تحقيق ديوان الشاعر الشيـخ محسن ابـو الحب الكبيـــر خطيب كربلاء المتوفى عام 1305هـ وينتظر صـــدور الديوان المذكـور قريبـا .

* صدر بمناسبة انعقاد مجمع اللغة العربيـــة كتاب « المباحث اللغويـة في مؤلفات العراقيين » .

* كما صدر ايضا كتاب « المجمع العلمـــي العراقي ـ نشاته، اعضاؤه، اعماله » من تاليف عبـــد الله الجبـوري .

* صدرت في بغداد الكتب التالية : «ديوان عبد القادر رشيـد الناصري » جمعه وطبعه كامـــل خمسين « كلمات في الرصافي » لوحيد الدين بهـاء

الدين . و « الادب وروح العصر » للدكتور صالح جواد الطعمة ، و «تأميم المحاماة» لعامر سامي الدبوني، و « عبير وزيتون » مجموعة شعرية لعدنان غازي تقديم سلمان هادي الطعمة . و « عينا ميدوزا » مجموعة شعرية للانسة آمال الزهاوي . و « البيوتات العلوية في كربلاء » للسيد ابراهيم شمس الدين القزويني الحائري، و « القرارت المهلكة » لعدد من القادة الالمان ترجمه عن الانكليزية النقيب رشيد العزاوي و « حضارة السلاجقة » لتامارا رايس ترجمه لطفي الخوري وابراهيم الدقوقي .

❋ في العالم الآن 290 000 طالبا يدرسون خارج بلادهم . ويمثل هذا العدد نسبة 2 ٪ من مجموع الطلاب في العالم ونحن ناخذ هذا الرقم الاحصائي من كتيب نشرته اليونسكو بعنوان « دراسات في الخارج » تتبين منه ان الولايات توفد اكبر عدد من الطلاب للدراسة في الخارج ، اذ بلغ عددهم 74,000 في عام 1964 وتتلو ذلك في النسبة فرنسا 30,000 ، فجمهورية المانيا الاتحادية 25,000 ، والاتحاد السوفييتي 25 000 ، والمملكة المتحدة 14,000 ، والنمسا 9,000 ، وسويسرا 8,000 .

❋ عقدت في بغداد الدورة الثانية والثلاثون لمؤتمر مجمع اللغة العربية والمجمع العلمي العراقي وقد قدم الى بغداد من اعضاء مجمع اللغة العربية في القاهرة كل من : الدكتور ابراهيم مدكور ، الدكتور ابراهيم عبد الفتاح الصعيدي ، الاستاذ عزيز اباظة ، الدكتور محمد احمد سليمان ، الاستاذ محمد خلف الله احمد ، الشيخ محمد علي النجار ، الدكتور مهدي علام ، الدكتور مراد كامل ، الدكتور اسحق موسى الحسيني ، الاستاذ احمد علي عقبات ، الاستاذ علي الفقيه حسن ، الدكتور عمر فروخ ، الاستاذ عبد الله كنون ، الدكتور احمد زكي .

❋ من المحاضرات التي القيت في مؤتمر المجمع اللغة العربية في العراق : « تقرير لجنة الاصول في صيغة فعلان ، وشروط افعل التفضيل ، وقد تلاه الشيخ امين الخولي . ثم « سيرة ابن اسحق » الدكتور عبد العزيز الدوري ، ثم « ابن قتيبة والتوجيه اللغوي للكتاب » للاستاذ محمد خلف الله احمد ، ثم « ابن النفيس » الدكتور محمود الجليلي، ثم «دراسة بعض اللغة» للدكتور ابراهيم انيس ، ثم « المستدرك على المعجمات » للدكتور مصطفى جواد

❋ الوضع ، تحديده ، تقسيماته ، مصادر العلم به » تأليف محمد تقي الحكيم صدر بمناسبة انعقاد مجمع اللغة العربية في بغداد .

❋ اصدر الاستاذ نوري حمودي القيسي كتاب «الاقواء في الشعر الجاهلي» .

❋ صدر مؤخرا كتاب «العراق في عهد السلجوقين» من تاليف الدكتور حسين الامين ومن منشورات المكتبة الاهلية ببغداد .

❋ اصدر الدكتور احمد سوسة الجزء الثاني من كتاب « فيضانات بغداد في التاريخ » وقد طبع بمساعدة من المجمع العلمي العراقي . ويقع هذا الجزء في اكثر من ستمائة صفحة مكملة للجزء الاول. ومما يجدر ذكره ان الجزء الاول من الكتاب حاز على جائزة الكتاب العربي لعام 1963 .

❋ صدر مؤخرا ديوان « الكعبي » للحاج هاشم الكعبي — قسم المراثي الحسينية ، ويقع في اكثر من 150 صفحة من القطع المتوسط مع مقدمة كتبها الاستاذ محمد حسن ءال الطالقاني .

❋ «عينا ميدوزا» مجموعة شعر تقدمت بها للطبع الشاعرة العراقية آمال الزهاوي .

❋ اصدر الدكتور محسن جمال الدين تحقيقا « لمخطوطة ديوان مفتاح الافراح في امتداح الراح » لعبد المحسن بن حمود التنوخي الجبلي .

❋ عثرت مديرية الآثار العامة في تل يقع بالقرب من اربيل على مجموعة من الآثار تعود للالف الرابع قبل الميلاد .

❋ الافصاح في فقه اللغة » عنوان المعجم الذي وضعه الاستاذان عبد الفتاح الصعيدي ، وحسين يوسف موسى ، وطبع لاول مرة عام 1929 ، وستقوم مكتبة دار الفكر العربي في القاهرة باعادة طبعه .

❋ صدر في الكويت الجزء الاول من المعجم العربي « تاج العروس » بتحقيق الاستاذ عبد الستار فراج .

❋ «البيوتات العربية في كربلاء » الجزء الثاني من هذا الكتاب ، سيصدر في هذه الايام في بغداد لمؤلفه الاستاذ ابراهيم شمس الدين القزويني الحائري .

* يعمد في حلب محمد خير الحلواني ، ومحمود الفاخوري ، وعبد القادر الركار ، الى وضع مؤلف في تطبيقات عملية لغوية على نصوص شعرية قديمة يحتج بها . والكتاب يعالج القضايا النحوية والبلاغية بشكل مستفص يخضع النظرات القديمة لروح العصر الحديث .

* «كلمات في الرصافي» كتاب بهذا العنوان اصدره الاستاذ وحيد الدين بهاء الدين

* سنوات الاغتصاب » كتاب عن دويلة اسرائيل اصدره الكاتب الاردني زيد الكيلاني .

* انعقد المؤتمر الثاني لوزراء التعليم الاسيويين في الفترة بين 22 و29 نوفمبر الماضي لدراسة الموقف الحالي في التعليم الاسيوي ، وتطوره منذ ثلاثة اعوام والاهداف التي ينبغي ان يترسمها حتى 1980 .

* اصدر الناقد ج. ب. جيلناس كتابا عن البير كامو ، تناول فيه اعماله وفلسفته ومفهومه للحرية مع مقارنته ذلك المفهوم في آراء سارتر وكير كجاري.

* انتخب البرفسور توينبي المؤرخ الانجليزي الشهير عضوا في اكاديمية العلوم الادبية والسياحية الفرنسية لملء الكرسي الشاغر الذي كان يشغله تشرشل . وكان البروفسور توينبي الذي يبلغ الان 76 من عمره عضوا في الوفد البريطاني الخاص بالشرق الاوسط في مؤتمر السلام الذي عقد في باريس عام 1919 وفي مؤتمر السلام عام 1946 وكان لعدة اعوام استاذ الابحاث في العلاقات الدولية في جامعة لندن ، ومدير الدروس في المعهد الملكي للشؤون الدولية وهو معروف بمؤلفه الشهير « دراسة التاريخ » المؤلف من 12 مجلدا ومن بين مؤلفاته العديدة ، ومقالاته التي تدل على اهتمامه طوال حياته بشؤون الشرق الاوسط دراسة بعنوان « العالم الاسلامي من معاهد الصلح الى عام 1938 » .

* صوت الكاتب الفرنسي كامو ظهر في ثلاث اسطوانات يقرا خلالها خصوصا من مسرحياته ، وكتبه الشهيرة مثل « الغريب » و « الطاعون » ، كما تتضمن الاسطوانات آراءه في قضية الجزائر .

* انهى المؤتمر الثاني لمنظمة اليونسكو اشغاله في باريس ، واصدر بلاغا اكد فيه بان اعماله قد خصصت لقضايا تقدم التعليم وازدهاره في مختلف البلدان . وقد حضر هذا المؤتمر الذي دعت اليه منظمة اليونسكو بتعاون مع اللجنة الاقتصادية الاممية لاسيا والشرق الاقصى ووزراء التربية للبلدان الافريقية والاسيوية . واشار البلاغ الى الاستعجال التي تكتسيها الحاجة الملحة للمزيد من نشر التعليم وتعميمه مع تحسين اساليب التعليم في نفس الوقت

هذا وقد اتخذ المؤتمر خمسة قرارات اساسية هي :

ضرورة تنمية التعليم في جميع اطواره ، وتدعيم التعليم التقني ، وتنظيم حملات محاربة للامية ، والاخذ بعين الاعتبار بمختلف مستويات تنمية التعليم في البلدان الافريقية والاسيوية ، وادماج تنمية التعليم وازدهاره في برنامج التنمية الاقتصادية والاجتماعية لكل بلد من هذه البلدان .

* بيعت اخيرا في مزاد علني اقيم لبيع المخلفات الخطية لمشاهير الرجال . ثلاث نسخ خطية كان قد دونها كارل ماركس بنفسه ونقل فيها شيئا من مؤلفات بعض رجال الاقتصاد السياسي الفرنسيين والانجليزيين مضيفا اليه تعاليقه في حواشيها ، وكان ذلك عندما كان يقوم بجمع المواد والمستندات اللازمة لوضع كتابيه « نقد الاقتصاد السياسي » « وراس المال » ، وقد بلغت قيمة ما دفع في النسخ الثلاث 347 الف مارك .

وقد اشتراها احد الهواة في المانيا الغربية . وبيعت رسالة الوداع التي تركها ولي عهد النمسا لزوجته سيفاتي قبل ان ينتحر مع عشيقته بارونس فيتسرا في قصر مايرلينج ، فبلغ ثمنها 15 الف مارك وبيعت رسالة المارتين لوثر الزعيم الديني بـ 15 500 مارك ، وعدة رسائل لريشارد فاجنر الموسيقي بـ 1500 مارك ، ودفع عن البرقية الاصلية التي حملت خبر نفي نابليون بـ 3400 مارك . وقد اجرت هذا المزاد محلات ي. ت. ستارجارد بمدينة ماربورج بالمانيا الغربية . وكان هذا المزاد اكبر مزاد من نوعه اجري في المانيا الغربية بعد الحرب العالمية الثانية وبلغت قيمة المخلفات الخطية التي بيعت في ذلك المزاد بـ 700 الف مارك .

* سيؤسس في لندن مسجد يتسع لحوالي 10 آلاف من المصلين .

* توفى مؤخرا القس الفريد غيوم احد كبار المستشرقين والخبراء فى التاريخ الاسلامي فى القرن الحالي فى لندن عن عمر يناهز 77 سنة . وكان القس المذكور استاذ اللغة العربية فى معهد الدراسات الشرقية والافريقية ، ورئيس دائرة الشرقين الادنى والاوسط فى جامعة لندن من عام 1947 الى عام 1955 وقبل ذلك كان استاذا فى الجامعة الامريكية ببيروت . وله عدة مؤلفات عن الاسلام .

* ظهر اخيرا الجزء الاول من رسائل برناردشو، وهو يضم 700 رسالة كتبها خلال عشرين عاما الى الصديقات والمعجبات . وتضم رايه فى المراة والحياة الزوجية .

* تضم مؤسسة العلاقات الاجنبية فى مدينة ستوتجارت بالمانيا الغربية مجموعة فريدة تحتوي على الاناشيد القومية بجميع دول العالم . وقد اصدرت فى عام 1958 كتابا دونت فيه هذه الاناشيد باللغات الاصلية مع تلحينها على البيانو ، وترجمتها الى اللغة الالمانية وذكر اهم ما يتعلق بتاريخ وضعها . وقد اتسعت مجموعة المؤسسة كثرة التطورات السياسية التي وقعت فى ءاسيا وافريقيا خلال السنين الاخيرة فضم اليها 31 نشيدا جديدا ، واصدر لذلك مجلد ثان عن الاناشيد القومية . تملك المؤسسة ايضا مجموعة كاملة من اشرطة تسجيل الصوت التي التقطت عليها شتى الاناشيد القومية فى العالم . وقد اعيدت فى العام الماضي فى 125 مناسبة .

* احتفلت مدينة كويدلينبرغ بالمانيا الديمقراطية بمرور 250 عاما على مولد دوريتيا ايركسليبس التي تعد اول امراة اوربية حملت شهادة الطب فى عام 1754 . وازيح الستار فى هذا الاحتفال عن اللوحة التذكارية التي اقيمت فى البيت الذي عاشت فيه الدكتورة ، كما القيت عدة محاضرات لهذه المناسبة عن « المراة والعلم » وكانت المحتفى بها قد كتبت مجموعة من ابحاث عن المراة .

* اكتشف العلماء المكسيكيون هرما قد يكون اكبر هرم فى نصف الكرة الغربي . قد اعلن الدكتور ادواردو كونتريراس الذي يعمل فى معهد علم الاجناس البشرية ان فريقه اكتشف الهرم قرب تشولولا على بعد 80 ميلا الى المكسيك العاصمة المكسيكية .

